

٢٠
الأدلة والمعلومات

كيف تعلمت العربية؟

مجموعة من سير التعلم
لأعلام من الناطقين بغير العربية

تحرير: د. بدر بن ناصر الجبر

الأدلة والمعلومات ٢٠

كيف تعلمت العربية؟

مجموعة من سير التعلم لأعلام من الناطقين بغير العربية

المشاركون :

- د. أبانغ حازمين (بروناي)
- د. بهاء الدين الندوي (الهند)
- أ. جاويد حفيظ (باكستان)
- د. حسين محمد بوا (أوغندا)
- د. حقار محمد أحمد (تشاد)
- أ.د. دينغ لونغ (يوسف) (الصين)
- أ.د. رجب شانتورك (تركيا)
- أ.د. رحمة بنت أحمد الحاج عثمان (ماليزيا)
- د. سعيد برهان عبدالله (جزر القمر)
- د. سعيد محمد بابا سيلا (مالي)
- د. عبدالرحيم شئت ثاني (بنين)
- أ.د. عبد الرزاق ديريمي أبوبكر (نيجيريا)
- د. عبد الكريم ديوباتي (غينيا كوناكري)
- أ.د. عبد الله محمد زين (ماليزيا)
- أ. عمر دكوري (بوركينافاسو)
- أ. د. محمد بشير (الهند)
- د. محمد هداية نور واحد (إندونيسيا)
- د. مصطفى حاجي (بلغاريا)
- د. ناصر حمد بكار (تنزانيا)
- أ. هريلمانا عبد الكريم (راوندا)

تحرير: د. بدر بن ناصر الجبر

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولايسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً



كيف تعلمت العربية؟

الطبعة الأولى
1440 هـ - 2018م

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإلكتروني: nashr@kaica.org.sa

ح/ مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٩ هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجبر، بدر ناصر
كيف تعلمت العربية؟./ بدر ناصر الجبر. - الرياض، ١٤٣٩ هـ
..ص؛ .. سم-(الأدلة والمعلومات ٢٠١)
ردمك: ١ -١٨ -٨٢٢١ -٦٠٣ -٩٧٨
١ - اللغة العربية-تعليم أ. العنوان ب.السلسلة
ديوي ٤١٠,٧ ١٤٣٩/ ٧٧٤٠
رقم الإيداع: ١٤٣٩/ ٧٧٤٠
ردمك: ١ -١٨ -٨٢٢١ -٦٠٣ -٩٧٨

التصميم والإخراج
دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
الهاتف:4562410 الفاكس:4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com



كلمة المركز

يجتهد مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية في تنويع مجالات النشر، ومن الموضوعات التي يوليها اهتماماً النشر في تعليم اللغة العربية لغة ثانية، حيث أصدر مجموعة من الكتب وأدلة المعلومات التي تكشف حال اللغة العربية في العالم.

وإيماناً من المركز بأهمية النشر العلمي في المجالات التي تتصل بمباشرة تعليم العربية وتخصصاتها العميقة، فقد اختطّ خطة لإصدار مجموعة من الكتب التي تدعم المجال الأكاديمي لتعليم العربية، وقد أصدر منها الكتب الآتية: (١٠٠ سؤال عن اللغة العربية، دليل ثقافة اللغة العربية للناطقين بغير العربية ، دليل معلم العربية للناطقين بغيرها، دليل متعلمي العربية الناطقين بغيرها)، ثم وضع المركز فكرة هذا الكتاب (كيف تعلمت العربية؟) ؛ وعياً بأهمية حفظ التجارب والخبرات العملية في تعلم اللغة العربية، وتقديمها مدعومة بالرؤى والتحليلات النيرّة، حتى تكون حافزاً لمن يريد التعلم، ومجالا لمن يريد الدرس والبناء عليها، ودافعا لخبراء التعليم وأساتذته الذي يجتهدون في بذل أوقاتهم للمتعلمين، وسيتلوه كتاب آخر يختص بتجارب (نشر اللغة العربية) .

وقد شارك في الكتاب عشرون كاتباً من ثماني عشرة دولة، يشكّلون نخبةً من الأعلام والشخصيات البارزة في مجتمعاتهم، ممن تعلموا اللغة العربية وأتقنوها، وكانت لهم جهود في خدمتها وتعليمها.

وقد كتب أرباب هذه المقالات عن واقع تعليم اللغة العربية والظروف التي تعيشها، وعن الأسباب والدوافع التي دعتهم لتعلم العربية، والطريقة والمناهج التي تعلموا من خلالها، ورؤيتهم في مستقبل اللغة العربية في بلدهم، ومقترحاتهم في تطوير تعليمها، وأبرز الصعوبات والتحديات التي واجهتهم، والمواقف الطريفة التي مروا بها، ونظرة المجتمع نحو اللغة العربية والمتحدثين بها، وأبدعوا في وصف مشاعرهم بعد إتقان اللغة.

والمركز يشكر الزملاء في لجنة النشر الذين تعاضدوا على وضع الرؤية الأولية للكتاب، كما يتقدم بالشكر الجزيل إلى محرر الكتاب سعادة الدكتور بدر بن ناصر الجبر لما تفضل به من متابعة حثيثة وتواصل فعّال مع السادة المؤلفين، والشكر الأوفر لمؤلفي هذا الكتاب الذين مهما تباعدت بلادهم فقد قرّبتهم العربية حتى آخت بينهم في هذا الكتاب؛ ليكون مثالا من أمثلة مدى التأثير اللغة العربية على الناطقين بها وعلى متعلميها من أنحاء العالم، وكيف يمكن للغة أن تقرّب البعيد، وكيف يمكن للتواصل أن يسهم في البناء.

ويدعو المركز الباحثين والمهتمين في أنحاء العالم إلى المشاركة في برنامجه الخاص بالنشر العلمي، سواء بالكتب المنجزة، أم بالاقتراحات التي يمكن للمركز تكوين الفرق العلمية لإنجازها.

والحمد لله دائماً.

الأمين العام

د.عبدالله بن صالح الوشمي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:-

فتعلّم اللغات الأجنبية أصبح حاجة عصرية؛ فاللغة توثق الصلات والروابط، وتقوي الاندماج والتكامل بين الشعوب، وتعزّز العلاقات وتقوي العمل الدبلوماسي بين الدول، وتشجّع على الحوار بين الحضارات والثقافات، ودَعَم هذا كله وقوّاه وفرة وسائل الاتصال وانتشارها.

واللغة العربية من أقدم اللغات الحية التي ما زالت تساير كل الظروف وتتكيّف مع مختلف العصور، وانفردت ببلاغتها وبيانها، وهي لغة الدين ومفتاحه ولا تفهم حقائقه وحِكَمه إلا بها، وظلّت على مدى قرون طويلة جسراً للتواصل بين الشعوب، ولغة حاضنة للعلوم وللتنوع الثقافي، ولسان التواصل الإنساني والإبداعي يشهد بذلك ما تحويه المكتبات من نفائس وذخائر في مختلف العلوم والمعارف.

ومن العناية بمستقبل اللغة العربية رصد التجارب والرؤى حول تعلّمها

وتعليمها فهو مقصد طموح ومبادرة مفيدة لتكوين فكرة أوسع عن واقع اللغة العربية ومناهجها وآفاق تطويرها؛ ولأجل ذلك جاءت فكرة هذا الإصدار الذي يحوي مقالات لأعلام وشخصيات بارزة من الوزراء والعلماء والسفراء من ثماني عشرة دولة ممّن تعلموا اللغة العربية وأتقنوها، وممّن كملت خبرتهم واستحكمت تجربتهم، وكان لهم جهود في خدمتها وتعليمها ليعرضوا حياتهم معها وتجربتهم في تعلّمها وتعليمها.

وقد أجاد الكتّاب فيما دبّجته أقلامهم وأبدعته أحلامهم، وأتحفونا بأروع المقالات وأبدع التحليلات من مواقفهم الماتعة وأفكارهم النيّرة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ومما نستنتجه من هذه المقالات:

١ - الرغبة الملحة والإقبال المتزايد على تعلم العربية، وأن الدافع الأقوى والسبب الأبرز في تعلّمها في المجتمعات المسلمة هو ارتباطها بالدين الإسلامي، وأنها وسيلة لفهم القرآن ومعرفة تعاليم الدين وأحكامه.

٢- أن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يواجه تحديات وصعوبات، ومن أبرزها: غياب الهيئات التنسيقية والمؤسسات المرجعية، وعدم وجود معلمين مؤهلين ومناهج تعليمية تعكس حاجات المتعلم ومطالبه.

٣- أن انتشار اللغة العربية في المجتمعات الناطقة بغيرها مرهون بالقدرة على تعليمها وإيصالها بأفضل السبل وأيسرها، وأن بقاء وسائل تعلمها وتعليمها وآلياتها دون تطوير مؤذن بضعف الإقبال عليها والتنفير منها.

وأسوق للكتّاب الكرام تهنئتي الخالصة المقرونة بالإجلال والتقدير على هذا الشغف والدافعية لتعلم اللغة العربية، وعلى ما وهبهم الله ويسر لهم من الإجادة

والإفادة والإتقان حتى ذاقوا حلاوة العربية، ولابست أرواحُهم روحَها، ففهموا أسرارها ودقائقها ومضارب أمثالها، وبلغوا ما يبلغه العربي في ذلك كله.

ولا يفوتني أن أهمس في آذان القرّاء الكرام بأن انتشار برامج تعلم العربية في أنحاء العالم يضاعف المسؤولية ويزيد التبعة، فمن حقها على أبنائها البررة أمثالكم نشرها ومؤازرتها والسعي في خدمتها ورفعتها وإعلاء شأنها بين اللغات، وتطوير تعليمها لغير العرب، وأضع بين أيديهم أسئلة للتأمل والتفكير:

هل يوجد لدينا سياسة وتخطيط لغوي يرسم آفاق تعلّم اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها ويستشرف مستقبلها؟

هل الجهود المبذولة في تطوير تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يوازي مكانة هذه اللغة ومنزلتها؟

هل البرامج القائمة في تعليم اللغة العربية تستند على أسس علمية ومنطلقات منهجية؟

ما موقع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بين تعليم اللغات الأخرى، و هل يرقى إلى مستوى تعليم اللغات العالمية في وسائله ومناهجه؟

هل استطعنا تسويق اللغة العربية بنشرها ودعم مناهجها وإنتاج وسائط تعليمها وعرضها للمتعلمين بصورة مشوقة؟

وفي ختام هذه المقدمة أزجي عظيم الشكر والثناء له سبحانه فلولاه ما كان منّا عمل، ولا تحقق لنا أمل، ثم أشكر الكتّاب الأجلّاء الذين غمروني باستجابتهم وموافقتهم الكريمة، وأقدم لسعادة الدكتور عبد الله بن صالح الوشمي (الأمين العام للمركز) ولسعادة الدكتور إبراهيم بن محمد أبانمي (المشرف على برنامج النشر)، خالصَ الشكر وصادقَ الدعاء على دعمهم واهتمامهم بهذا الإصدار وما

أسدوه من توجيهات، وما أنفقوه من وقت وجهد في مجال النشر أثمر عشرات الإصدارات النوعية والدراسات والأبحاث الجادة.

وبالله أستعين في ذلك كله، وهو الموفّق سبحانه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحرِّر

الدكتور بدر بن ناصر الجبر



رحلتي في تعلم العربية وتعليمها

د. أبانغ حازمين بن أبانغ طه – سلطنة بروناي دار السلام

مساعد رئيس جامعة سري بكاون للتربية الدينية

- حصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا.
- رئيس قسم اللغة العربية في معهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين لعامي ٢٠٠٤-٢٠٠٥.
- عميد كلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية في جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية عام ٢٠١٢.

قد يستغرب القارئ اسم الكاتب وكيف يُنطق الاسم؟ فقد كتبت هذا الاسم بهذه الطريقة: أبڠ أي بحرف يشبه الغين في آخره إلّا أنه بثلاث نقاط فوقه، وذلك عندما كنت في الصف الابتدائي الأول بالمدرسة الدينية في قريتي – وهي ثلاثين كيلومتر من عاصمة بروناي سري بكاون – حيث تستخدم في هذه المدرسة اللغة الملايوية المكتوبة بالحروف العربية التي تسمى عند الملايويين بالحرف «جاوي». ولما سافرت من بلادي إلى مصر للالتحاق بجامعة الأزهر الشريف عام ١٩٨٩م كتب موظف الجامعة اسمي هكذا: أبنج وفق نطق القاهرة. ورزقت بأداء فريضة الحج فكتب موظف قسم التأشيرة اسمي بطريقة أخرى هكذا: أبنق حسب نطق كاتبه. وعندما أدرس في معهد بالسودان كتب موظف المعهد هكذا: أبانغ، وحتى القنصلية البريطانية في الخرطوم كان لها طريقتها في كتابة اسمي بالنظر إلى كتابته باللاتينية ABANG ثم حولت الكتابة إلى العربية حرفا بحرف لتصبح أبانق. وأتذكر ما قاله لنا أحد أساتذتي فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف الخليفة أبو بكر عندما كنا في قاعة المحاضرة بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية عام ٢٠٠٠م في قواعد كتابة الأصوات غير العربية والعلَم العجمي حيث قال: «العب بها» أي لا توجد قاعدة متفقة عليها فاكتب كما تشاء.

ولدت في قرية صغيرة بيراو في محافظة توتونغ بسلطنة بروناي دار السلام، وأنا بروناوية الجنسية، تربّيت في أسرة ملايوية من والدين ملايويين، وبالتالي اللغة الملايوية هي لغتي الأم، متزوج بملايوية بروناوية ورزقنا بولد وأربع بنات، سجّلني أبي مرشحا للالتحاق بمدرسة حسن البلقية الثانوية العربية للبنين، ونجحت في امتحان القبول لأبدأ الدراسة فيها عام ١٩٧٩م، وذلك بعد أن سبقاني شقيقيّ في نفس المدرسة. وكانت المدرسة هي الوحيدة من نوعها في السلطنة كلها، والمدرسة آنذاك كانت عبارة عن مدرسة دينية وفيها مادة اللغة العربية والمواد الدينية وتدرّس باللغة المحلّية الملايوية ما عدا مادة اللغة الإنجليزية. وتستخدم اللغة العربية تدريجيا

وفق المستويات فيها، وقضيت في هذه المدرسة عشرة أعوام من ١٩٧٩م إلى ١٩٨٨م إلى أن حصلت على المنحة الدراسية لمواصلة الدراسة في جامعة الأزهر الشريف عام ١٩٨٩م، وخرجت منها عام ١٩٩٢م (ولم أتخرج فيها) أي قررت العودة إلى بلدي بروناي دار السلام.

التحقت بالبرنامج التمهيدي للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٢، ثم بكليتي الدراسات الإسلامية والتربية بجامعة بروناي دار السلام، وحصلت على شهادة الليسانس في التربية (الدراسات الإسلامية) منها عام ١٩٩٧، وعينت معيداً في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة بروناي دار السلام عام ١٩٩٧، ثم أوفدت إلى معهد الخرطوم الدولي للغة العربية بالسودان عام ١٩٩٩، وعينت محاضرًا في معهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين للدراسات الإسلامية بجامعة بروناي دار السلام عام ٢٠٠١، ثم رئيسًا لقسم اللغة العربية بالمعهد لعامي ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م، وأوفدت إلى كلية التربية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا للدراسة، وحصلت على شهادة الدكتوراه في التربية عام ٢٠١٢، وعينت عميدًا لكلية اللغة العربية والحضارة الإسلامية بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية ببروناي عام ٢٠١٢ إلى أن عينت مساعدًا لرئيس جامعة سري بكاون للتربية الدينية عام ٢٠١٤.

المدّة الكافية لتعلّم اللغة من أهم عوامل النجاح في التعلّم، والأهم من ذلك كيف يقضي الطالب هذه المدّة، فقد تعرّفت على عدة تجارب لعدد من الإخوة البروناويين في تعلم العربية، منهم مَن درس في المدارس العربية لمدة تسعة أعوام، ولم يتمكّن من الكلام باللغة العربية بصورة مقبولة، وعكسه من تعلّم اللغة العربية لمدة عامين بل أقل ومع ذلك يتكلّم اللغة العربية بالطلاقة بفضل النشاطات اللغوية الحقيقية التي مر بها وتم من خلالها اكتساب اللغة.

وإنني من النوع الأول، ولدت مسلما في بيئة عجمية، لقد تعرضت للثقافة

الإسلامية المحلّية إلى أن التحقت بالمدرسة العربية وكنت في الثامنة من عمري، لا أتذكر كل تفاصيل اللحظات التي قضيتها في المدرسة ومن بينها بداية تعلم القواعد اللغوية من النحو والصرف وكنت في الرابعة الثانوية عندما بدأت أتعلم البلاغة وبعض النصوص الأدبية إلى أن أكملت الثانوية العليا وأنا ابن ثمانية عشر عام، وجُلّ هذه المدّة كنت أتعلم الجوانب النظرية أو المعلومات أو ما يقال عن اللغة العربية، ولم أجد فرصة لتطبيق هذه المعرفة ولا أمارس الكلام باللغة العربية سوى تجارب ضئيلة من بينها إلقاء الكلمة أو الخطبة الصباحية أمام المدرسة مرة واحدة أو مرتين في العام كله، وإلقاء الخطبة الصباحية عبارة عن قراءة فقرة أو فقرتين مما كتبه الأستاذ أو مما حفظه الطالب من عناوين النظافة والنظام المتكررة طول العام، وبجانب اللغة العربية تعلّمنا المواد الدينية مثل التفسير والأحاديث والفقه وأصوله وغيرها باستخدام الكتب العربية، ويترجم المعلم مفردات الدروس إلى الملايوية ويكتب الطالب معاني المفردات فوق الكلمات العربية في كتابه، وذلك بعد وضع التشكيل للنصوص غير مشكّلة، وأرى أن الطريقة مفيدة حقا للفهم، إلا أنها تُهمل جانب تنمية المهارات اللغوية وخاصة التعبير.

وكانت الكتب الدينية المقرّرة التي تعلّمنا من خلالها تأتي من مدرسة الجنيد بسنغافورة وبعضها من مؤسسة نيلام بوري كلنتان ماليزيا، وهي في شكل كتيبات باللغة العربية الميسّرة تناسب الطلبة. وتركّز عملية تعليم اللغة العربية على الكتب المقررة، فكانت هي أهم الوسائل التعليمية الأساسية بجانب السبورة والطباشير، ويعتمد المعلمون على هذه الكتب ويعتادون على طريقة تدريسها، وتستمرّ ظاهرة الاعتماد على الكتب المقررة، واتّضح مدى اعتماد المعلمين عليها لدرجة يمكن القول بأن المعلمين يدرّسون الكتب المقرّرة للغة العربية بدلاً من تدريس اللغة العربية مستعينين بالكتب المقررة. وأعتقد أن هذه الظاهرة عادية ومقبولة في الكثير من

المؤسسات التربوية آنذاك ثم تحول إلى نظام التعليم الموجّه نحو الامتحانات أو ما يعرف بالنظام المرتكز على الامتحان بحيث تكون نماذج أسئلة الامتحانات هي المرجع ينظر إليه المعلم؛ ليدرب الطالب على حلها ويحفظ الطلبة الدروس حرفا بحرف ويعتمدون عليها، وإذا نسي الطالب جزءا مما حفظ فلا يستطيع إكمال الإجابة، رغم أن اللغة العربية تمتاز بالمرونة وكثرة المترادفات. وبالتالي يحصل الطالب الذي لديه قدرة على الحفظ على تقدير مرضي، وأما أنا فقد رسبت في معظم المواد الدينية لسوء حفظي.

ومما يلاحظ في نشاط تعليم اللغة العربية في المدرسة العربية في بروناي، أنه يرتكز عادة على تعليم النحو العربي بدلا من تعليم المهارات اللغوية. ويبدو أن معظم معلّمي اللغة العربية يعتقدون بضرورة إتقان الجوانب النحوية، حيث أنها تجعل الطالب يكتسب أو يفهم من خلالها اللغة العربية، أو لعل الهدف المرجو من تعليم اللغة العربية هو فهم النصوص والكتب العربية الذي لا يتطلّب أكثر من مهارة القراءة، ولذلك تتمتع الجوانب النحوية بالاهتمام البالغ لدى المعلّمين، فهكذا تلقينا اللغة العربية في المدرسة – والحمد لله – ولا أقول إنه بالطريقة العشوائية وإنما التقليدية وفق تجارب الأساتذة نفسها، ونشكرهم ونسأل الله لهم خير الجزاء.

وبفضل منحة مواصلة الدراسة في جمهورية مصر العربية وجدت فرصة في هذه البيئة لممارسة اللغة العربية وإن كانت لهجة القاهرة هي الشائعة فيها. بدأت أتعرف على لون آخر من اللغة العربية حيث يختلف نطق بعض حروفها عما تعلمته أيام كنت في بلدي بروناي العجمية. كما لاحظت في هذه اللهجة بعض القواعد الخاصة بها والمختلفة عن التي تعلمتها من أساتذتنا في المدرسة، كما كان هذه اللهجة تختلف بعض كلماتها في معناها عما عرفته في اللغة العربية مثل كلمة «العربية» بمعنى السيارة بجانب معناها المعروف. وأتذكر موقفا كنت في الامتحان الشفهي وسئلت

«..عندكو عربية في بروناي؟» وترددت في إجابة السؤال وقلت «نعم عندنا مدرسة عربية في بروناي» وقال الممتحن: «أصدي (قصدي) السيارة».

نعود إلى بروناي لنأخذ فكرة حول نظرة شعبها إلى اللغة العربية ومتحدثيها. يمكن النظر إلى مكانة اللغة العربية في بروناي من عدة جوانب ابتداء من الجانب الاجتماعي حيث تتمتع اللغة العربية بمكانة مقدسة إذ يحترم الذي من يجيد هذه اللغة احتراما يكتسب بعداً دينياً. وهذا نتيجة للاعتقاد الديني الراسخ لدى الشعب الذي يربط أهميّة فهم القرآن والإسلام بفهم اللغة العربية. فيعتقد العوام بأن الذي يجيد العربية قد فهم الإسلام أكثر من غيره. ومن المعلوم في الجانب السياسي أن سلطنة بروناي تهتمّ بالأمور الإسلاميّة وبالتالي تهتمّ باللغة العربية بوصفها وسيلة أساسية للتعامل مع المصادر الإسلامية الأصلية؛ لذا شيّدت مدارس حكومية خاصة تستخدم اللغة العربية كلغة تدريس لأغلبية موادها. وعلى رأس هذه المدارس مدرسة حسن البلقية الثانوية العربية التي أشرت إليها آنفاً، وهي المدرسة الوحيدة التي تنسب إلى جلالة السلطان حسن البلقية ثم معهده لتحفيظ القرآن. وفي مقابل هذا التقديس لا أنكر احتمالية وجود نسبة من السكان تعادي اللغة الغربية ويتهمونها بأنها لغة متخلفة، ويتأثرون بما تنشره الوسائل الإعلامية من خلافات سياسية وحروب ومشاكل في بعض الدول العربية.

يواجه البروناويون تحدّيات كثيرة في تعلم اللغة العربية وتعليمها، وتتمثل أبرز التحدّيات لتعليم اللغة العربية ببروناي في النظرة إلى اللغة العربية حيث ينظر المعلمون إلى اللغة العربية كميزة إضافية للمسلمين لا أساسية. ويبدو في الوهلة الأولى عند سماع هذا الرأي أنه مقبول أو لا بأس به وخاصة إن كانت النظرة خرجت من العوام الذين تربّوا التربية الغربية. ولكنني أراها خطيرة وتترتب عليها آثار سلبية في السياسة التربوية تخص لغة كلام الله، وهذه الظاهرة جانب من جوانب أزمة

الهوية التي تتحدى الأمة الإسلامية في هذا العصر. وتصحيح هذه النظرة من أكبر التحدّيات التي تواجهنا، فعلينا إقناع المسلمين بأن اللغة العربية ليست ميزة إضافية بل هي ميزة أساسية لا بد منها كعنصر أساسي في تكوين كل مسلم بغض النظر عن اختلاف شعوبهم وقبائلهم، وتعلّم اللغة العربية ضروري، وإن اختلفت نسبة اللغة العربية التي يجب على كل مسلم تعلّمها. ويعترف الإسلام بطبيعة اختلاف ألسنة البشر ومن ثمّ حثّ المؤمنَ على التعرّف، وتعلّم لغات أخرى بجانب لغته الأولى، وتكون العربية الفصحى هي الأولى.

والنظرة الأخرى التي لا بد من تصحيحها كذلك اتّهام العربية بأنها لغة صعبة، مع أن الله قد أنزل في القرآن الكريم قوله: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ في سورة طه، وقال في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾، وبهذا الخصوص أتذكّر حوارا بيني وأحد كبار المسؤولين عن الإسلام في بروناي عندما قلت له أن نظام حصر عدد المقبولين في المدارس العربية يؤدّي إلى قلة عدد البروناويين الذين يفهم القرآن، واعترف بذلك ولكن قال: أليس هذا جيد؟ أن هذه المدارس لا تناسب إلا للأذكياء فقط، ولا أريد أن أناقشه الموضوع واكتفيت بسؤال: «إذا كان حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلّم معنا، هل يرضي بهذا القرار؟» رفع شأن القرآن ولغته لا يعني أنها وُضعت في مكانة عالية ندّعي أننا لا نستطيع الوصول إلى فهمها وبالتالي لا نحاول أن نتدبّره، والأسوأ من ذلك أن نتهم لغته بكونها صعبة، ثم يترتب على هذه النظرة الخطيرة انتشار فكرة أن تعلم وفهم القرآن للأذكياء فقط، كأنه يعظّم من شأن القرآن ولكنه مرض فكري يضعف المسلمين ويقلل من عدد المسلمين الذين يفهمون القرآن. فتصحيح هذه النظرة أمر أساسي؛ لأنها تؤثر في فكر الإنسان وقراراته. إن أوضاع تعليم اللغة العربية في بعض المؤسسات التعليمية في بروناي مؤسف حيث وضعت اللغة العربية في بعض النظم التربوية كمادة من المواد

الاختيارية تدرس في بعض الفصول بينما وضعت لغة أجنبية أخرى كمادة ضرورية يتعلّمها كل طالب وفي جميع المراحل الدراسية بل والجامعية.

ولقد ذكر التاريخ نماذج من أعلام الأعاجم الذين برعوا في اللغة العربية وأصبحوا علماء وذلك لأنهم بذلوا جهودهم في تعلّمها، وليس هذا فحسب بل سمعنا أن بعض المستشرقين قادرون على فهم القرآن الكريم مما أكد القول: كم من العجم أحبوا اللغة العربية فأعطتهم حتى سبروا أغوارها.

ويوجد من عامة العرب من يتعجب من جدية أعجمي في تعلّم اللغة العربية وخاصة في العصر الذي تسود الحضارة الغربية من خلال التقنيات الحديثة والإنترنت، بل هناك من يسألني: ماذا ستستفيد من تعلّم هذه اللغة؟ لأنه لا يرى في اللغة العربية ما يفيده، وأقول لهم هل سمعت من يقول "مسكين وخسارة لمن لا يعرف الإنجليزية فلا يفهم كلام الناس، ولكنني أقول مسكين وخسارة لمن لا يفهم اللغة العربية فلا يفهم كلام رب الناس. هذه هي الخسارة الحقيقية، وهل من فائدة عظمى بعد فهم كلام رب العالمين؟

شاركت في مؤتمر عقدته جامعة في إحدى الدول العربية، وعرضت على الحاضرين نتيجة بحثي حول ممارسة المسلمين في تعليم اللغة العربية لهدف فهم القرآن الكريم. وقلت لسادات العرب الحاضرين في قاعة المؤتمر بأنهم محظوظون لكونهم عربيا يعرفون اللغة العربية ويفهمون القرآن الكريم، وأما الأجانب فعليهم بذل الجهود أكثر، وقد لا يفهمون أقصر سور من القرآن الكريم وهي سورة الكوثر وخاصة معنى الآية الأخيرة منها «إن شانئك هو الأبتر»، وكذلك لا يعرف الكثير معنى كلمة «إيلاف» من سورة قريش مع أن هاتين السورتين من أقصر السور في القرآن الكريم وهما من بين السور التي تسمى لدى المسلمين الملايويين بالسور اللازمة أي كل المسلم لازم أن يعرفها. وعندئذ قام أحد العرب وقال لي: سلهم! وهو يشير إلى الحاضرين،

قد يقول قائل إن تلك الكلمات خاصة بالقرآن الكريم والتي قد لا يفهمها بعض العرب أنفسهم لأنها لم تستخدم في كلامهم اليومي، ونرى أن المراجع والمصادر لفهم معاني الآيات القرآنية متوفّرة وتكفي لفهمها فهما لغوياً، ويكفي للمسلم بأن يبذل قدرا من جهده إن أراد ذلك. ولما رجعت إلى بلدي سألت أحد إخوتي الذي لم يحظ فرصة الدراسة في المرحلة الجامعية إن كان يفهم سورة الفاتحة وقال لي إنه يفهمها، وسألت كيف يفهمها؟ وأخبرني بأنه تعلّمها من أحد. ويتضح الأمر، من يتعلّم سورة الكوثر يفهمها، ومن يتعلم سورة الفاتحة يفهمها ومن يتعلم القرآن يفهمه. والقضية الأساسية تتعلق باهتمام المرء بتعلّم القرآن الكريم، وبوصفي أجنبيا لا أصل إلى درجة الإتقان بمعنى الإتقان الكامل للغة العربية، وعندما درست في مرحلة الماجستير كانت من المواد التي تدرس فيه ما يسمى بالدراسة المتقدمة في اللغة العربية، وتحتوي المادة على قصائد الشعر الجاهلي ولم أستطع استيعابها مهما حاولت، والتمست من زملائي العرب ليشرحوا لي ولم أدرك سوى معانيها السطحية، واهتمامي كان فهم القرآن الكريم. ولا أتذكر كل معاني لكلمات القرآن الكريم. ومن الجهود التي بذلتها كانت قراءة القرآن الكريم من أول سورة الفاتحة وإلى سورة الناس وكتابة كل الكلمات التي لم أفهمها ثم أنظر إلى ترجمتها وأكتب الكلمات ومعانيها في دفتري الخاص.

وتلبية للآية ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ قمت بإعداد برنامج للطلبة في الجامعة سميته بالمدّكر وهو يهدف إلى مداومة القرآن، وفهمه فهماً لغويّاً، وتنمية مهارة الطلبة في تقديم الأفكار شفهيّا. وأن يقرأ الطالب ما لا يقل عن سبع صفحات من القرآن الكريم في كل الأسبوع مبتدئاً بالجزء الأول، وأن يسجل الطالب (في الدفتر الخاص) الكلمات أو العبارات التي لم يفهمها أو يريد مناقشتها مع الأستاذ المرشد ويراجع كتاب مصحف بروناي دار السلام وترجمته للتعرف على مفهومها،

وأن يقابل الطالب الأستاذ المرشد في كل أسبوع (على الأقل مرة واحدة) ويقدّم تقريرا شفهياً لما جمعه من كلمات القرآن الكريم، وأن يتأكد الطالب من توقيع الأستاذ المرشد له في كل مقابلة. لم يلتزم الطلبة بهذا البرنامج إلا قليلا. لا توجد إحصائية عن عدد المسلمين في بروناي الذين يفهمون السور القصيرة من القرآن الكريم، لكن أظن أنها لا تتجاوز واحد في المائة، ولا أقصد بفهم القرآن الكريم أن يفهموه كما يفهمه المفسرون، وإنما فهما لغويا بسيطا للآيات التي تقرأ في الصلاة مثلاً، وإن لم أصل أنا شخصيا إلى درجة الإتقان للغة العربية ولكني أشعر بأنني من المحظوظين لما تلقيت من فرص تعلم القرآن التي أُتيحت لي، وأمام هذا الواقع للغة العربية في بلادي أشعر بالمسؤولية عن توفير مثل هذه الفرص التي أتيحت للآخرين أو أفضل منها، ولذا أحاول ترغيب أبنائي في تعلّم هذه اللغة وأستمر في اغتنام أي فرص ممكنة لأجل إسهام بأي قدر نحو تحسين الوضع، وكُلّي أمل أن تسترجع لغة القرآن مكانتها اللائقة بها.

وبجانب مشكلة قلة فرص ممارسة الكلام باللغة العربية، يعاني الكاتب من مشاكل كثيرة في تعلم اللغة العربية وتتمثل في بعض الصعوبات الصوتية، والصرفية، والدلالية، والنحوية، والبلاغية، والأدبية التي تختلف كثيرا عن لغته الأم الملايوية، وتضاف إليها المشاكل التعليمية الأخرى مثل بُعد البيئة العربية، قلة المعلمين المؤهلين، وغيرها بحيث لا أستطيع أن أذكر تفاصيلها، وأكتفي في هذا المقال بذكر بعض نماذجها على سبيل المثال لا الحصر.

من المعلوم أنه ليست هنالك علاقة عرقية بين لغة الكاتب الملايوية واللغة العربية، أي أنهما ليستا من أسرة لغوية واحدة، فمن ثمَّ نجد بينهما فروقا وخلافات لغوية كبيرة، من بينها خلافات صوتية بحيث أن أربعة عشر صوتا صامتا من الحروف العربية لا توجد في اللغة الملاوية، فعلى المتعلم الملايوي مثل الكاتب تعلّم

هذه الحروف وتدرب على تمييزها والنطق بها، كما يعاني الكاتب في التمييز بين الحركات العربية الطويلة والقصيرة لعدم وجود مثل هذا النظام في لغته الملايوية، وعلى الرغم من طول مدّة تعلمه للغة العربية يخطئ في التمييز بينهما في بعض الأحيان وآخر تلك الأخطاء ما حدث للكاتب في العام الماضي في حوار مع أحد الضيوف العرب في عشاء نظّمته إحدى مؤتمرات بروناي، فقال الضيف العربي: «هل المطر هنا كتير؟» وردّ عليه الكاتب: «لا، مطار واحد فقط» وكان العربيّ يقصد «المطر» وسمعه الكاتب «المطار». وطبعا الموقف الذي تبادر إلى ذهن الكاتب أن العربيّ جاء من السفر وسيسافر في اليوم الذي يليه، فتوقّع أنه يسأل على المطار وليس المطر.

وواقع آخر يتعلق بالصعوبة الصوتية رأيته بين أحد المحاضرين العرب الذي يدرس الشريعة في جامعة بروناي في شكل حوار بينه وإحدى طالباته في فناء الكلية حيث قالت له الطالبة: «أريد أن أقبّلك يا أستاذ» وهي تعني «أقابلك» والحقيقة كان الأستاذ يفهم ماذا تقصد الطالبة ومع ذلك يواصل الأستاذ الحوار قائلا: «متى تريدين؟» قالت «من الساعة العاشرة إلى الساعة الحادية عشرة» ويبتسم الأستاذ ثم سأل: «أين؟» قالت «في مكتبك» فضحك الأستاذ وقال «إن شاء الله»، عندما استمعت إلى هذه القصة ابتسمت وفكّرت هل أضحك أو أبكى؟ أليس تصحيح الخطأ هو الأولى بل أوجب؟

ومن أهم المشاكل التعليمية التي يراها الكاتب طريقة تدريس اللغة العربية، فيتعامل المعلمون مع تدريس اللغة العربية بالطريقة نفسها التي يُدرّسون بها مواد أخرى مثل الفقه والتوحيد وغيرهما بحيث يقدم المعلم معلومات عن اللغة أو الدرس، ويُهمل جانب المهارات، ومن المواقف التي مرّ بها الكاتب أن رئيس قسم الشريعة الإسلامية أتاه يوما طالبا منه إعداد مادة إضافية في النحو العربي مدّعيا «أن الطلاب بقسمه ضعفاء في اللغة العربية ويخطئون في القراءة (الجهرية)»، وتلك حالة

شائعة في النظام التعليمي للغة العربية وهي أن ضعف القراءة يُفسر بأنه ضعف في تعلّم النحو، وهذا يُشير إلى مشكلتين: الأولى تصوّر المعلمين المغلوط حول مفهوم اللغة ومهاراتها وعدم وضوح أهداف تعليمها، فشاع لدى الكثير من المعلمين أن تعلّم اللغة العربية يعني تعلم النحو العربي، والمشكلة الثانية: أنهم لا يتعاملون مع مشكلة مهارة القراءة بشكل مباشر بتنمية قدرة الطلاب على القراءة فلماذا لا يطلب دروسا في القراءة حتى يتعلم الطلاب القراءة الصحيحة ووسائل فهم النصوص التي يقرأونها.

لم يخطر في بالي بأن أكون معلما اللغة العربية حتى بعدما تخرّجت من الجامعة، ولم أكن من بين المتفوقين في دفعتي، وعينت معلما في مدرسة حكومية غير العربية لعدة شهور ثم عينت معيدا في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة بروناي دار السلام أنسق حصص المناقشات للمواد الإسلامية واللغة العربية، واستشرت عميد الكلية آنذاك د. مغفور عثمان في مجالات تحتاج إليها الكلية لأدرس فيها بمرحلة الماجستير وأشار عليّ إلى اللغة العربية.

في البداية تقدمت بطلب للالتحاق بالجامعة الأردنية ولم أحظ بالقبول ثم عرض عليّ السيد عميد الكلية فكرة الدراسة في السودان وتحدّاني وقبلته، وتجاربي في تقديم طلب الدراسة في السودان لم يكن ميسّرا في بدايته، وبذلت جهودا وأرسلت طلبات عبر عدّة وسائل منها البريد السريع، وعبر السفارة السودانية في كوالا لمبور ومساعدة الأساتذة السودانيين الموجودين معي في الكلية، ولم أجد أي رد من الخرطوم إلى أن قررت بالسفر إليها، طلبت الإجازة عن العمل وقطعت التذكرة ومررت بجدّة وطلبت فيها تأشيرة دخول السودان بالمساعدة من القنصلية البروناوية هناك. ووصلت الخرطوم بالسلامة وركبت سيارة الأجرة إلى المعهد وقابلت مديره

بروفيسور هاشم حسن عبيد رحمه الله وسلّمت إليه الطلب وقبل أوراقي كطالب في المعهد، وعندئذ تذكرت قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ سررت بهذا القبول، وانتظمت في الدراسة والحضور في حصص المحاضرات. لكن كان لا بد من أن أعود إلى بروناي لإتمام الإجراءات اللازمة من الحصول على الإجازة الدراسية أثناء الخدمة وغيرها من المتطلبات، وتقدمت مرة أخرى بطلب تأجيل الدراسة إلى الدفعة القادمة وعدت إلى بروناي ثم أتيت إلى السودان مع زوجتي وابني محمد الأمين وهو عمره أربعة أشهر فقط، ومن هنا بدأت أتعلم اللغة العربية وعلومها وعلوم تعليمها، وحضرت كل المحاضرات في ثلاثة فصول ثم كتبت بحث التخرج في الفصل الرابع وهو الأخير، وأعتقد أن هذه هي أهم اللحظات التي تعلمت فيها اللغة العربية وأمارسها من خلال التعامل مع الزملاء وأسرة المعهد، والناس في الأسواق والشوارع وزادت ثقتي في نفسي وإن كنت أتذكر شكواي إلى أحد أساتذتي عن ضعفي في اللغة العربية وأنا في أواخر أيامي في السودان.

وعودة إلى تاريخ اللغة العربية في النظام التعليمي في سلطنة بروناي سنجد أن الإنجليزية هي اللغة الثانية لذا فهي لغتي الثانية، كما هو الوضع لجل البروناويين حيث تدرّس اللغة الإنجليزية منذ بداية الدراسة الرسمية في النظام التربوي في المدارس الحكومية ببروناي، ويقوم معلمون إنجليز بتدريسها في معظم المدارس الحكومية، فرغم أن بروناي جعلت الإسلام دينا رسميا كما ينص على ذلك الدستور، بل إن بروناي كما أعلن جلالة السلطان مؤخرا دولة الذكر أي تتحلى بالذكر شعبا وحكومة، فالإسلام له حضوره منذ تولي السلطان الشريف علي الرجل العربي حكم سلطنة بروناي فجهوده من أهم أسباب نشر الإسلام وحضارته في سلطنة بروناي القديمة، واستمرّت جهود سلاطين بروناي باختلاف إنجازاتهم إلى عهد السلطان

عمر علي سيف الدين الثالث الذي يعد المؤسس لما وصلت إليه بروناي في العصر الحديث. ومن جانب آخر تأثرت بروناي - بوصفها دولة صغيرة من الدول النامية - بتاريخها وهي مستعمرة بريطانيا كما هي حالة الدول المجاورة لبروناي حيث خضعت عقودا من الزمن للاستعمار البريطاني، فأنشأت السلطة الاستعمارية مدارسها الحديثة، وجعلوا للغة الإنجليزية مكانة مهمة في مناهجها المدرسيّة، ولا يورث الاستعمار لغته فحسب وإنما يورث أنصار هذه اللغة من البروناويين الذين يقومون بتعليمها في بروناي وفي بعص الدول المجاورة لها.

وبواقع سيادة اللغة الإنجليزية عالميا لا ننكرها، يتمتع متعلّم اللغة الإنجليزية بفرص ممارستها سماعا وكلاما وقراءة وكتابة، ويُعَدّ من يجيد الإنجليزية مثقفا كما هو في الشائع بين الناس في الدول النامية خاصة، ولا يُستثنى بعض العرب حيث حدث معي عدّة تجارب أكلم العرب باللغة العربية ويرد عليّ باللغة الإنجليزية. لا أنكر أهمية اللغة الإنجليزية، وعندما كنت في السنة الثانية العليا بالمدرسة ألزمت نفسي بكتابة مذكرتي الشخصية باللغتين العربية والإنجليزية متتالية اليوم، وبهذا أتدرب على الكتابة بهما إلى أن أتحوّل إلى اللغة العربية وحدها وجعلت لها مكانة فريدة في نفسي قبل غيرها وبنيت البيئة العربية داخل نفسي قبل خارجها.

ونظرا لأهمية اللغة العربية في حياة البروناويين المسلمين حاولت الحكومة إدخال مادة اللغة العربية في مدارسها كما أنشأت مدرسة عربية إظهاراً لعنايتها بها، وسُررت بآخر تطور في النظام التعليمي ببروناي بتعليم اللغة العربية في جميع المدارس الدينية الحكومية من بداية عام ٢٠١١م ثمّ إلزام جميع المواطنين المسلمين قانونياً الالتحاق بالمدارس الدينية إضافة إلى المدارس الحكومية العامة، وهذه الخطوة مهمة وتحتاج إلى الدعم المستمر من جوانب عدة أهمها جودة التعليم، وأرى أن فينا خيراً وأملاً لأبناء المسلمين في بروناي لاسيما طموح جلالة السلطان الكبير إلي نشر القرآن ولغته وحث

المسؤولين على النهوض بتعليم اللغة العربية.

عامة يتطور وضع تعليم اللغة العربية بالسلطنة ومن أهم الأمور التي أراها تحتاج إلى تحسين مناهج تعليم اللغة العربية بكل جوانبها، فمثلا لا تكون الأهداف عامة فضفاضة فيقولون بصفة عامة الهدف هو فهم اللغة والإفهام بها، وإنما ينبغي تحديد اللغة أو العبارات المقصودة لكل مرحلة من المراحل الدراسية، وإذا افترضنا أن تعليم اللغة العربية يهدف إلى تمكين الطلبة من فهم القرآن مثلا علينا إعداد مناهج الكفاءة اللغوية التي تؤهّل الطالب وتفيدهم في فهم القرآن الكريم، قد تصعب صياغة تفاصيل لكل خصائص المعرفة والمهارات اللغوية التي يقصدها منهج من المناهج التعليمية للغة العربية، ولكن ذلك ليس عذراً لعدم الاعتماد عليه، بناء على أنه كلما كانت الأهداف مكتوبة في صياغات واضحة كلما أفادت المعلّمين في إعداد خطة التدريس وأدائها لذا يقترح الباحث على المعنيين بقسم المناهج وضع أهداف تعليم اللغة العربية وكتابتها لجميع مراحل تعليمها قبل أن يحدّد أو يعدّ الكتب المقررة لها.

ومن الجدير بالذكر كذلك إعداد الدروس المناسبة مع المواد الأخرى التي يتعلمها الطالب؛ لتكون مقرَّرة للغة العربية بناءً على أساس أن تعلّم اللغة العربية وسيلة لفهم الدروس والمواد الأخرى، واستناداً إلى إمكانية قسم المناهج لإعداد الكتب المقررة للمواد الدينية في المدارس العربية أقترح إعداد كتاب مقرر لمواد اللغة العربية يناسب حاجات الطالب ومستواهم – من الحوار بين الطالب ومعلّمه داخل الصف ومثل طرح الأسئلة عند عدم فهم الدرس، والاستئذان بالخروج والغياب، والاعتذار عند الخطأ، والحديث عن نفسه وزميله، والحديث عما يدرسه من المواد للسنة التي هو فيها وغيرها – لكي يتمكن من تعلّم اللغة العربية وممارستها واستخدامها وتذوّقها، وقد يمتثل في الإعداد بأسلوب أي كتاب تعليم اللغة العربية المعروفة مثل سلسلة كتب «العربية للناشئين» أو «العربية بين يديك» بوصفها من أفضل الكتب من ناحية

تنظيم الدروس وتدريباتها؛ ونظراً لتأخُّر تعليم اللغة العربية في بروناي نقترح مبادرة تعليمها وتوسيع نطاقها إلى كل المدارس الحكومية العامة للاستفادة من سن الطالب المبكِّر المناسب لتعلُّم اللغة، وتخصيص المراحل الدراسية الأولية لتنمية المهارات اللغوية باستخدام اللغة العربية في موادها المناسبة، ثم تأهيل المعلمين وتطبيق مناهج تعليم اللغة السليمة في تعليم الطالب وتدريبه وتشجيعه على ممارسة ما قد تعلمه والتدرُّب عليه، وجعل جانب تعلُّم الطالب ركيزة أساسية في التعليم.

وقبل الختام أذكر من ذكرياتي أثناء رحلتي البرية من سنغافورة إلى الصين باحثا عن المسلمين الذين يفهمون اللغة العربية، وصلت مدينة بانكوك بعد ساعات طويلة في الرحلة من مدينة هادياي، وفي انتظار موعد القطار المتجه إلى حدود لاوس بشمال تايلاند خرجت إلى مسجد في بانكوك، وجلست فيه وأسأل اخوتي الجماعة من يتحدث منهم اللغة العربية، وقالوا لي «كلمنا الانجليزية!!!» وتستمر الظاهرة ساعات إلى أن يأتي شاب وكلّمني باللغة العربية، وسألته أين تعلم العربية؟ (ظننته تعلمها في ماليزيا) فقال لي إنه تعلمها في فطاني (ولاية بجنوب تايلاند) والحمد لله الذي علمنا لغة كلامه.

لماذا طلبوا مني أن أكلمهم باللغة الإنجليزية (وكنا في مسجد)؟ لأنهم يفهمونها، وكيف فهموا الانجليزية؟ قد تعلّموها، وكيف يمكن أن يتعلموها؟ أكيد هناك من علّمهم الإنجليزية.

وهذا من الوقائع في حياتنا اليوم، والسؤال موجّه إلينا: هل علّمنا أولادنا العربية؟ هل وفّرنا لأبناء أمتنا حقوقهم في تعلّم لغة كلام الله؟ ألم نقل إنّ تعلّم اللغة العربية واجب؟ وإذا كان تعلّمها واجبا أليس تعليمها أوجب؟ كيف تتعلّم الأمة إن لم نوفّر لأبنائها فرصاً كافية للتعلم؟

وفي الختام أود أن أسجل شكري وتقديري لجلالة سلطان بروناي على اهتمامه

البالغ بشأن الإسلام والأمة عامة وباللغة العربية خاصة حيث قد أوفى واجبه نحو المسلمين في بروناي ووفّر لهم فرصاً لتعلمها بشكل مستمر عبر كلماته المترتبة عليها قرارات الحكومة لصالح الأمة، ونسأل الله له حسنات لكل حرف تعّلمه المسلمون في بروناي، وما يقوم به المعلمون وجميع الذين يواصلون بذل جهودهم في سبيل نشر لغة القرآن الكريم وتعليمها، فهم جديرون بالتقدير. وختاماً أقول: ما أنا إلا دارس للغة العربية، فإذا كنت أصبت فهذا فضل من الله ومنة، وإن كنت أخطأت فحسبي من هذا العمل أنني قد اجتهدت، وأخيراً أدعو الله تعالى التوفيق، وأن ينفع ويساهم المقال بقدر متواضع في خدمة لغة القرآن الكريم.



طريقتي في تعلّم اللغة العربية

السيد جاويد حفيظ – باكستان

رئيس مركز إسلام آباد للدراسات السياسية،
وسفير سابق في عدد من الدول

– حصل على شهادة الماجستير في الاقتصاد وشهادة ماجستير أخرى في الدراسات الدفاعية والاستراتيجية.

–خدم في البعثات الباكستانية في كل من مصرَ، وسوريا، وكندا، والأردن، والمملكة العربية السعودية.

–عمل سفيراً لباكستان في كل من طاجيكستان وبورما واليونان وسَلطنةِ عُمان.

–عمل وكيلاً للشرق الأوسط وإفريقيا بوزارة الخارجية الباكستانية.

تعلمتُ اللغة العربية بعد التحاقي بالسلك الدبلوماسي الباكستاني في عام ١٩٧٢م، وكونها دولة إسلامية فإن باكستان تولي أهمية كبيرة لعلاقاتها مع الدول العربية فقررت الحكومة الباكستانية أن تدرب الدبلوماسيين الجدد على اللغات العالمية المهمة مثل اللغة الفرنسية والإسبانية والصينية والعربية، واخترت أن أقرأ اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن ولغة العالم العربي الذي كان على وشك التطور الاقتصادي والسياسي في أوائل السبعينيات.

وبدأت أتعلم اللغة العربية عام ١٩٧٢م في أكاديمية خصصت لتدريب الدبلوماسيين الجدد في مدينة لاهور، وكنا نقرأ المواد العديدة بما فيها الدبلوماسية وتاريخها والقانون الدولي والمنظمات الدولية والإدارة العامة واللغة العربية، وكان الأستاذ المعروف الدكتور ظهور أحمد أظهر يزور الأكاديمية مرتين كل أسبوع ويدرسنا اللغة العربية بطريقتين الطريقة المباشرة وغير المباشرة حيث كنا نتعلم القواعد الأساسية ونقرأ النصوص السهلة في نفس الوقت، وفي العام القادم أرسلتني الحكومة الباكستانية إلى الجامعة الأمريكية بالقاهرة حيث درست اللغة لمدة ستة أشهر فقط. وكنا نتدرب على اللغة العامية واللغة الفصحى في نفس الوقت ونقرأ الصحف اليومية مثل الأهرام والجمهورية كل يوم، وكنت أحاول أن أتحدث باللغة العربية مع المصريين في الجامعة وفي السوق حسب الإمكان، وقد تجاوزت المرحلة المتوسطة للغة العربية في الجامعة الأمريكية في مدة ستة أشهر، ونجحت في الدرجة الأولى في صف كان يضم الدبلوماسيين من اليابان ومبتعثين من شركات خاصة من كوريا الجنوبية ولكن مدة ستة أشهر لم تكن كافية لإتقان اللغة، وبعد مدة وجيزة انتقلت إلى مدينة دمشق التي كانت المكان الملائم لتعلم اللغة حيث لم تكن هناك مجلات أو صحف إنكليزية تصدر في سوريا آنذاك، وكان من مسؤولياتي بصفتي سكرتيراً ثالثاً في السفارة أن أقرأ الصحف العربية وأشاهد التلفزيون السوري وبعدها أفسر المستجدات لسعادة السفير

الباكستاني وزملائي في السفارة، وبعد دمشق تم انتقلت إلى كندا وانقطعت علاقتي باللغة العربية بصورة رسمية ولكن ظللت أحاول أن أتحدث مع الدبلوماسيين العرب في المناسبات بلغتهم، وبعد ذلك خدمت في دول عديدة منها الأردن والمملكة العربية السعودية، وكنت أتحدث باللغة العربية مع المسؤولين في الخارجية السعودية وأيضا أشرف على التراجم الرسمية في السفارة، كما كنت أحيانا أترجم بين كبار المسؤولين السعوديين وشخصيات هامة من باكستان تزور المملكة، ثم اشتغلت في دول عديدة أخرى غير العربية لمدة تزيد عن عشر سنوات وبعدها انتقلت إلى سلطنة عمان كمحطة أخيرة بصفتي سفيرا لباكستان فيها، واستعنت في سلطنة عمان بأستاذ سوداني في تعلم المزيد من اللغة وتحسينها تحدثا وكتابة، وهنا قمت بإلقاء محاضرة حول التطور الفكري للعلامة محمد إقبال الشاعر القومي لباكستان وكان عنوان المحاضرة هو (رحلة محمد إقبال من الشاعر الوطني الهندي إلى الشاعر الإسلامي) بجامعة سلطان قابوس بمدينة مسقط، وبعد تقاعدي رجعت إلى باكستان وبدعوة من قنوات عربية لها مكاتب في باكستان كنت أشارك بصفتي محللاً سياسياً للتطورات في باكستان والمنطقة.

وأما الطريقة التي تعلمت فيها العربية فلم تكن طريقة تقليدية، وكان حبي وشغفي باللغة يدفعني دائما إلى اتخاذ طرق مثل قراءة صحف ومجلات عربية ومشاهدة قنوات عربية ركبت لهذا الغرض في منزلي طبقا، وكنت -وما زلت- أتابع برامج الحوارات السياسية في قنوات مهمة أطلع من خلالها على آخر التطورات في المنطقة العربية واللغة السياسية.

وأما المناهج الدراسية التي تعلمت من خلالها فإن الجامعة الأمريكية في القاهرة تستعمل الكتب والنصوص التي أعدتها جامعة مشيغان الأمريكية من إعداد الكتاب اللبنانيين، وكنت أشتري أيضا كتبا أخرى بالعربية وأقرأها لتحسين لغتي في نفس الوقت، وكانت تستخدم الجامعة الأمريكية طرقا حديثة حتى في عام ١٩٧٤م مثل

المختبرات اللغوية لتعليم اللغة؛ لأن الاستماع جزء مهم في تعلم أي لغة يأتي بعده التحدث في اللغة الهدف.

وكان معنا في الصف خلال دراستنا بالجامعة الأمريكية طلاب من اليابان وكوريا الجنوبية وكان تفاعلهم مع اللغة العربية متميزاً جداً وكانوا مجتهدين كثيراً إلا أنهم لم يتمكنوا من التفوق علي في الصف بسبب كوني باكستانياً ولغتنا الأردية كونها لغة قريبة جداً من العربية كانت تساعدنا في كتابة العربية وفهمها كثيراً.

وأما نظرة المجتمع نحو اللغة العربية والمتحدثين بها فإن المجتمع الباكستاني يحترم أي شخص يتحدث باللغة العربية؛ لأن في نفوسهم شعوراً بقدسية اللغة العربية فنظرة مجتمعنا نحو العربية نظرة احترام كبير جداً.

وفي اعتقادي أن قواعد اللغة العربية صعبة إلى حد كبير مما يجعل تعلمها صعباً للمبتدئين وهذا ما كنا نواجهه في دروسنا أثناء تعلمنا للغة العربية، وهنا أقترح أن تقوم مجمعات اللغة العربية في العالم العربي بتبسيط القواعد العربية، وبناء الجمل باللغة العربية يختلف عن بنائها بالأردية في التذكير والتأنيث والموصوف والصفة وفي الأفعال أيضا وهذا يشكل تحدياً للمبتدئين يمكن اجتيازه بالاجتهاد والإمعان.

ومن أبرز المواقف الطريفة أثناء رحلة تعلم العربية أنني عندما كنت في مصر ذات مرة ذهبت إلى بقالة وكانت هناك سيدة باكستانية أخرى أيضا تتسوق فيها، وكما جرت عادة المصريين أنهم يسألون الزبائن في لهجتهم (حاجة ثانية؟)، وعندما وجه صاحب البقالة هذا السؤال للسيدة فأجابت (لا، لا، باكستانية)، وعامة الناس في الشوارع لا يفهمون الفصحى في القاهرة ومدن أخرى وهذا يسبب مشكلة بالنسبة للأجانب الذين يتخصصون بالجامعات المصرية.

وقد كان لإتقان اللغة العربية أثر كبير على حياتي الوظيفية في العديد من البلدان العربية خاصة وفي باكستان أيضا عامة. وخلال مشاركتي في برامج حية في قنوات

عربية حاولت أن أفسر مواقف باكستانية رسمية من قضايا الساعة الساخنة وتحسين صورة باكستان في عيون المشاهدين العرب، وساعدني في تحقيق ذلك معرفتي باللغة العربية كثيراً، وأثر الإتقان على حياتي الشخصية أيضاً؛ لأنني أستطيع أن أفهم الدين بصورة جيدة.

وإنني أشعر بالرضا كثيراً بعد إتقاني بالعربية؛ لأنني من جهة تعلمت لغة ومن جهة أخرى تحدثت مع إخواني العرب وكسبت صداقاتهم وقمت بخدمة بلدي أيضا بتحسين صورته في العالم العربي.

وقد تعلمت اللغة الفارسية أيضاً خلال دراستي في المرحلة الثانوية واستعملتها خلال وظيفتي في جمهورية طاجيكستان سفيرا لباكستان.

واللغة الفارسية سهلة مقارنة بالعربية وقواعدها أيضا سهلة، وتنتمي اللغة الفارسية والأردية إلى عائلة لغوية واحدة وهي اللغات الهندية الأوروبية.

وأما واقع تعليم اللغة العربية في باكستان فإن الشعب الباكستاني معروف بحبه للغة العربية فمن هذا المنطلق لا يحتاج شعبنا إلى من يرغبه في تعلم العربية. والدافع الأكبر للباكستانيين هو رغبتهم في فهم القرآن والحديث إلا أن عدد المراكز التي تعلم العربية في باكستان قليلة جداً لا تكفي لتلبية طلب الراغبين، وفي نفس الوقت هناك عدد ضئيل جدا في باكستان من يبدي معارضتهم للعربية أحيانا وخاصة عندما يناقش موضوع جعل العربية مادة إجبارية في المدارس.

ومن أبرز التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية في بلدنا هو أن العربية مازالت تفتقر إلى اهتمام حكومي نحو تعليمها بين الشعب الباكستاني، ورغم حب الباكستانيين للعربية لا يوجد عدد كاف لمعلمي العربية في باكستان.

وأما مستقبل تعليم العربية في باكستان فمن خلال تجربتي معها فإني أرى أنه مشرق؛ لأن الرغبة والحب في قلوب أهلها موجودة بكمالها.

وأقترح في تطوير تعليمها ما يأتي:

١ .تدريب معلمي اللغة العربية في البلاد العربية.

٢ .إنشاء مراكز كبيرة لتعليم العربية في جميع المدن الرئيسية أو العواصم الإقليمية على الأقل.

٣.تزويد مراكز العربية بالمختبرات الحديثة.

٤ .تدشين قنوات تلفزيونية عربية في باكستان.

٥.إصدار جرائد ومجلات عربية في باكستان.

٦ .تقديم منح دراسية للطلاب الباكستانيين لدراسة العربية في البلدان العربية.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.



تجاربي مع لسان الضاد

أ.د بهاء الدين محمد جمال الدين الندوي - الهند

نائب رئيس جامعة دار الهدى الإسلامية، كيرالا، الهند

- حصل على الدكتوراه والزمالة العلمية من جامعة كالكوت.
-ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة المحلية (المليالم).
-ألف عدداً من الكتب باللغة العربية وباللغة المليبارية.

أحمد الله -سبحانه وتعالى- حمداً كثيراً على أني ولدت وربيت في بيت علم وتقوى، حيث إن والدي الأستاذَ محمد جمال الدين كان يشتغل بالتعليم في دروس المساجد، التي كانت تعقد في مساجد القرى المسلمة على نمط الدرس النبوي- أهل الصفة - بمسجد رسول الله -ﷺ- في المدينة المنورة، وكثيرا ما كان الوالد يدرس الموضوعات الإسلامية والمواد اللغوية، كالنحو والصرف والبلاغة، من الكتب العربية.

وكنت أنا الولد الذكر الأول للعائلة، فقد ولدت بعد أختين، وهو ما دفعني لمصاحبة الوالد، وحضور نشاطاته التعليمية، وتدريسه كتب اللغة العربية.

ولما بدأتُ دراسة مبادئ الصرف والنحو كان يشجعني، ثم صار يختبرني في القواعد النحوية، ويمرنني على تصريف الأفعال كنوع من الرياضة اللغوية، ومما حفظت من الوالد في تلك الأيام قول الشاعر:

ومن طلب العلوم بغير نحو   سيدركها إذا شاب الغراب

ولتشجيعي على تعلم اللسان العربي أهداني والدي ذات مرة قصيدة عبارة عن قاموس صغير، تتضمن قرابة ألف لفظ عربي، مع معناها باللغة المحلية - المليبارية -، أو بالكلمات الإنجليزية الرائجة المشهورة في بعض الأحيان، والمعاني كانت مكتوبة بالعربية المليبارية، واسم هذه القصيدة (معجم المفردات)، ومفتتحها:

هاك بألفاظ زهاء ألف   مما بالاستعمال ذات إِلْفِ

ترجمتُها لتنفع الطلابا   وقارئي الأخبار والكتابا

ومن أبياتها المترجمة إلى المعاني الإنجليزية - على سبيل المثال-:

محكمة	Court	وقسم	Part
والقلب	Heart	وقصير	Short
والعزل	Suspend	صديق	Friend
وقوة للكهربا	Current	ومجلس النواب	Parliament
معسكر يقال	Cantonment		

وترتيب الحروف في هذا المعجم هو باعتبار نطق الحرف الأخير لمعنى الكلمة، بغض النظر عن الحرف الأول أو الأخير من اللفظ العربي.

وكانت هذه الواقعة في سن الثانية عشرة، وقد حفظت هذه القصيدة بكل نهم وشغف، مما ساعدني على الإلمام بعدد كبير من الألفاظ العربية مع معانيها في تلك الفترة الباكرة.

ولأن دراسة اللغة العربية لم تكن عندي مشروعا محدود الوقت، فإنها طالت إلى عقدين أو أكثر، حتى استغرقت فترة التعلم وأوائل فترات التعليم.

فقد درست كتب الصرف والنحو والبلاغة واللغة والعروض والقوافي والأدب ودواوين الجاهليين والمخضرمين والمحدثين وغيرها إبان فترات التعلم، ثم درَّستُ جميع هذه العلوم بالإضافة إلى القرآن والتفسير والحديث وغيرها، كما بدأت تعليم بعض المواد والصفوف باللغة العربية حتى أتقنتها، مما هيأ لي الطريق فيما بعد إلى ارتجال المحاضرات والمخاطبات، وإلقاء خطب الجمعة باللغة العربية في بعض مساجد الهند والإمارات وغيرها، دون النظر في الورقة.

والجدير بالذكر أنني حصلت على فرصة لإلقاء خطبة الجمعة -أكثر من مرة- في الجامع الكبير بحرم الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا أمام أكثر من ستين جنسية من الطلاب والعلماء والمثقفين والدكاترة، كما وفقني الله - تعالى- للمشاركة في عدد كبير من المؤتمرات الدولية، وألقيت فيها المحاضرات بلسان الضاد.

وأما المناهج التي كنت تعلمتها فكانت خصوصية هندية إلا في مراحل الكليات الحكومية من البكالوريا والماجستير، وقد استعددت لامتحانات هذه الشهادات شخصيا بدون الحضور المباشر في الفصول، وكانت بالانتساب.

وكان أول تدريسي للمرحلة الثانوية، ثم الثانوية العليا، ثم الليسانس، ثم الماجستير، وكنا ندرس الطلاب الكتب الدراسية في الأدب العربي واللغة والصرف

والنحو، وندربهم على تكوين الجمل، وعلى الإنشاء والتعريب من النواحي المتعددة، بهدف تمكينهم فيها، وتذليل العراقيل اللغوية على أساس مقولة الغابرين:

أول الغيث قطر ثم ينهمر

كما كنا نعقد جلسات أسبوعية يلقي فيها مجموعة معينة من الطلاب خطبا صغيرة باللغة العربية، وكان من نشاطات هذا القبيل تعيين بعض الحصص أو الأيام للطلاب لا يستخدمون فيها إلا اللغة العربية للمحاورات والمخاطبات.

وكانت انطباعات الطلاب وتفاعلاتهم بالنسبة لي إيجابية؛ لأن طلابي في المدارس والكليات كانوا جميعا مسلمين، فكنت أقدم أمامهم هذا اللسان المبارك، وأعرّفهم بأنه لسان القرآن- دستورنا نحن المسلمين-، ولغة نبينا وقائدنا وأسوتنا ومرشد الإنسانية محمد - صلى الله عليه وسلم - ولغة المسلمين الرسمية، يؤدون بها جمعهم وجماعاتهم وعباداتهم لله -تعالى-، فينجذبون إليها من هذه الوجهة، ومن ناحية أخرى فهي لغة بلدان الخليج العربي، التي يسكن فيها عدد كبير من الهنود، ولا سيما أهل كيرالا، كرجال الأعمال والموظفين والعمال، وأما الجانب النحوي والصرفي والبلاغي فقد استثقل على طائفة منهم، ولكنهم أدركوا أهميتها، وجبروها شيئا فشيئا بالمثابرة والاجتهاد.

وعلى كل حال فإن المجتمع يعطي للغة العربية مكانة مرموقة، كما أن الناس يكرمون ويحبون من يتكلم أو يجيد اللغة العربية، وإن في بلاد الهند- ولا سيما في أقصى جنوبها ولاية كيرالا- مدارس وكليات وجامعات حكومية تدرس فيها اللغة العربية؛ لأنها من اللغات الحية المهمة، وهي إحدى اللغات المعترف بها لدى هيئة الأمم المتحدة، كما أن عددًا لا بأس به من المجتمع يرسلون أولادهم إلى هذه المراكز لتعلم العربية.

ومما يلفت النظر -أيضاً - أن هناك شبكة من المدارس الأهلية المنظمة تشرف

على مناهجها التعليمية لجنة خاصة تحت إشراف جمعية العلماء لعموم كيرالا، وتعرف بـــــ سَمَسْتَا، وهي كلمة محلية بمعنى العموم الوارد في اسم الجمعية.

وتحت هذه الجمعية سجلت ٩٧٩٦ مدرسة أهلية حتى اليوم، وفي منهجها سلسلة لكتاب خاص باسم –لسان القرآن–، ويدرس حتى الثانوية العليا، كما أن نشاطات مختلفة عربية ضمنت في برامج الطلاب المتنوعة من المسابقات وغيرها، وعدد طلاب هذه المدارس الإجمالي حاليا يبلغ نحو (١٠٥٩٧٣٢) (٥٤٥٠٥١٠ من البنين + ٥١٤٦٨١ من البنات)، كما أن عددا كبيرا من الدور التعليمية الهندية الحكومية والأهلية يحتفل يوم ١٨ من ديسمبر كل سنة يوما للغة العربية وفق إعلان هيئة الأمم المتحدة. ولا يزال كاتب هذه السطور يشارك في مؤتمرات يوم اللغة العربية، ومن الجدير بالذكر –أيضاً – أن حكومة ولاية كيرالا بدأت تفكر وتحاور حول تأسيس جامعة عربية جديدة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على قبول اللغة العربية وأهميتها لدى سكان الولاية.

ومع أن اللغات في الهند متعددة ومتنوعة، إلا أن اللغة العربية لا تستخدم في أي من الولايات الثلاثين، كما توجد مشكلة عدم وجود كتب اللغة العربية وآدابها في المكتبات التجارية العامة في البلاد الهندية، إلا ما يوجد نادرا في مكتبات الكليات والجامعات التي بها أقسام أو شعب اللسان العربي مما يصعب على طلاب العربية وقرائها تحصيل هذه الكتب، حتى إن كتب المناهج الدراسية في البكالوريا والماجستير كثيرا ما تكون مجرد مرسومات أسماء كتب عربية في الأوراق والدلائل الجامعية، ولا يستطيع الطالب حتى مجرد إلقاء نظرة عليها، إلا أن الأساتذة يعطون بعض الملحوظات أو البيانات أو الموجزات حول المواد المقررة، والطلاب ينسخونها، ويكتبونها في الكراسات .

ومن الصعوبات الأخرى التي أحسست بها تعدد اللهجات العربية وتنوع

أساليبها في العالم العربي، وكنت قد بدأت أسفاري إلى البلاد العربية منذ أكثر من ثلاثين سنة، وزرت أكثرها، فوجدت لهجات البلاد مختلفة، مما يصعب على عجمي استخدامها والإحاطة بها، فالتزمت وتمسكت بالفصحى، ووجدت أن القرآن الكريم الذي أنزل بلسان عربي مبين هو الحبل المتين، وهو الذي يقيد أصحاب اللهجات المتعددة، واللحون المختلفة، والأساليب المتنوعة.

ومن أبرز المواقف الطريفة - وفي الوقت نفسه من أسوئها- في تعليم اللغة العربية بالهند اتخاذ الإنجليزية لغةً التعليم والتدريس في الكليات والجامعات الحكومية، مما يضيع تلك الفرص الموجودة- مهما كانت قليلة- في المرافق الحكومية لتعليم لغة الضاد، فيصيرون كمن يبحث عن النار، وينفخ في الرماد؛ لأن جل أساتذة الأقسام- إن لم يكونوا كلهم- ليسوا بأكفاء في اللغة، بل بغاث تستنسر، ولا يجيدون إلقاء المحاضرات أو الدروس بالعربية، كما أن أكثرهم لا يحسنون قواعد الصرف والنحو، فضلا عن البلاغة، ومما يزيد الطين بلة أن بعضهم يتفوهون ويتشدقون ويدعون أن «الهدف المهم من دراسة اللغة هو تبادل المعاني والآراء والأفكار، وهذا لا يحتاج إلى إجادة النحو والصرف»!. وماذا سوف يفعلون إذا قال زيد: إن عمرو باكيا؟، أو إذا سألت صبية والدها: ما أجملَ السماءَ؟، أو إذا قرأ عامي: ﴿إن الله بريء من المشركين ورسولِه﴾، في هذه الحالة لا يكون لهم بد إلا أن يرجعوا بخفي حنين، وهذا الموقف السلبي المبني على قلة البضاعة يذكر بقول الشاعر:

سارت مُشرّقة وسرت مُغرّبا ... شتّان بين مُشرّق ومُغرّب

وأما الجامعات والكليات الإسلامية الأهلية ومعاهد المساجد فكلها تهتم بالنحو والصرف وسائر العلوم العربية، إلا أنه لا بد لهم من إيجاد فرص كثيرة للطلاب لإلقاء الخطب والمحاضرات والمحاورات فيما بينهم باللغة العربية؛ لكي يتمكنوا منها.

وبعد ما أتقنت اللغة - ولله الحمد والشكر- فإنها لا تزال تؤثر في حياتي؛ لأن

أولادي التسعة- من البنين والبنات- كلهم أجادوا اللغة العربية كما أن جلهم يدرسونها للطلاب الكبار، وكان فضل الله عليَّ عظيماً، فقد شاركت في عدد من المؤتمرات الدولية المنعقدة في الدول العربية وغيرها، وألقيت فيها محاضرات وكلمات ومداخلات، وحاورت كبار الدكاترة والكتاب والمفكرين ووزراء وسفراء البلدان العربية وقناصلها، مثل شيخ الأزهر والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ورؤساء الجامعات العربية والإسلامية ونوابهم، كما كان لي حوارات مع الإذاعات والتلفازات العربية.

وأما من حيث الوظيفة فلا أزال أخدم اللغة العربية بتعليمها وإجادتها، والإلمام بقواعدها وآلاتها، والتمرن على المحادثة، وإلقاء المحاضرات بها لعدد كبير من الجيل الحديث؛ لأن جامعة دار الهدى الإسلامية تهتم بهذه اللغة الميمونة اهتماما بالغا، وتدرِّسها إجباريًّا، حيث إنه يتحتم على كل طالب - طوال المراحل الأربعة: الثانوية والثانوية العليا والبكالوريا والليسانس- دراسة اللسان العربي مع جميع علومه وقواعده، حتى العروض والقوافي، كما يمهرون في الإنشاء العربي والتعريب من الإنجليزية والأردوية والمليبارية والعربية، والترجمة إلى هذه اللغات.

وفي حرمها المركزي مع فروعها الثلاثين داخل كيرالا وخارجها أكثر من ستة آلاف طالب، كلهم يدرسون اللسان العربي، ويجيدونه، كما أن عدداً كبيراً من خريجيها أساتذةٌ ودكاترةٌ ومدرسون يعلمونه في شتى المعاهد ودور التعليم والكليات والجامعات، ما بين أهلية وحكومية، وفي ميادين واسعة داخل الهند وخارجها.

وبهذه المهارة الأدبية والنبوغ الفائق انتخب متسابقان من أبناء الجامعة لإلقاء خطبة بلسان الضاد في المجلس العمومي لهيئة الأمم المتحدة بنيويورك، وقد ألقيا الخطبة في ٢١/ ٧/ ٢٠١٧م.

ولا يسعني إلا أن أحمد الله - جل ذكره، وعز ثناؤه - على أن وفقني لدراسة اللغة العربية في هذه البلاد العجمية والعلمانية، كما أني أحبها من أعماق قلبي؛ لأني كنت حفظت هذا الحديث النبوي في عنفوان شبابي: «أَحِبُّوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي»، بالإضافة إلى ما جاء في الأخبار: «تعلموا العربية، وعلموها الناس».

فاعتزمت بعد إلمامي بها على ألا آلوا جهداً في خدمة هذه اللغة، ونشر رسالتها، وتكوين جيل جديد في بلد عجمي يأخذ بزمام هذا اللسان، وينقله إلى أجيال قادمة، والحمد لله على تحقيق هذه الأمنية خلال مدة يسيرة، حيث إن أبناء جامعة دار الهدى الإسلامية منتشرون في عدد من بلدان آسيا وأوروبا وأفريقيا وأستراليا، ولا سيما في بلاد الخليج العربي، وأسأل المولى القدير مزيداً من العناية والمواهب والتوفيق.

وأما إحساسي في تجارب تعلم اللغة العربية وتعليمها فكانت وحيدة مستقلة، مفقودة عند المقارنة مع دراسة لغات أخرى، فقد كنت بدأت دراسة اللغة الإنجليزية منذ المرحلة الابتدائية الحكومية، واللغة الهندية منذ الثانوية، واللغة الأردية منذ التحاقي بجامعة دار العلوم ندوة العلماء بلكهنؤو في شمال الهند، فلم أجد في تعلم هذه اللغات – إضافة الى اللغة الأم مليالم– ما وجدته من الجاذبية النفسانية والاندفاعات الداخلية المثابرة في دراسة لغة الضاد ومحاورتها واستخدامها في المحادثات مع العرب أو غيرهم، مع أن قوانين وقواعد الصرف والنحو وغيرهما كانت صعبة وعسيرة في سائر اللغات، ولا حاجة هنا إلى تفصيل وبيان مزايا اللسان العربي وميزاته.

وإن واقع تعليم اللغة العربية في الهند حاليا لمؤسف جدا؛ لأن نسبة مسلمي البلاد كبيرة، حتى إنها ثاني دول العالم -بعد إندونيسيا- من حيث عدد المسلمين، ولكن تعليم اللغة العربية لا يوجد إلا في قليل من الجامعات والكليات الحكومية، وأما هذه المدارس فاللسان العربي فيها اختياري لا يوجد فيها إلا عدد قليل من الدارسين؛ كما أن الدراسة في الكليات وأقسام الجامعات لا تسمن ولا تغني من جوع؛ لأن المدرسين قليلو البضاعة، فلا يقدرون على التعليم إلا بالإنجليزية، مما يُصَعِّبُ على الطلاب دراسة اللغة العربية، فتتحقق فيهم مقولة الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفا، وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء

فالطلاب في المناهج الحكومية يقضون سنوات عدة -ما بين الثانوية والثانوية

العليا والبكالوريا والماجستير- في تعلم لسان الضاد، ولا يستطيعون مطالعة كتاب عربي، أو إلقاء خطبة صغيرة أو المحادثة مع ضيف من البلاد العربية، أو إنشاء بعض الجمل أو العبارات، فيكونون أندم من الكُسعي.

أما صورة ولاية كيرالا فمختلفة جدا؛ لأن حكومة الولاية تهتم بتعليم اللغة العربية في مدارسها، والفضل في هذا يرجع إلى إحدى المنظمات السياسية، وهي الرابطة المسلمة (Muslim League)، وكان وزراء التعليم في الوزارات السابقة من هذه المنظمة لعدة سنوات، فعلى سبيل المثال مدارس كيرالا الحكومية التي تدرس فيها العربية أكثر من خمسة آلاف وخمسمائة، وعدد معلميها أكثر من سبعة آلاف، مع أن النسبة المئوية لمساحة كيرالا هي واحد وربع من مساحة الهند الإجمالية، ونسبة مسلمي كيرالا ٢٨ في المائة، وفي جامعات كيرالا الحكومية أقسام خاصة باللغة العربية، كما أن تحتها عددا من كليات العلوم والآداب تقوم أيضا -ولو اختياريا- بتعليم لسان الضاد، بالإضافة إلى معاهد وكليات أهلية، لها دور مهم في نشر هذه اللغة والمحافظة عليها.

والسبب الأصلي في هذا هو حصول فرصة عظيمة للجيل المسلم الجديد لتعلم اللسان العربي من المدارس الابتدائية الخصوصية، وللمحافظة على هذه الظروف الممتازة فيما بعد عن طريق الكليات والجامعات، كما أن هناك عدداً من المعاهد الدينية والكليات الإسلامية الأهلية يهتم بهذه اللغة اهتماماً بالغاً، وقد سبقت الإشارة اليها، ولا سيما المعاهد والكليات التي تتمسك بالمناهج التعليمية لجامعة دار الهدى الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر أن الجامعة نفسها افتتحت فروعها في عدد من الولايات الأخرى، مما يجعل تلك المناطق- بمشيئة الله تعالى- مهتمة باللغة العربية وظافرة بها في السنوات القليلة المقبلة.

إن اللغة العربية تواجه تحديات شديدة، ومعوقات كبيرة، وعراقيل كثيرة في البلاد الهندية، كما تواجهها في الدول العربية، ولكن الصورة ربما تختلف في بعض الجهات والنواحي، ومن أهمها: عدم اعتناء هؤلاء المدرسين الذين يقومون بتعليم

اللغة باستعمال اللسان العربي، والتدريب على أسلوب صحيح سليم قويم، كما أن المناهج الدراسية لتعليم اللغة العربية ليست مواكبة لذوق الطلاب ونفسيات الجيل الجديد، فعندما تجدد المناهج التعليمية لا يحتذى إلا الأسلوب القديم، أو الدروس والنصوص التي مضت عليها فترة طويلة، مع أن الطلاب محاطون بالأساليب الحديثة، ومستجدات الميادين التكنولوجية، بالإضافة إلى أن الأساتذة لا يستخدمون الوسائل التعليمية المساعدة، ولا التقنيات الحديثة المستعملة في عملية التعليم، وإذا بحثنا في عدد الطلاب والأساتذة، وقارنَّاهم، وجدناهم ناقصين عن الحاجة، مع أن مستوى الأساتذة الموجودين متدهور ومنخفض.

فلا بد من عقد ورشات متنوعة لمدرسي اللغة العربية تشرف عليها إدارة خاصة معينة من وزارات التربية والتعليم من جانب، وتحت إشراف الكليات والمعاهد الأهلية من جانب آخر، وتكون هذه الورشات مقنعة للأساتذة بطرائق ووسائل وأساليب استخدام اللغة، والاعتزاز بها، كما أنه لا بد من التوعية الشاملة لأولياء أمور الطلاب بأهمية اللغة العربية، والاعتزاز بها، من حيث إنها لغة حية تقدر على مواكبة العصر.

ومن المهم أيضا تشكيل لجنة من الخبراء المقتنعين والمفتخرين باللغة العربية وعلومها وآدابها؛ للأخذ بأيديها، ولتقوية جوانبها الراهنة في الظروف الهندية، ولرفعها إلى أوج العزة والشرف باستعمال الوسائل الحديثة، ولا سيما إعداد المناهج الدراسية الجديدة في شتى المراحل؛ حيث إن البلاد العربية ووزاراتها التعليمية ومجامعها اللغوية عليها مسؤولية تعزيز هذه اللغة، وإعداد عدد كبير من المعلمين المهيئين لرفع شأن اللغة، ثم يبعثون إلى كليات ومعاهد وجامعات الهند لرفع شأنها وتعليمها في شتى المراحل تعليماً متقناً.

وحيث إن سياسة البلاد الهندية تتمسك بنظام الجمهورية؛ وإنها مليئة بالمنظمات

السياسية التي لا تمت إلى اللسان العربي بصلة، وإن كل واحدة منها تستهدف كراسي الحكم والسيطرة على الشعوب من دون اعتبار المعاني الإنسانية السامية، والالتفات إلى الحقائق المسلّمة، فقد بدأت هذه المنظمات تستصغر اللغة العربية، ولا تلتفت إلى أن النار من مستصغر الشرر، وتستكبر ميول الجماهير وأذواقهم، ويصيحون برغبات الشعوب الدنيوية المحضة، فهناك عدد من المغرضين يطالبون الحكومات بإلغاء مرافق تعليم هذه اللغة في بعض الأحيان، كما أن طوائف أخرى من المنتسبين إلى المنظمات الشيوعية والماركسية والملاحدة وما إليها تعاديها بصور شتى، وأنماط مستغربة في أحايين أخرى:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ومهما يكن من شيء فإن هناك بعض المؤشرات التي تدل على أن تعليم اللسان العربي في ازدهار وتقدم في المستقبل، ومن أهمها: انتشار منهج جامعة دار الهدى الإسلامية الذي يهتم بالعربية اهتماماً بالغاً، وقبوله لدى عامة الناس وخاصتهم، كما أن معلمي اللغة العربية وأساتذتها في المدارس والكليات الحكومية والأهلية بدأوا يتنبهون إلى اتخاذ مزيد من النشاطات في تعليم العربية، ونشر رسالتها بين الطلاب والشعوب، بالإضافة إلى نشاطات المعاهد الأخرى التي تولي مزيداً من الاهتمام في خدمة اللغة العربية أكثر مما كان من قبل.

وأما تطوير تعليم اللغة العربية في الهند فيحتاج إلى جهود مستأنفة ومهمة، وإجراءات معنية ومبرمجة، ونلخص تلك النقاط فيما يلي:

● أن المجتمع الهندي في عمومه لا يعرف شيئا عن مزايا اللغة العربية وأهميتها؛ لأنهم بعيدون عنها تماماً، حتى إن عامة المسلمين لا يعرفون إلا بعض السور القرآنية القصيرة، وبعض الكلمات العربية من المقولات الدينية، فمن اللازم والضروري أن تبذل مساعٍ جادة وأعمال مستمرة لتوعيتهم باللسان العربي، وتبصيرهم بضرورة

دراسته، والإقبال على تعلمه، ثم بأهمية النطق به، وتحقيق هذه الفكرة يقتضي وضع برامج موسعة وخطط لأعمال ممتدة ومستمرة ومتميزة، تهدي المجتمع وترشده إلى الوعي بهذه الضرورة الحضارية المهمة.

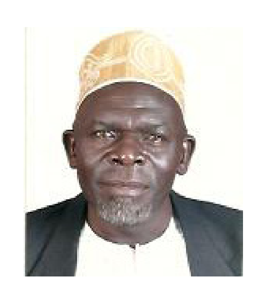
● أن الاهتمام بهذا اللسان وتعلمه وتعليمه وتحويله إلى مرحلة قبول المجتمع وافتخاره به وتنافسه فيه يحتاج إلى جهود مضنية ومساعٍ كبيرة، مما يوجب على المتخصصين في العلوم اللغوية وآدابها اختراع أسس طريفة، وقواعد ووسائل حديثة، وأساليب جذابة لتسهيل الدراسة، ومما لا يخفى على أحد أن الإنكليز ينفذون مشاريع عجيبة لإيصال لغتهم إلى جميع أنحاء العالم، ويكتشفون احتيالات طريفة، مما يجعل لغتهم محبوبة إلى الناس، ومعززة لديهم حتى صارت لغة العلوم الحديثة، ولسان العالم الجديد، في الوقت الذي نرى فيه هيان بن بيان يعتز ويتفاخر بالتلفظ ببعض الألفاظ الإنجليزية، ولا يميز الكوع من البوع.

● بعدما عرفه الجيل المتقدم عن اللسان العربي وأهميته، وبعدما أمضينا ونفذنا فيما بينهم بعض المشروعات والعمليات في مجال تعليم اللغة، فإننا نقوم بتنشئة الأطفال وتربيتهم وتمرينهم على حب القراءة، ما بين القصص، ومختارات التاريخ، ونصوص الفكاهات والأدبيات الجذابة، حتى يحفظ الطفل في ذاكرته قوالب التعبير الصحيح، وتنسج في خياله الصور الجمالية لألفاظه وتراكيبه، وبهذه التمارين المتدرجة المستمرة يستقبل الطفل فيما بعد قواعد اللغة، ويستوعبها، ويكون متمكنا في تطبيق قواعد النحو والصرف بكل سهولة.

● ترغيب اليافعين والشباب في تعلم اللغة العربية، بالإضافة إلى تعلم لغات أخرى غيرها، من حيث إنها لغات حية، ولها أهميتها في المناطق أو البلاد أو القارات المختلفة، وتهيئة الظروف المساعدة والأحوال المناسبة لها مع الترسيخ بأنها صارت مصادر لكثير من المعارف التطبيقية.

● إصدار مجلات جديدة في ثياب قشيبة من الدوريات والشهريات والأسبوعيات بالعربية السهلة، وتخصيص بعض صفحاتها للمبتدئين، على أن يشرف على إعدادها خبراء متخصصون.

● تشكيل جمعية وطنية يكون أعضاؤها شخصيات كبيرة وأساتذة أجلاء من محبي اللغة العربية، يشرفون على تعمير هيكل جديد يكون دستوراً ونبراساً لنشر اللغة العربية في البلاد الهندية من الألف إلى الياء، ثم تشكل جمعيات مستقلة لكل واحدة من الولايات يكون عدد أعضائها وفق تواجد المسلمين ونسبتهم ونشاطاتهم ومدارسهم وكلياتهم التي تهتم بتعليم اللسان العربي، ثم يطالبون الحكومات بإيجاد أقسام أو شعب في الجامعات لتعليم اللغة العربية، والله-جلت عظمته-هو ولي التوفيق.



كَيْفَ تَعَلَّمْتُ العَرَبِيَّة ؟

الدكتور حسين محمد بوا - أوغندا

مدير جامعة الدعوة الإسلامية

- حصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في الشريعة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

-عميد كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية بالجامعة الإسلامية في أوغندا منذ ٢٠٠٤- ٢٠١٣م.

-عضو الجمعية العمومية للمجلس الأعلى الإسلامي بأوغندا.

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضاه، ونصلي ونسلِّم على حبيبنا وشفيعنا خير من طلعت عليه الشمسُ، وأفضل من نطق بالعربية محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصبحه، وسلم تسليماً كثيراً ، وبعد:

فالشكر لله وحده الذي أسبغ علينا فضائله العظيمة، وأنعمه المتكاملة، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وفضَّلنا على كثيرٍ من عباده بهذا الدين الإسلامي الذي وصلنا من خلال كتاب الله-تعالى-الذي جاءنا باللغة العربية ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربيًّا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف ٢).

فهذا عرض موجز لجانب من حياتي وتجربتي وخبرتي مع لغة الضاد التي تعلمتها وعايشتها مع الكثير من الإخوان والزملاء وطلبة العلم، فقد كان تعلمي للغة العربية هبةً من الله-سبحانه وتعالى-؛ تبعاً لأصل الدين الإسلامي، وامتداداً لنشأتي، من جدي الذي ألزم نفسه تعليم أولاده هذا الدين الإسلامي، فوزَّعهم على المشايخ في القرى المختلفة، تعلموا خلالها الإسلام، وصاروا أئمة مساجد ومعلِّمين في بيوتهم، وكان والدي إمام مسجد في حياته، غير أنه لم يكن من المتحدثين باللغة العربية بطلاقة، فوجه جميع أولاده إلى المدارس الإسلامية، غير أنِّي لم أكن ضمن هؤلاء الذين حظوا بتلك العناية، فقد وافته المنية قبل عمر دراستي؛ إذ كان عمري سنةً ونصفاً، فألحقتني والدتي بإحدى المدارس الإسلامية، وبهذا كانت الحروف الأولى في ذهني حروفاً عربيةً.

لم أتوقع في حينها أن هذه اللغة ستصبح لغةً متثبتةً رفيقة لي في حياتي في المجالات العلميَّة والعمليَّة.

ويمكن أن أعد نفسي ذا حظ عظيم؛ إذ إن دراستي كلها كانت باللغة العربية، بَدْءًا بالمرحلة الابتدائية، من مدرسة نماغيرا القرآنية، والمعهد الإسلامي بجنجا، ومدرسة الهداية بكيامبسي، ومدرسة ماتابا الإسلامية، ومعهد النهضة الإسلامية

بنماليمبا، وانتهاءً بالدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

والغريب أن كل هذه التنقلات في المدارس الخمس كانت لمرحلة واحدة، وهي الابتدائية، والسبب في هذا ظروف اليتم التي عشتها منذ طفولتي، فقد كانت توجهني إلى تلك الوجهات، ولم تجعلني أستقر في مدرسة واحدة، إلى أن تفرس فـيَّ أحد مدرسيَّ الفقيد الشيخ هارون سويد موجا - رحمه الله-، فوجدني كُفْئاً لمنحة دراسية للمعهد الإعدادي التابع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فسجلني مع بعض زملائي، وأرسلني للدراسة في المملكة العربية السعودية، حيث التحقت بالمرحلة الإعدادية، وذلك عام ١٩٧٨م، وكان ذلك أول انطلاقي بقوة نحو تعلم اللغة العربية وتذوقها بالدراسة والممارسة اليومية مع زملاء الفصل والسكن، وبعد وصولي إلى الجامعة التحقتُ بقسم اللغة العربية لمدة فصل واحد فقط، انضممت بعدها إلى المرحلة الاعدادية.

ولا أشك في أن هذا التعليم المرحلي في المدارس الإسلامية سهَّلَ لي بشكل كبير عملية تعلم اللغة العربية بيسر وسهولة.

والطريقة المعهودة لتعليم هذه اللغة ظلت طريقة المدارس الإسلامية القرآنية، بدءًا بالمرحلة الابتدائية فالإعدادية فالثانوية، إلى أن يصل المتعلم إلى الجامعة، فكل هذه المراحل تشتمل على مواد لغوية كالقواعد والبلاغة، كما أن المواد الإسلامية الأخرى كلها تدرس باللغة العربية، مما يعطي الطالب فرصة جديَّة في التعلم وممارسة اللغة والتحدث بها.

تلك المدة التي قضيتها في قسم اللغة على الرغم من قصرها قد أمدتني بجانب قوي في اللغة العربية، وخاصة في مجال التحدث بها، وكان ذلك من خلال المنهج الذي أخذناه، والمدرسين المصريين النشطاء الذين كنا نرى فيهم التمكن والخبرة، ومن أحسن ما أعجبني في تلك المدة مادة الثقافة الإسلامية، والمطالعة العربية

والأدب العربي وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، كان لكل ذلك أثر قوي في تعلمي للغة العربية.

وبعد هذه المرحلة القصيرة جاءت المرحلة الإعدادية، حيث تواجدت المواد الدينية والعلمية واللغوية، تذوقت فيها مادة النحو بصورة أكبر.

ويمكن تلخيص العوامل التي كانت أساساً في إجادتي اللغة العربية في الآتي:

- العامل الدراسي والمنهج العربي الذي تتبعته في المراحل العلمية المتعددة، وبالأخص المرحلة الابتدائية التي قضيتها كلها بالمدارس الإسلامية، كان أهم العوامل في الإعداد الذهني والانفتاح العقلي نحو اللغة العربية، مما جعلني لا أشعر بصعوبة تعلم اللغة العربية، وإن كان ذلك قد جاءني على شكل تراكمي وبطريقة تصاعدية في التحدث بها.

- تعدد الجنسيات للطلبة المستقدمين من كل العالم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتلك الجنسيات كانت تختلف لغاتها أيضاً، وكانت تجمعنا اللغة العربية التي كنا ندرسها كلنا، فكنا مضطرين إلى التحدث بالعربية في الفصول وفي الفسحة وفي المطعم وفي الملاعب الرياضية وغير ذلك ، وكنا نجتمع في هذه في لقاءات غير محددة، فأعطتنا فرص التحدث بالعربية والتمرن عليها.

- النظام السكني في الجامعة الذي لم يكن يسمح بإسكان شخصين من جنسية واحدة في غرفة واحدة، فهذا الاختلاط مكَّننا من التعايش اللغوي، حيث لم يكن هناك بدٌّ من استخدام اللغة العربية في حديث أحدنا مع زميله، مما أدى إلى إثراء ملكتي العربية، حيث كان يوجد في كل غرفة من هو أحسن من غيره في معرفة اللغة والتعامل مع أساليبها، فحدوث ذلك بشكل يومي كان يؤثر تلقائيًّا على غيره من نزلاء الغرفة.

- المدة المطولة التي قضيتها في المملكة العربية السعودية لعبت دورها في منح

فرصة إتقان اللغة العربية، فقد مكثت بها تسعة عشر عاماً، من عام ١٩٧٨م إلى ١٩٩٦م ، تمكنت خلالها من أداء مهماتي الدراسية بكل نجاح وتفوق، والقيام بكتابة الرسائل العلمية في المراحل المختلفة، مستخدماً في ذلك اللغة العربية بتوجيه أساتذة كبار متمكنين في ذلك المجال، أذكر من هؤلاء الأستاذ محمد بن عمر الفلاتة الذي كان يدرسنا مناهج البحث، فقد أَنْمَى رغبتي اللغوية والبحثية بأسلوبه الرائق، وأتذكر أنه عندما طلب منا كتابة نموذج لخطة بحث، اخترتُ عنوان « الحقيقة في بيان حكم العقيقة»، ونظمتُ الخطة بشكل جيد، فأعجبه ذلك، حيث إني كنتُ أجد بعض الطلبة يبحثون عني في مجال الإرشاد البحثي، ويقولون: إن الأستاذ دلَّهم عليَّ ، فكان ذلك مدعاة لثقتي بنفسي في جانب البحث.

ثم كتبتُ في موضوع «الأكل من المحرم عند الاضطرار» في بحث التخرج في كلية الشريعة عام ١٩٨٨م وبعده موضوع «مظاهر الانحراف في توحيد العبادة لدى بعض مسلمي أوغندا، وسبل معالجته على ضوء الإسلام» وكان هذا في رسالة الماجستير، وهو بحث لم يطبع، ويُنظر إلى هذا البحث على أنه كان التجربة الجدِّية لإظهار ما إن كنتُ قد تعلَّمتُ اللغة العربية جيداً، إذ إنه كان موضوعاً ميدانيًّا في بعض جوانبه، فكانت سلامة لغة الرسالة دليلاً على أني كنتُ قد قطعتُ مرحلة لا بأس بها في تعلم اللغة، وفي ذلك أعتز بشيخي الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي، مشرفي في الماجستير.

أما في رسالة الدكتوراه فقد كنتُ وثقتُ في نفسي أني أجيد اللغة العربية، وحققتُ كتاب: «عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب»، ومن هنا يمكن أن أؤكد أن مجال البحث كان له دور عظيم في تربيتي لغويًّا.

-كنت محظوظاً في تلك المدة أن أعيش مع المواطنين السعوديين لمدة ثمان سنوات، بعد استقدام أهلي من أوغندا، وإقامتي معهم في المدينة المنورة، ولا أدعي أن هذا قد زاد حصيلتي اللغوية؛ إذ إنَّ المواطنين لا يستخدمون لغة فصيحة، غير أنه يمكنني القول بأن ذلك قد زادني في معرفة الفروق اللغوية بين الفصحى والعامية التي تعلمتُ جانباً منها.

- ومما أدى بي إلى تقوية اللغة العربية في نفسي: أني بعد التخرج شرعتُ في تدريس أطفال المدارس الإسلامية وطلاب الجامعة الإسلامية في أوغندا، في المواد الإسلامية والشرعية والعربية، وكلها بلغة عربية مبينة، وكل ذلك منحتني تجربة لغوية عملية عميقة في توطيد دعائم اللغة العربية في قلبي.

- إن الدراسة في كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية التي انتميت إليها كانت ولا زالت باللغة العربية، وقد درَّستُ في هذه الكلية مدة عشرين سنة، استخدمت فيها كل ما أوتيتهُ من ملكات لغوية ، بتدريس وإشراف على الرسائل الجامعية ومناقشتها، فقد أشرفت على أكثر من مائة بحث للماجستير، وخمس رسائل للدكتوراه، كما ناقشتُ ستًّا وسبعين رسالة ماجستير، وكل ذلك بلغة عربية أصيلة، أما بحوث ما دون الجامعة فهي كثيرة جدًّا.

أما في الجامعة الإسلامية في أوغندا فقد تقرر تدريس مبادئ اللغة العربية لجميع الطلاب الوافدين إلى الجامعة والمسجلين في جميع الكليات وهم في سنتهم الأولى في الجامعة بصرف النظر عن المعتقدات.

ومن الجوانب الأخرى التي نتفاعل فيها مع اللغة العربية: أنني عند افتتاح الجامعة الجديدة التي أترأسها (جامعة الدعوة الإسلامية) بكمبالا ، كان أول الأقسام التي بدأت به هو قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية وقسم الشريعة، والدراسة في كل ذلك باللغة العربية الفصحى؛ إذ إن الملتحقين بهذه الأقسام من خريجي المرحلة

الثانوية الدينية، وهم في هذه المستوى يكونون قد بدأوا التحدث بالعربية وهم متأهلون للتعلم باللغة العربية والتمرس بها.

فهؤلاء الطلبة بجانب دراستهم لمواد الأقسام باللغة العربية، لديهم جمعية اللغة العربية التي يمارسون فيها أنشطة لغوية عدة، تتمثل في إعداد صحف الحائط، والنشرة اليومية، والجريدة الأسبوعية، والمجلة نصف السنوية، بالإضافة إلى المناقشات والمنافسات العلمية، وكل هذه الأنشطة تغرس فيهم الأسس المعرفية للغة العربية، وتؤهلهم لتدريس اللغة العرية والمواد الإسلامية في المدارس الحكومية والأهلية بعد تخرجهم.

كما أن كلا من الجامعة الإسلامية في أوغندا، وجامعة الدعوة الإسلامية، تقدمان برنامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، على شكل شهادة لسنة واحدة أو دبلوم لمدة سنتين، يستفيد منها بعض الراغبين في تعلم اللغة العربية.

ويسرني دائماً تفاعل الطلاب ومحبتهم ومشاركتهم لي في الحياة التعليمية بكل رضا وإقدام، ويظهر لي أنهم يستفيدون من هذه الطريقة التعليمية بالعربية، وقد دفعني هذا إلى فتح مدرسة إسلامية ناطقة بالعربية في برامجها، وهي مدرسة أويس بن زيد للروضة والابتدائية، وهي مدرسة جديدة مضى عليها ثلاث سنوات، فهي صغيرة في عمرها، لكن آمال صاحبها كبيرة جداً في أن تكون من المدارس التي تنظم فيها أسس اللغة العربية للمستقبل القريب في هذه الدولة الأوغندية.

هذه اللغة ظلت تعد في نظر الكثير من الناس في أوغندا لغة الإسلام، وأن المتحدثين بها مسلمون، إلى وقت قريب، حتى بدأ الناس يتعاملون مع عرب غير مسلمين، وبدأ بعض الأوغنديين غير المسلمين يتعلمونها لأغراض حياتية مختلفة سياسية وتجاريةً وأخرى. وقد أصبحت اللغة تزيح عن نقسها الغرابة، حيث صار الناس ينظرون إليها على أنه لغة من لغات العالم، وأن لها أهمية وأحوالًا مختلفة

تستخدم فيها، فأصبحوا يتعلمونها لأغراض مختلفة كالتجارة في الدول العربية، أو لأداء مهمات سياسة بالسفارات الأوغندية في الدول العربية أو لفتح مكاتب تجارية في البلد.

ومن أبرز الصعوبات التي واجهتُها أثناء تعلم اللغة العربية الرسوم الدراسية التي كانت كبيرة؛ إذ إن والدتي لم يكن لديها ما يكفيها لرعاية أولادها بعد وفاة والدي – رحمه الله–، لكنها ناضلت واجتهدت حتى أكملنا المرحلة الابتدائية.

ومن المراحل الصعبة التي مرَّت بي أن أحد مديري المدارس غير الإسلامية طلب من والدتي أن تدفعني إلى مدرسته، حيث لا يوجد منهج ديني ولا لغة عربية، وذلك لما تلمس فيّ من نبوغي وذكائي، رغبة منه في أن أكون من بين تلاميذ مدرسته النابهين، فتخوفت كثيرا وهما يناقشان الأمر في وجودي، غير أن والدتي بفضل الله وفّقت إلى رفض هذا العرض على أساس عدم وجود دين إسلامي في تلك المدرسة.

ومن أطرف المواقف التي مرَّت عليَّ أثناء تعلم اللغة العربية:

– عندما وصلنا إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لأول مرة، دعينا للمقابلة الشفهية، فقابلني الشيخ صالح، وفتح لي كتابا في المطالعة على عكس وجهتي، فأخذت أقرأ فيه قراءة صحيحة، وأخذ الشيخ يضحك، وأظن أن الوضع أعجبه، غير أني خفت، وظننت أني أخطأت، حتى سمعته يقول لصاحبه: «والله هذا لا يستحق الشعبة».

– وموقف آخر، ما كان لنا في المرحلة الإعدادية حيث كان أستاذ النحو يكتب الدرس اللغوي على السبورة ويشرحه فنحفظه أنا وطالبان آخران محمد عثمان من تشاد ومحمد حامد كرهيلا من جزر القمر، كنا نفهم ونحفظ الدرس اللغوي في الفصل، وكان يسمح لأحدنا أن يدير ظهره للسبورة فيقرأ كل ما كتب.

وبالمقارنة بين تعلم اللغة العربية وغيرها من اللغات، نجد أن التلاميذ في المدارس

الابتدائية غير العربية يبتدئون سريعاً في التحدث باللغة الإنجليزية في سنواتهم الأولى بخلاف اللغة العربية التي لا يبدأ التلاميذ التحدث بها إلا في المرحلة الإعدادية أو الثانوية لدى الأكثرين، ويرجع السبب في ذلك إلى الظروف الاستخدامية في الأجواء المدرسية والمنزلية، حيث إن اللغة الإنجليزية يجدها الطفل في البيت وفي الإعلام وفي الشوارع والمدرسة، حيث يجد التحدث بالإنجليزية أمراً ملزماً على الجميع، فهذه الأجواء كلها تمنحه فرص تعليمية وتجريبية كبيرة في إتقان اللغة حتى قبل الالتحاق بالمرحلة الإعدادية، وربما تجد بعض الأطفال يبدؤون التحدث بالإنجليزية وهم في روضة الأطفال، فلا يدخل الطفل سنته الأولى الابتدائية إلا وهو يعرف الإنجليزية، بينما اللغة العربية لا يجدها الطفل إلا في المدرسة وفي داخل الفصل فقط، حيث إن التلاميذ لا يُلْزَمُونَ بالتحدث بها أثناء دوامهم بالمدرسة على غرار اللغة الإنجليزية.

ومما لا شك فيه أن إتقاني للغة العربية كان له أثرٌ كبيرٌ في حياتي الشخصية، من حيث العمل والوظيفة، وكسب العديد من الأصحاب والأصدقاء العرب الذين يفدون إلى أوغندا، فنلتقي بهم، فاللغة العربية تورث بيننا علاقات ودٍّ وعمل جيدة لتنفيذ المشاريع الإسلامية التي يأتون من أجلها إلى أوغندا.

كما أن معرفتي باللغة قادتني بجدارة إلى رئاسة قسم الدراسات الإسلامية في مدة قصيرة بعد انضمامي إلى الجامعة الإسلامية في أوغندا، ومن ثم صرتُ عميداً لكلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية لمدة عشر سنوات متتالية حتى نهاية عام ٢٠١٣هـ، استدعيت بعدها إلى كمبالا لرئاسة جامعة الدعوة الإسلامية بكمبالا التي أترأسها حتى الأن، وما هذه المشاركات في المؤتمرات ذات الطابع الإسلامي والعربي إلا لعامل اللغة العربية.

ومن أبرز التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية في أوغندا:

● أن بعض الإخوة العرب المثقفين ببعض الثقافات الغربية عندما يأتون إلى أفريقيا يحاولون تجنب اللغة العربية، ويحيدون عنها إلى الإنجليزية أو الفرنسية، مع أنهم يشكلون النواة الأساسية في الترغيب باللغة.

● إن كثيراً من متعلمي اللغة العربية عندما يرجعون إلى بلدانهم لا يجدون من التوظيف سوى التدريس في المدارس الدينية، والرواتب في تلك المدارس ضئيلة جدًّا لا ترغِّب الأطفال في حب اللغة، وتجعل صاحبها في مستوى اجتماعي متدنٍّ، وعليه لا يرى أولياء الأمور أن هناك فرصًا زائدة لمتعلمي اللغة العربية، وربما رأى العكس.

ومن الملاحظ أن مستقبل تعليم اللغة العربية في أوغندا مستقبل نيِّر ، وذلك بالنظر إلى العوامل المحيطة باللغة العربية حالياً في البلد ، ونشير في ذلك إلى الآتي:

- المدارس الإسلامية التي تتزايد يوماً بعد يوم على أيدي المشايخ المتخرجين في الجامعات الإسلامية في العالم ، فقد كانت في الماضي مدارس معدودة. ففي بداية التسعينات لم يكن في البلد سوى أربع مدارس ثانوية، ويوجد اليوم سبع وستون مدرسة ومعهدًا ثانويًّا، تقدم البرامج الدينية باللغة العربية والأكاديمية، أما المدارس الابتدائية والإعدادية فهذه تناهز الألفين، وكلها تقدم الدروس باللغة العربية.

- الجامعتان الإسلاميتان في البلد، والتي تقدمان برنامج اللغة العربية في كلية الدراسات الإسلامية، فكل ما يدرس فيها هو باللغة العربية، بجانب تعاليم اللغة نفسها في برامج الشهادة والدبلوم.

- المنح الدراسية المستمرة من الدول العربية إلى أطفال أوغندا تلعب دورها الفعال في نشر اللغة في أوساط الأوغنديين. فيذكر على سبيل المثال دولة السودان، فقد كانت إلى وقت قريب تقدم ما بين ٣٠-٤٠ منحة دراسية، لكن العام الماضي ٢٠١٧م قدمت جامعة إفريقيا العالمية ١٠٨ منحة دراسية، استُفيد

منها كلها، وكذلك تقدم جامعات المملكة العربية السعودية، ومصر والجزائر منح أخرى ، وكلها مبشرات بنشر اللغة العربية في الدولة.

– وقد استبشرنا ببدء إذاعة صوت أفريقيا بكمبالا إلقاء نشرة إخبارية مسائية باللغة العربية، وهذه بداية خير نرجو اقتداء بعض الإذاعات بها في هذا.

ومن المقترحات التي يمكنني تقديمها لتطوير تعليم اللغة العربية في أوغندا:

● فتح مدارس نموذجية إسلامية في أوغندا تجعل فيها اللغة العربية أساساً للاستخدام الرسمي بالمدرسة .

● إنشاء معامل اللعة العربية في الجامعات الإسلامية وفي المعاهد الثانوية العريقة، وتوظيف القدرات المتأهلة لها، حتى يُجْذَبَ إليها المتعلمون للُّغة العربية، ويُيَسَّرَ فهمها لديهم.

● التشجيع على إقامة المسابقات اللغوية المحلية للكتابة والمناقشات والندوات وذلك للمراحل الدنيا كالإعدادية والثانوية، وهذا يضمن لنا إيقاظ وتنمية القدرات لدى الأطفال الذين نستقبلهم في مدارسنا الإسلامية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبالله التوفيق.



كيف تعلمت اللغة العربية؟

الدكتور حقار محمد أحمد - تشاد

رئيس المركز الثقافي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية بتشاد
والمستشار الخاص لرئيس الحكومة بتشاد سابقا.

- حاصل على الدكتوراه من جامعة فرانسوا رابيليه في فرنسا.

-رئيس لجنة الدفاع عن حقوق الأقلية المسلمة لدى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان بإستراسبورغ في فرنسا.

-مؤسس مدارس النهضة العربية ومشروع مكتبات النهضة.

-مؤسس إذاعة البيان العربية التابعة للمركز الثقافي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية.

ولد كاتب هذه المقالة في بادية مدينة سلال في منطقة بحر الغزال عام ١٩٦٢م بشمال تشاد، وكان والده من أبرز المتقنين للقرآن الكريم وخدامه، وعمل قاضيًا شرعيًّا في بادية الشمال، وكان من أثريائها.

والتحق بمدرسة باب الجابية في حي القماحين بدمشق عام ١٩٧٩م، ثم أكمل المرحلة الجامعية في كلية الحقوق والشريعة في جامعة بغداد، ثم الدراسات العليا في جامعة فرانسوا رابيليه في فرنسا، وأما لغته الأم فهي لغة القرعان من قبائل من أصل جنوب الجزيرة العربية، وهذه القبيلة فقدت لغتها العربية بعد وصولها إلى جنوب ليبيا، إثر انهيار سد مأرب باليمن، ونسيت لغتها العربية التي جاءت بها من الجزيرة العربية، وتبنت لغة القارامنتا أصحاب الحضارة القارامنتية الشهيرة.

والاهتمامات العلمية لكاتب المقالة هي الدراسات الإسلامية، ودراسة القوانين، ومقارنة الأديان، والعلوم الشرعية، واللغة العربية، وكتابة البحوث في مجالات الدعوة، والفرق الهدامة، وخططها التي تستهدف الإسلام الصحيح في القارة الإفريقية، وقضايا التطرف والإرهاب، والبحث عن حلول لها، ودور العرب في النهضة في الغرب والعمران في إفريقيا.

ومن الأسباب والدوافع التي جعلت كاتب المقالة يتجه نحو تعلم اللغة العربية: كونها لغة القرآن الكريم، ولغة تدوين السنة النبوية الشريفة، المصدر الثاني من مصادر الإسلام وتشريعه الرباني العادل، ولكونها اللغة الوحيدة التي لا تتغير قواعدها النحوية والصرفية والإملائية، كما حدث في جميع لغات العالم المعروفة، وهي أغنى اللغات بالمفردات، وأحلاها في الآذان، وهي لغة الشعر الرفيع، والأدب الراقي، والنثر الجميل.

ومن الأسباب كذلك: حث الوالد لي على إتقانها، فكان يقول دائما: اللغة العربية لغة لكل من قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أي مكان،

وإذا كان القرآن الكريم عربيًّا فهو ملك للأمة الإسلامية كلها، فاللغة العربية ملك للأمة الإسلامية كلها، بحكم هذا المنطق الرباني القائل: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ (سورة يوسف الآية ٢).

ومن الدوافع-أيضا-: كونها لغة خالدة وباقية بخلود وبقاء القرآن الكريم، وما ورد صحيحا من أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- من غير تحريف أو تصحيف؛ لأنها اللغة الوحيدة التي خلت من عوج تغيير القواعد النحوية والصرفية والإملائية، الذي كان سببا من أسباب تحريف كثير من الكتب السماوية السابقة، التي أنزلها الله، وكُتبت بالآرامية والعبرية والفينيقية والأكادية والكلدانية والآشورية والهروغليفية والسريانية، كما قال المولى -عز وجل-: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا غير ذي عوج﴾، إنها خلت من عوج تغيير القواعد والألفاظ، وكذلك عوج العجمة.

وأما إتقاني للغة العربية فكانت بدايته عام ١٩٧٩م في سوريا في مدرسة باب الجابية، ووقد وصلت إلى حد مقبول من الإتقان عام ١٩٨١م، أي: بعد سنتين.

كان كاتب المقالة في درس اللغة العربية يضع خطاً تحت كل كلمة لا يفهم معناها، مع التركيز على النطق الصحيح، ومخارج الحروف، وكان عنصرَ إزعاجٍ للمعلم بكثرة الأسئلة، وتكرار الألفاظ الجديدة إلى درجة الوسوسة، وكان يركز على حفظ الشواهد اللغوية في كتاب القراءة والمحفوظات مقرر منهج المدرسة، وعنوانه: نفحات الخلود، من تأليف الشيخ صالح فرفور، وكان كاتب المقالة قليل النوم، ويقرأ النصوص بصوت عال حتى يسمع نفسه، وكان يسكن في داخلية المدرسة مع أربعة طلاب في غرفة واحدة، ولكنه نقل إلى غرفة انفرادية؛ لأنه كان يزعج الذين معه في الغرفة بالقراءة بصوت عالٍ إلى وقت متأخر من الليل، وكان يوقظ زملاءه من النوم ليسألهم عن معاني مفردات تستشكل عليه، ولكنه استمر في إزعاج الآخرين بطَرْقِ أبوابهم في الليل، لطرح الأسئلة عليهم، خصوصا على الطلاب: موسى يوسف أوبي،

ومحمد إبراهيم حامد من تشاد، وفائق أرسلان، وغياث الدين عرق، وخالص ألما من أكراد تركيا، ولكن إدارة المدرسة جاءت بحل، حيث عينوا أستاذًا ليليًّا، أفاده كثيرا، حيث علمه كيفية استخراج الكلمات من المعاجم العربية، وأهم عناصر تعلم العربية كانت هي:

-مقرر المدرسة.

-كثرة القراءة.

-كثرة السؤال.

-تدوين العبارات غير المفهومة لديه، وحفظها في دفتر خاص بغية الرجوع إليها.

-إعداد سجل خاص للعبارات التي شُرِحَتْ بغية مراجعتها وحفظها ووضعها في جمل للاستخدام.

-الحرص والاجتهاد .

-الاستماع إلى أخبار إذاعة لندن ثلاث مرات في اليوم.

-كثرة قراءة كتاب كليلة و دمنة .

-قراءة القرآن الكريم، ومحاولة تدبر معاني الآيات دينيًّا وتربويًّا ولغويًّا، مع التركيز على مراجعة التفاسير التي اهتمت باللغة والنحو والصرف، مثل: تفسير الخازن، على الرغم من كثرة إسرائيلياته.

-محاولة إلقاء خطب مرتجلة أمام عدد من الناس أو المعلم الليلي الخاص.

-قراءة صفحة كاملة يوميا من القاموس المحيط للفيروزابادي.

-جدية المعلمين في المتابعة والمراجعة وتصحيح الأخطاء.

فهذه أهم الأمور التي أسهمت في تعلم العربية للمذكور.

بدأ كاتب المقالة تعلم العربية خارج بلده في سوريا، وكان الطلاب في الفصل ينقسمون إلى طلاب عرب من سوريا والأقليات العربية في لواء إسكندرونة بتركيا

وفلسطين المحتلة، فهؤلاء يعرفون العربية الشامية وتفاعلهم كان أقل في استخدام الفصحى والاهتمام بالنحو والصرف ما عدا عدد قليل منهم، وطلاب من إفريقيا وآسيا الوسطى وروسيا وتركيا، ومن الجاليات المسلمة في أوروبا، وهؤلاء درجة تفاعلهم كانت أكبر، على الرغم من الفقر الشديد في المفردات، الذي يعانون منه بسبب عدم توافر المفردات الكافية التي يكوِّنون منها جملا بالعربية الفصحى.

وأما نظرة المجتمع إلى اللغة العربية في سوريا فلا تحتاج إلى تعليق، وأما في بلد كاتب المقالة فكانت نظرة المجتمع إلى اللغة العربية والمتحدثين بها نظرة احترام وإجلال؛ لعلاقة هذه اللغة بقرآنهم العظيم، وسنة نبيهم الأعظم -صلى الله عليه وسلم-، كما أن أصول ٧٣٪ من الشعب التشادي من الجزيرة العربية، وهذا يقوي هذه النظرة الإيجابية تجاه لغة الضاد، وهذه النسبة صحيحة إذا جمعنا بين عرب تشاد الذين يعرفون أنهم عرب، مثل: المسيرية والخزام وأولاد راشد وبني مالك والسلامات وأولاد حميد والمحاميد والهيسية والمهرية والطنجور وبني وائل وغيرها، وبين عرب تشاد الذين لا يعرفون أنهم عرب، مثل: القرعان والفلاة والزغاوة والأسر السلطانية في منطقة وداي ومنطقة كانم ومنطقة باغرمي إلى آخره.

ومن أبرز الصعوبات التي واجهها الكاتب في عملية تعلم العربية:

١- أنه وضع في بداية رحلته لتعلم العربية مع طلبة عرب، لغتهم الأم هي العربية، وكانوا قد أنهوا المرحلة الابتدائية، مع آخرين من بلدان غير عربية، ولكنهم درسوا المراحل الابتدائية بالعربية، ما عدا طالبين فقط في المدرسة كلها.

٢-كان عليه اجتياز مرحلة الحروف الهجائية ومحو الأمية وإتقان العربية، وتكوين حد أدنى من الثقافة العامة التي تسمح له بالحوار مع زملائه، حيث كان لا يميز بين ليبيا ولبنان في إطار الثقافة العامة؛ لأنه بدوي جاء من البادية، مع توقف لمدة ثمانية شهور في السودان وسنة في المملكة العربية السعودية.

٣- يجب أن يتابع المقرر الأكاديمي للمدرسة للمرحلة المتوسطة مع التلاميذ الآخرين الذين أنهوا المرحلة الابتدائية في نفس المدرسة أو مدارس أخرى.

٤- فارق السن بينه وبين أغلب الذين كانت أعمارهم تتراوح بين الحادية عشرة والثانية عشرة من العمر، والكاتب كان في السابعة عشرة من العمر، وكان التلاميذ يضايقونه، وبعضهم يناديه بالجد والأب والأبكم والأجدب إلى آخره، وكان السبب في عدم الرد على هذه التحرشات هو الخوف من الطرد من المدرسة، والانقطاع عن تعلم العربية، ونظرة البدو تجاه أهل المدن بأنهم أنصاف الرجال، وقليلو البسالة والصبر على القتال، ومن يرد على سفاهة ألسنتهم بالقتال يصبح شبيهاً بهم، وهذه النظرة البدوية أعانتني كثيراً على الصبر على تلك الأذية لمدة ست سنوات كاملة، ولكن هؤلاء التلاميذ جميعا أتوا للسلام عليَّ بكل ود واحترام وتقدير عندما اجتزت المرحلة الثانوية بامتياز، وكنتُ الأول على مستوى الجمهورية السورية في القسم الأدبي، ونسيتُ خلفي نَصَبَ عدم النوم إلا قليلا لمدة ست سنوات، كما نسيتُ تلك الأذية الصبيانية.

ومن أبرز المواقف الطريفة التي مرت على الكاتب:

١- عندما جاء إلى إدارة مدرسة باب الجابية- وهي مدرسة خاصة، بها داخلية لطلبتها من خارج سوريا، والقبول في المدرسة والقسم الداخلي من غير التدقيقات الإدارية والأكاديمية المعتادة-، وعندما بدأ الإداري بسؤاله عن اسمه ودولته، وقبل الوصول إلى سؤال عن شهادته الابتدائية، دخل إلى الإدارة الأستاذ محمد مهجة المفوض التربوي لمدينة دمشق، وهو من قيادات الحزب الحاكم، فطلب مدير المدرسة من الإداري الذهاب به إلى الغرفة التي يجب أن يسكن فيها، وإكمال الإجراءات فيما بعد، فالإداري نسي العودة إلى إكمال الإجراءات بعد ذلك، والكاتب لا يملك أي شهادة ولا أي مهارة غير رعي الإبل وخبرة صغيرة في حدادة المباني العامة اكتسبها

أثناء توقفه في المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٨م.

٢- عندما أُتِـيَ بكاتب المقالة إلى الفصل الدراسي، وجلس مع التلاميذ خلال أسبوع كامل لم يكتشف المعلمون أميته؛ لأنه كان له قدرة فائقة على تكرار ما سمع، وإعادة رسم ما شاهده، ولكن اكتشفه فضيلة الشيخ عبد الماجد الحناوي أستاذ اللغة العربية، عندما لاحظ الكاتبَ يمسك كتاب الأدب والنصوص بالمقلوب، مع قراءة صحيحة للصفحة المطلوبة، فاقترب منه، وطلب منه أن يذكر له الحروف الهجائية بالترتيب، وكانت الطامة الكبرى ونهاية العالم بالنسبة للكاتب، فظن اكتمال شروط الطرد من المدرسة، وتذكر بئره وإبله، فأخذ الكاتبَ إلى الإدارة، ووقفوا على حقيقة البدوي راعي الإبل، وقرروا طرده، ولكن الشيخ الحناوي فتح كتابا في يده، وقرأ منه عدة سطور، وطلب من الكاتب أن يكرر ما قال، فكرره الكاتب كما هو، فتعجب مدير المدرسة الشيخ الأستاذ إبراهيم الهندي، فقال: هذا الشاب إما عنده ذاكرة نادرة، أو عقله في لسانه مثل الببغاء، هنا اقترح الشيخ الحناوي على المدير التالي:

١- أن يحفظ الكاتب الحروف الهجائية بالترتيب في مدة يوم واحد.

٢- أن يقرأ من الكتب خلال أسبوعين من تاريخه.

٣- أن يكتب بيده من الآن إلى شهر، ويبقى حاليا في السكن والفصول الدراسية كببغاء، فوافق المدير على ذلك.

وفي اليوم التالي في الفصل طلب الشيخ الحناوي من الكاتب أن يذكر الحروف الهجائية بالترتيب، فذكرها الكاتب حسب المطلوب، ونقل الخبر إلى الإدارة، فقدموا للكاتب كيسا من اللبن المصفى، ولتر زيت زيتون هديةً له على الجهد المبذول، فسأل عن الهديتين، قالوا: هذا لبن مصفى، وزيت زيتون، فحفظهما على الفور، بعد أسبوعين طلب الشيخ الحناوي من الكاتب أن يقرأ من كتاب جاء به من المقرر، فقرأه الكاتب بشكل جيد، وطلب منه الحناوي أن يذهب معه إلى مدير المدرسة، وطلب منه أن يقرأ

من كتاب آخر، وتولى الاختبار الأستاذ موفق التاجي، وكانت النتيجة مرضية، فأكرم الكاتب بأربعمائة ليرة سورية وملابس داخلية ضد البرد وبطانية إضافية، بعد ذلك بأسبوعين طلب الشيخ الحناوي من الكاتب أن يخرج إلى لوحة الفصل، وطلب منه أن يكتب العبارة: (رجال حول الرسول - صلى الله عليه وسلم-، فأصدقهم: أبو بكر الصديق، وأعدلهم عمر الفاروق، وأكثرهم جهادا في سبيل الله بماله عثمان ذو النورين، ومن النساء أكثرهن علما الحميراء أم المؤمنين عائشة بنت الصديق-رضي الله عنهما-)، وكانت الكتابة سليمة إلا على مستوى عبارات «صلى الله» فقد كتبها الكاتب خطأ بهذا الشكل: «صلا»، وعبارة «عليه» كتبها بألف، و«إليه» بدال العين، فأكرم الكاتب بألف ليرة، وملابس كثيرة ضد البرد، واتصال مجاني من هاتف المدرسة بأهله مرتين في الأسبوع لمدة عشر دقائق، ولكن الكاتب ليس له أحد في مكان فيه هاتف ليستفيد من تلك الهدية القيمة.

لقد أثر إتقان اللغة العربية تأثيراً كبيراً في حياته الدعوية؛ لأن هذا الإتقان قاده إلى فهم عمق الإسلام الصافي، والخالي من الإضافات البشرية والخرافات، وهذا نتج عنه رفعة المكانة في المجتمع، وأثَّرَ كثيرا في حياته الثقافية، حيث أسهم هذا الإتقان في اتصال وثيق بين الكاتب والثقافة العربية الإسلامية، وكذلك الثقافات العالمية، وكذلك في حياته العلمية، وبسبب هذا الإتقان وقف الكاتب على علوم الإسلام، وقيمه ومثله العليا، وفضل الإسلام على العالم مسلمين وغير مسلمين، ورؤيته الإنسانية لاحترام الإنسان كما قال الله -تعالى-: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾، وإكرام الإنسان لكونه إنساناً، بغض النظر عن دينه أو لغته أو ثقافته أو لونه أو وطنه، ووظيفياً أصبح الكاتب عضواً في مجلس أبناء المنظمة الفيصلية الندوة العالمية للشباب الإسلامي عن غرب ووسط إفريقيا، ومدير مكتبها في وسط إفريقيا لمدة ١٩ سنة، وعضو لجنة الدعوة في إفريقيا منذ ٢٧ عاماً، برئاسة سمو الأمير الدكتور الداعية بندر بن سلمان آل سعود، وهو

صاحب الجهود العظيمة، وسفير المملكة العربية غير المعين في إفريقيا.

كل هذا ما كان له أن يحدث من غير إتقان اللغة العربية، وكان هذا الإتقان له دور في اعتراف الدولة التشادية باللغة العربية وتطورها إلى جانب الإرادة السياسية لرئيس جمهورية تشاد لدعم هذا الأمر التاريخي في عام ١٩٩٦م.

إن مشاعر الكاتب لإتقان اللغة العربية كانت عظيمة، فقد شعر بأنه ولد ولادة جديدة، وصارت له حياة جديدة، فقد انتقل من البداوة إلى المدنية، على الرغم من أنه يكن الحب والتقدير والاحترام للعادات والتقاليد وشيم البدو، ولكنه الاحتكاك بعالم أوسع.

بعد إتقان الكاتب البدوي اللغة العربية في ظرف سنتين أدرك أهمية إتقان اللغة الرسمية في بلده تشاد قبل أن تصبح العربية لغة رسمية في بلده عام ١٩٩٦م حسب المادة التاسعة من الدستور الحالي، والذي هو نفسه خاض معركة الاعتراف بها خلال ثلاثة شهور في المؤتمر الوطني المستقل عام ١٩٩٣م، والذي كان من أجل مراجعة كل مشاكل تشاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية والتربوية والأمنية، ونتيجة لهذا الإدراك التحق كاتب المقالة بثانوية الحرية الفرنسية قسم الدراسة الليلية في دمشق حي باب توما، وكانت دوافع تعلم الفرنسية مرتبطة بكونها لغة الإدارة والعمل في بلده، وكانت كذلك وسيلة لغرض النفوذ في المجتمع والدولة، وكان الكاتب يهدف إلى استخدام ذلك النفوذ لخوض معركة الدفاع عن الإسلام دين الأغلبية في تشاد (٨٥٪ من السكان)، والدفاع عن اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية، ومثلما توقع كاتب المقالة عندما كُوِّنَتْ لجنة لعرض موضوع اعتراف الدولة باللغة العربية على جدول أعمال المؤتمر كان الذين يتحدثون الفرنسية في اللجنة أكثر تأثيرا من أمثال السيد قمر السليك، والسفير عثمان جدة، والشيخ

بن عمر، ويعقوب عبد الرحمن غوكوني، وعبد الرحمن حمدان، والمرحوم الدكتور أبو بكر عبد الحميد، والدكتور حقار محمد أحمد، ومؤمن حمدي توغي عباس، ومن الأعضاء الذين لا يتحدثون بالفرنسية من أمثال الدكتور محمد صالح أيوب، وحسين حسن أبكر، والأستاذ بشير السماني، وبهذه المقارنة يتجلى الفرق بين اللغتين من حيث الدوافع وأسباب الإتقان، وكذلك الجهد المبذول لذلك الإتقان.

قبل اعتراف الدولة باللغة العربية كانت العربية في إطار التعليم الخاص عبر مؤسسات خاصة شهاداتها غير معترف بها، والخريج من هذه المؤسسات يتخرج إلى الشارع، وليس له حظ في الوظيفة العامة منذ بداية الاستعمار الفرنسي عام ١٨٩٤م، وإلغاء اللغة العربية والمدرسة العربية الإسلامية الموسوعية عام ١٩١٧م، ونشر المدرسة العلمانية الفرنسية، ولكن بعد اعتراف الدولة باللغة العربية أصبح تعليم اللغة العربية إجبارياً في المؤسسات الخاصة والعامة، وأنشئت على هذا الأساس للمرة الأولى مؤسسة عربية عليا، وهي جامعة الملك فيصل، وفتحت أقسام عربية في كافة الجامعات الحكومية، وأنشئ أول مركز للثقافة والأبحاث باللغة العربية عام ٢٠٠٦م لأول مرة، وهو المركز الثقافي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية في تشاد، الذي يعمل على تطوير وتقدم ونشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في تشاد وإفريقيا جنوب الصحراء، وإجراء البحوث والاعتناء ومتابعة تطبيقات الثنائية اللغوية والمساواة بين العربية والفرنسية.

وأبرز التحديات أمام تعليم اللغة العربية:

- قلة الكوادر المؤهلة.
- قلة مؤسسات تعليم اللغة العربية.
- ضعف إمكانات الوسائل الإعلامية العربية التي تعرف بمشروع المساواة بين اللغتين: العربية والفرنسية في الإدارة والتعليم والإعلام والوظيفة والأرشفة

والبحوث والمناهج، مثل إذاعة البيان التابعة للمركز الثقافي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية، الحاصلة على جائزة لندن الذهبية عام ٢٠٠٤م، وجائزة باريس الفضية عام ٢٠٠٩م، وجائزة سويسرا الذهبية عام ٢٠١٣م.

- غياب منهج تعليمي موحد في المؤسسات التعليمية للغة العربية.
- غياب وسائل تعليمية حديثة.
- قلة الثقة بالنفس لدى الناطقين بالعربية في وظائف الدولة.
- غياب المراكز الثقافية والتعليمية لتعليم اللغة العربية في الأقاليم.

هذه هي أهم التحديات فضلاً عن الحرب الخفية ضد العربية من قبل الجهات المنافسة في إطار الصراع المكشوف والمعلن.

إن اعتراف الدولة التشادية باللغة العربية فتح باباً لتقدم وتعلم ونشر وتمكين اللغة العربية في تشاد والدول المجاورة التي لها حالات شبيهة بتشاد، وعملية تعليم العربية إلى الآن تحظى بدعم سياسي من رئيس تشاد، وإنه أمر إيجابي، وتجربة الكاتب مع تعليم العربية لم تقف عند حدود خوض معركة اعتراف الدولة باللغة العربية، واعتماد العربية لغة للتعليم الرسمي إلى جانب الفرنسية، ولكنه قام بتأسيس مدارس النهضة العربية ومشروع مكتبات النهضة، وإذاعة البيان العربية، ومؤسسة طبية عربية لتقديم العلاج وإحياء المصطلحات العربية، وشخصياتها التاريخية، وهي مستوصف البر الخيري، وبما أن العربية صاحبة الأغلبية في تشاد، وصلتها وثيقة بالقرآن العظيم والسنة النبوية والسيرة النبوية والفقه الإسلامي، فإن أمامها مستقبلًا مشرقًا، والمركز الثقافي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية يسعى ليل نهار لحث الحكومة التشادية على انضمام تشاد إلى جامعة الدول العربية، ما دامت قد أكملت كل شروط الانضمام إلا شرطاً واحداً فقط، وهو أن تتقدم تشاد بطلب الانضمام حسب

مواثيق جامعة الدول العربية.

وفي ختام هذه المقالة يقترح كاتب المقالة بعض المقترحات التي تصب في مصلحة تطوير تعليم اللغة العربية في تشاد، وهي:

-وضع منهج موحد حديث لتعليم اللغة العربية، مع الأخذ بعين الاعتبار البيئة التشادية الثقافية و التراثية و الوطنية.

-إنشاء فروع للمركز الثقافي في عاصمة كل إقليم من أقاليم تشاد الكبيرة.

-دعم مشروع تعريب المناهج التعليمية العلمية في التعليم الأساس والعالي الرسمي والخاص.

-تدريب الكوادر القائمة على أمر تعليم اللغة العربية وتأهيلها، ودعم مؤسسات تعليم اللغة العربية ماديا وتقنيا.

-توفير المباني المناسبة للمؤسسات الهامة.

-تنظيم مهرجان سنوي للغة العربية وعلومها.

-إنشاء كرسي لخادم الحرمين الشريفين في جامعة أنجمينا.

-فتح فروع لإحدى معاهد وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية في تشاد.

-دعم مشروع المركز الثقافي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية في تشاد لتعليم اللغة العربية لحفظة كتاب الله الذين لا يعرفون اللغة العربية في كل من منطقة بحر الغزال وكانم والبحيرة وفي جنوب البلاد.

وأختم هذه النبذة بالشكر الجزيل والعرفان لسعادة الدكتور/ عبد الله بن صالح الوشمي الأمين العام لمركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، وسعادة الدكتور المستشار في المركز بدر بن ناصر الجبر، وكل العاملين في هذا المركز النبيل الخادم للغة العربية أم اللغات، والشكر الجزيل لخادم الحرمين الشريفين الملك/ سلمان بن عبد العزيز آل سعود راعي هذا المركز المهم، وولي عهده الأمين سمو الأمير

/ محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود - حفظهما الله - لخدمة الأمة العربية والإسلامية، وأن يكتب للمملكة العربية السعودية الأمن والاستقرار ويحرسها من شر اليهود والفرس.

والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته.



قصتي مع اللغة العربية

أ.د. دينغ لونغ (يوسف) – الصين

مستشار الحكومة في وزارة الخارجية، وأستاذ في قسم اللغة العربية
ووكيل كلية الدراسات الأجنبية ومدير مركز الدراسات الخليجية
بجامعة الاقتصاد والتجارة الدولية ببكين

– نال درجة البكالوريوس والماجستير في اللغة العربية والدكتوراه في السياسة الدولية (الدراسات الشرق أوسطية).

–باحث زئر في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية (١٩٩٧–١٩٩٨).

–باحث فولبرات بمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية (٢٠١٢–٢٠١٣).

–يشغل حالياً منصب نائب الأمين العام لمجمع اللغة العربية للدراسات والتدريس بالصين وعضو في جمعية الدراسات الشرق أوسطية بالصين.

–له العديد من المؤلفات والأبحاث في مجال الدراسات العربية والإسلامية.

بعد مرور ٢٥ عاماً، ما زلت أتذكر بين حين وآخر تلك اللحظة التي قررت فيها أن أختار اللغة العربية كتخصص للدراسة الجامعية، والتي غيرت مجريات حياتي تماما.

بدأت قصتي مع اللغة العربية بالصدفة، لكن ليست صدفة بحتة إنما تحمل حتمية لأنها قدري ونصيبي، بعد أن تخرجت في المدرسة الثانوية، اشتركت في الامتحان للالتحاق بالجامعات وحصلت على مجموع عال، يصنف مرتبة ثالثة في المقاطعة بما مكنني من الاختيار بين أفضل الجامعات والتخصصات كما أشاء وبحرية تامة، بعد أن فكرت مليا اتخذت قرارا حاسما، اخترت جامعة الاقتصاد والتجارة الدولية ببكين لسبب بسيط لأنها هي الجامعة الوحيدة التي تقبل طلاب تخصص اللغة العربية في مقاطعتي في تلك السنة وذلك يعني أنني ترك أفضل جامعة في الصين جامعة بكين، وكان القرار فاجأ الكثيرين خاصة أساتذتي وزملائي حيث تساءلوا لماذا اختار اللغة العربية كتخصص وأجبت: لأنني مسلم وبدأت أعشقها منذ صغري، عبارة تصدر من أعماق قلبي، إذ ولدت في عائلة من قومية هوي المسلمة، وقدم أجداد هذه القومية من بلاد المسلمين إلى الصين عبر طريق الحرير قبل أكثر من ألف سنة واستقروا في الصين حيث تزاوجوا وتكاثروا وشكلوا قومية هوي المسلمة، ونشأت في مقاطعة تشنغ هاي حيث كثر المسلمون، فترعرعت وأستمع كل صوت الآذان والتلاوة وأشاهد والمآذن الشامخة وأمر بجموع المصلين الذين يؤدون صلاة الجمعة في المساجد المنتشرة في المدينة بل في الشوارع في محيطها. وأهم من ذلك، كنت أتأمل كل يوم وفي طريق إلى المدرسة، الخط العربي على لافتات المطاعم الحلال وبيوت المسلمين، فباتت اللغة العربية شفرة أود فكها وحلما أنوي تحقيقها، فكلما كبرت زادني شغفا لها. أخيرا، اخترت اللغة العربية كتخصص في الجامعة فتحققت أمنيتي منذ نعومة أظفاري.

جئت إلى بكين لأكتشف أسرار عالم لغة الضاد، غير أنني سرعان ما أدركت حجم

التحديات الجسام لتعلم هذه اللغة العريقة، حيث عرفت من زملاء الصفوف المتقدمة أن اللغة العربية أصعب لغات العالم، وخير دليل على ذلك أن مدة الدراسة الجامعية لتخصص اللغة العربية كانت خمس سنوات، وبينما بقية اللغات أربع سنوات فقط. وتحدثوا كذلك عن الصعوبات في النطق والنحو والصرف و...

فساورني قلق وخوف وبدأت أشك في صحة قراري، وحينما دخلت حجرة الدرس لدروس اللغة العربية، تعرفت تدريجيا مدى صعوبتها فالعقبات والتحديات كانت جسيمة حتى بعض زملائي شكوا في ذكائهم وفكروا في العودة إلى بلداتهم ليشاركوا في امتحان دخول الجامعات مرة أخرى لاختيار تخصصات أخرى، وكانت الصعوبات تتمثل في النطق والصرف وحفظ الكلمات، فتختلف اللغة العربية اختلافا كبيرا عن اللغة الصينية.

بالنسبة للدراسين الصينيين فإن الصعوبات التي تواجههم في تعلم اللغة العربية هي:

أولاً: يعد النطق أول عقبة يصعب التغلب عليها، فحرف (الراء) على سبيل المثال، لا يستطيع معظم الصينيين أن ينطقها فيتطلب من الدارسين بذل جهود مضنية لتحريك اللسان ولم تكن أصوات حروف «قاف» و«عين» و«غين» موجودة في اللغة الصينية فبات إتقان نطقها في غاية الصعوبة بالنسبة للدارسين الصينيين فأنا شخصيا لم أتقن مخارج هذه الحروف إلا بعد التمرين الشاق، ولم أتوقف عن التمرين عن النطق خلال الدراسة الجامعية لأن النطق ليس شيئاً تتقنه ولا تحتاج إلى التمرين، إن توقفت عن القراءة لمدة من الزمن، تجد أن مخارج الحروف أصبحت غير مضبوطة مما جعلك غير قادر على القراءة والتحدث بصورة صحيحة وسلسة.

ثانيا: النحو والصرف. اللغة العربية لغة عريقة ودقيقة ونظامية وذلك يسهل على دارسيها لو أجادوا نظام الصرف والاشتقاق غير أن الكثير من الدارسين وجدوا

صعوبات في حفظ نظام الصرف الاشتقاق واستخدامه في سياق الجمل والكلام بشكل صحيح. عندما يكتب أو يتحدث لا يستطيع صرف الأفعال وفق الإعراب وسياق الكلام تلقائيا ودون تفكير. بالنسبة إلي، أدركت أن حفظ النظام سبيل وحيد لإجادة نظام الصرف والاشتقاق، فبذلت مجهودات وأوقات كثيرة في عملية الحفظ واستفدت كثيرا من إجادته لأنه توفر جهداً كبيراً في الدراسة، فعلى المبتدئين إيلاء أهمية قصوى في حفظ النظام لأنه ميزة من مزايا اللغة العربية إن أحسنت في استخدامه، يفتح آفاقاً رحبة للتبحر في دراسة اللغة العربية.

ثالثا: الكتابة والترجمة. هناك فروق كثيرة بين اللغتين العربية والصينية ومنها على سبيل المثال تراكيب الجمل، فتشكل الجمل الفعلية الغالبية العظمى في العربية، أما جمل الصينية فمعظمها اسمية وقصيرة، ولا بد على المبتدئين التأقلم مع هذه الفروق إلا فسيكتبون ويترجمون دون مراعاة خصائص اللغة العربية فأصبحت الجمل مكسورة ولا تبين الفروق بين التعابير الشفهية والأخرى الكتابية، فمن الضروري أن ينسى الدارس اللغة الأم ودون التأثر بها في تعلم اللغة العربية إلا فستحمل عربيته طابعا صينيا مما جعل لغته غير أصيلة حتى غير مفهومة لدى أهل الضاد.

رابعا: التكامل بين دراسة اللغة والثقافة. تعد اللغة مظهرا ورمزا للثقافة بحيث لا يمكن الفصل بين اللغة والثقافة، ولو أردت إجادة اللغة العربية فلا بد منك فهم عقلية العرب وثقافتهم. على سبيل المثال، يشكل الإسلام العمود الفقري للثقافة العربية، لذا فيجب على كل الدراس سواء أكان مسلما أو غير مسلم، التعرف على الثقافة الإسلامية لإجادة العربية وفهم نصوصها بصورة أعمق، ولكن من المؤسف أن الكثير من الطلبة يهملون هذا الجانب حيث يركزون على المهارات اللغوية فقط.

خامسا: الفرق بين اللغة الفصحى والعامية، تدرس في أقسام اللغة العربية بالصين اللغة الفصحى فقط، حيث أصبح هاجساً كبيراً على دارسي اللغة العربية

لأنهم يخافون من عدم التفاهم مع العرب الذين يتكلمون بمختلف اللهجات لحل هذه المشكلة أرى أنه يجب التمسك بدراسة اللغة الفصحى مع الإلمام بالعامية، وذلك من خلال تعلم بعض قواعد العامية وعبارات الحياة اليومية.

سادساً: نقصان المراجع العربية تعلمت اللغة العربية في تسعينيات القرن الماضي حيث كانت المراجع العربية نادرة جدا في الصين، ناهيك عن البرامج التلفزيونية والإذاعية والمواد التدريسية متعددة الوسائط. فأصبحت مناهج التدريس والكتب المدرسية مواد القراءة الوحيدة فكانت وسائل الدراسة والتدريس محدودة جدا عكس ما يتوفر حاليا كم هائل من المراجع العربية بعد ظهور الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وكان في بكين عرب قليلون، اضطررت إلى الذهاب إلى الجامعات الأخرى كل أسبوع لأتمرن اللغة العربية مع الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون الهندسة والعلوم، وحالياً يدرس في جامعتي عشرات الطلاب العرب يمكن لطلبة قسم اللغة العربية إيجاد شركاء اللغة بسهولة.

بالرغم من كل هذه الصعوبات أكملت الدراسة وكنت متفوقا في الصف ونلت المركز الأول في مسابقة اللغة العربية للجامعات الصينية عام ١٩٩٤، وأخيرا أصبحت مدرسا للغة العربية في نفس الجامعة.

واعتبارا من عام ١٩٩٦، بدأت أمارس تدريس اللغة العربية في قسم اللغة العربية بجامعة الاقتصاد والتجارة الدولية، وخرّجت نحو ٢٠ دفعة من الطلبة وهم يعملون في وزارات الدولة المختلفة والشركات الصينية والدولية الكبيرة، وينتشرون في معظم الدول العربية، وتذوقت في الحياة العملية مرها وحلوها وكان تدريس المبتدئين عملا مرهقا غير أنني شعرت بسعادة غامرة كلما تقدم الطلبة في الدراسة وتم تعيينهم بعد التخرج في وظائف راقية.

استمرت الحياة على هذا المنوال حتى فتحت اللغة العربية بابا جديدا أمامي

حيث اكتشفت عالما مجهولا إذ أنني مولع بالدراسات الشرق أوسطية والدراسات الإسلامية فبدأت الدراسات العليا من أجل الدكتوراه في العلاقات الدولية وأكملتها في عام ٢٠١٠ وكان موضوع دراستي العلاقة بين الدين والسياسة في العالم العربي ومع التركيز على الحركات الإسلامية، وحصلت على منحة فلبرات الأمريكية وقمت بالدراسات في مركز الدراسات الشرق أوسطية بجامعة هارفورد بالولايات المتحدة لمدة عام، وزادتني تلك التجربة علما ومعرفة وقدرة في البحث العلمي، وبعد أن نشرت أبحاثا كثيرة حصلت على الترقية فأصبحت بروفسور اللغة العربية والدراسات العربية عام ٢٠١٤، وبالإضافة إلى تدريس اللغة العربية الذي لازال أمارسه وسأظل أمارسه في المستقبل، أركز جل اهتمامي على دراسات العلاقات الدولية بالشرق الأوسط والدراسات الإسلامية، وأتولى إدارة مركز الدراسات الخليجية في الجامعة وأعمل مستشارا للحكومة حيث أقدم المشورات والتوصيات لدعم اتخاذ القرار ووضع السياسات تجاه قضايا الخليج. لذا فأشعر دائما بأنني محظوظ جدا حيث لم تفتح اللغة العربية آفاقا واسعة لي فحسب، بل أصبحت ميزة أتمتع بها بينما لا يجيدها الكثير من زملائي في هذا المجال.

وقد بدأت أتعلم اللغة العربية عام ١٩٩٢، وأتقنتها بعد سبع سنوات من الدراسة في مرحلتي الجامعة والدراسات العليا، ودرّست الطلبة الصينيين أكثر من ٢٠ سنة، وفقا لتجربتي الشخصية، على كل من يريد إجادة العربية الالتزام بالمبادئ الآتية:

١. الاجتهاد والمثابرة:

بصراحة تامة، العربية لغة صعبة بالنسبة إلى الناطقين بغيرها، ولكن لا يمكننا أن نبالغ في صعوبتها. العربية كغيرها من اللغات، يستطيع كل من يجتهد في تعلمها ويثابر على القراءة والتمرين إجادتها في نهاية المطاف كالمثل القائل: لا مستحيل أمام أهل العزيمة. فاللغة مهارة تكسب من خلال التمرين والتطبيق وليست علما يفهم،

إن لم يتقنها الطالب فعليه مضاعفة الجهود في تعلمها دون أن يشتكي من صعوبتها، ويتعين على المبتدئين في اللغة العربية كسر حاجز الخوف وتعلمها بنفسيات هادئة وطبيعية باعتبارها لغة أجنبية لا تختلف عن الإنجليزية والفرنسية والخ. كما يجب على المعلمين عدم المبالغة في صعوبة اللغة العربية بل يساعد الطلبة في التغلب على الصعوبات في الدراسة ورفع معنوياتهم.

٢. الدراسة في البلاد العربية والاختلاط بأهل اللغة:

ويعد هذا قاعدة عامة لدراسة جميع اللغات، إن شئت إجادة العربية فلا بد أن تتعلم من أهل الضاد خصوصا التحدث والفهم، ويستحسن أن تتعلمها في البلاد العربية في مدارسها وشوارعها وأسواقها ومع الكبار والصغار قبل أن تعلمت العربية في مصر، كنت أتحدث بالعربية بطلاقة، غير أنني كثيرا لا أفهم ما يتحدث العرب، وبعد الدراسة في مصر لمدة سنة والاختلاط بأهل اللغة وجدت أنني فجأة أصبحت أفهم ما تحدث العرب بسهولة. وقد تم إبرام اتفاقية تبادل الطلبة بين الصين والعديد من الدول العربية مثل السعودية ومصر والجزائر وتونس والمغرب والكويت، يمكن لكثير من الطلبة الصينيين دراسة اللغة العربية في الجامعات العربية لمدة سنة واحدة وعلى منحة حكومية ويبتعث البعض الآخر من الطلبة إلى الجامعات العربية للدراسة لمدة معينة وفقا لاتفاقيات التوأمة بين الجامعات الصينية والعربية، وحاليا في المدن الكبيرة مثل بكين وشانغهاي وقوانغزوه من السهل أن تلقى الطلاب ورجال الأعمال العرب في الجامعات والأسواق مما يتيح فرصا لمن يدرس اللغة العربية للتمرن عليها.

٣. فريق تدريس متمكن:

يلعب الأساتذة والدكاترة دورا مهما في إرشاد الطلبة حيث ينظمون أنشطة المحاضرات ويقدمون شرحاً وافياً للكلمات والنصوص والقواعد اللغوية ومن الأفضل أن يتكون فريق التدريس من الأساتذة الصينيين والعرب، وعندما كنت

طالبا كان يدرسني فريق من الأساتذة المميزين منهم من أكمل الدراسة في الكويت والسودان ومصر، وكلهم قد عاشوا في البلاد العربية سنوات طويلة. ومنهم أستاذ عربي متخصص في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أيضا. والجدير بالذكر أن العالم العراقي الكبير الأستاذ هادي العلوي كان يعمل خبيرا للغة العربية في جامعتنا، فاستفدت كثيرا من محاضراته والدردشة معه في بيته بعد الدرس، حيث حكى لنا قصصا كثيرة عن التاريخ العربي والأدب العربي وزودنا بكتب ومجلات عربية. وكنا أولادا صغارا ولم نكن على علم بأن الأستاذ نت الأعلام البارزين في عصرنا هذا.

٤. دور مناهج التعليم والمعاجم:

تكتسب مناهج التعليم والمعاجم أهمية كبرى في تعليم اللغة العربية إذ إنها مواد أساسية لا يستغنى عنها قد ساهم الجيل الأول من المستعربين الصينيين في تأليف مناهج التدريس والمعاجم وفي مقدمتهم الأستاذ محمد مكين الذي درس في مصر سنوات طويلة وعاد إلى الوطن لتأسيس أول قسم للغة العربية في الصين في جامعة بكين عام ١٩٤٦ وقام بتعريب مصطلحات قواعد اللغة العربية وألف المعجم العربي الصيني وترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، والأستاذ عبد الرحمن نا جونغ الذي تخرج في الأزهر الشريف وأسس قسم اللغة العربية في جامعة الدراسات الأجنبية ببكين وألف المناهج المتكاملة لتدريس اللغة العربية ومناهج تدريس قواعد اللغة العربية وعادت فوائد هذه المناهج والمعاجم على أجيال من الدارسين الصينيين، وقد صدرت في الصين أنواع عديدة من مناهج التدريس للغة العربية وتم وضع المعايير الوطنية لتعليم اللغة العربية وانطلق الامتحان الوطني للغة العربية.

وأما مستقبل تعليم اللغة العربية في الصين فقد شهدت الصين خلال السنوات الأخيرة إقبالاً متزايداً على دراسة اللغة العربية وتوسع تدريس العربية كما ونوعا حيث بلغ عدد طلبة أقسام اللغة العربية في الجامعات الصينية نحو ٥٠٠٠ طالب،

ويكمل نسبة كبيرة منهم دراستهم في الدول العربية. كما ازداد عدد الجامعات التي تمنح درجة الماجستير والدكتوراه في تخصص اللغة العربية. وارفعت مخرجات البحث العلمي لأعضاء هيئة التدريس كما ونوعا وتوسعت مجالات الأبحاث لتشمل السياسة والاقتصاد والثقافة والتاريخ فضلا عن اللغة والأدب. تعود تطور قضية تعليم اللغة العربية في الصين بشكل أساسي إلى تنامي العلاقات الصينية العربية خلال العقود المنصرمة. ويختار الطلبة تخصص اللغة العربية لأسباب ودوافع متعددة منها على سبيل المثال، الانتماءات الدينية والشغف بالحضارة العربية الإسلامية، غير أن سهولة إيجاد وظيفة تعد أهم دافع.

قبل ١٥ سنة كانت فرص العمل المتاحة لخريجي أقسام اللغة العربية محدودة جدا حينئذ لم يبلغ حجم المبادلات التجارية بين الصين والدول العربية سوى ٣٠ مليارات، وقد تجاوز التبادل التجاري بين الطرفين ٢٠٠ مليار دولار حاليا، وتم إنشاء منتدى التعاون الصيني العربي عام ٢٠٠٤ بحيث توسعت مجالات التعاون وازدادت التبادلات بين الجانبين وارتقت إلى مستويات رفيعة، فقطعت العلاقات الصينية العربية أشواطا طويلة بما خلق فرص عمل كثيرة مما جعلها لغة مفضلة لدى الطلبة الصينيين لأن إتقان اللغة العربية يؤمن مستقبلهم وهم يعملون كمترجمين ودبلوماسيين ورجال أعمال ومصرفيين وصحفيين وباحثين، فيجب دراسة طلب سوق العمل قبل تأسيس أقسام اللغة العربية وقبول عدد مناسب من الطلبة. عندما كنت طالبا كان هناك ٨ جامعات صينية تدرس فيها اللغة العربية، وبعد مرور عقدين من الزمن، بات هناك نحو ٥٠ جامعة صينية تدرس فيها العربية فضلا عن مدارس كثيرة منتشرة في أنحاء البلاد. بالرغم من الزيادة الهائلة في عدد الجامعات والطلبة، يمكن للغالبية العظمى من خريجي أقسام اللغة العربية إيجاد وظائف ملائمة وتحقيق العيش الكريم، والفضل يرجع إلى حجم التبادل والتعاون بين الصين والدول العربية

لا سيما في مجال الطاقة والتجارة والبنية التحتية.

ولا يفوتني أن أشيد بدعم الجانب العربي قيادة وحكومة وشعبا وبأشكال مختلفة لقضية تعليم اللغة العربية في الصين، حيث تم خلال العقود المنصرمة إنشاء العديد من المراكز والكراسي والمكتبات في الجامعات الصينية على نفقة حكومات وأفراد الدول العربية وأهدت جهات عربية كثيرة كتبا ومراجعا لأقسام الدول العربية في الصين ومنحت جوائز كثيرة للمستعربين الصينيين الأمر الذي أسهم في ترقية مستوى تعليم اللغة العربية وتشجيع الطلبة والأساتذة على التبحر في دراسة وتدريس اللغة العربية والدراسات العربية. والجدير بالذكر أن خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز قام بتدشين مكتبة الملك عبد العزيز في جامعة بكين أثناء زيارة رسمية قام بها للصين عام ٢٠١٧، مما وفر منصة هامة للدراسات العربية في الصين وستساهم في إثراء قضية الاستعراب في الصين بكل تأكيد، وأتوجه بالشكر والتقدير لمركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية الذي قدم إسهامات جليلة لدعم قضية تعليم اللغة العربية في الصين من خلال تنظيم ندوات وورش عمل حول تدريس اللغة العربية وكان آخر هذه الأنشطة العلمية التي نظمها المركز في الرياض، حيث اجتمع رؤساء أقسام اللغة العربية في الصين والسعودية تحت سقف واحد لمناقشة طرائق التدريس وتبادل الخبرات بغية تحقيق المنافع المتبادلة والتقدم المشترك حيث كللت الندوة بالنجاح التام، كما قام الأمين العام للمركز الدكتور عبد الله بن صالح الوشمي بزيارات تفقدية عديدة للصين للتعرف عن كثب على وضع تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية، حيث طرح خلال جولاته في الصين مبادرات ومقترحات وأفكارا بناءة ومفيدة لتطوير تعليم اللغة العربية في الصين وأصبح صديقا محترما وشريكا أمينا لكثير من المستعربين الصينيين ونكن جميعا له ولزملائه في المركز مشاعر الود والامتنان.

ولا يخفى على أحد أن ثمة تحديات وعوائق تحول دون تطور قضية تعليم اللغة العربية إلى المستوى المرجو، منها على سبيل المثال لا الحصر، لازال هناك فهم خاطئ للغة العربية وصورة نمطية للعرب والمسلمين لدى الصينيين تأثيراً بالإعلام الغربي الذي يقوم بتشويه صورة العرب والمسلمين ما أدى إلى عدول بعض الناس عن دراسة اللغة العربية، وتفتقر الأقسام الجديدة إلى أساتذة متمرسين وذوي كفاءة علمية عالية ما أدى إلى انخفاض نوعية التدريس في أقسام كثيرة، وينقص الكثير من الأقسام إلى خصائص تميزها عن بقية الأقسام والتخصصات حيث تستخدم معظم الأقسام نفس مناهج التعليم والكتب المدرسية وطرائق التدريس فبات إنشاء الأقسام الجديدة في كثير من الأحوال مجرد استنساخ الأقسام القديمة دون إدخال إصلاحات وإبداعات لازمة، وأخيراً وليس آخراً يتوجب تعديل طرق التدريس والمواد التدريسية متمشيا مع مستجدات العصر خاصة التقنيات الحديثة المتمثلة في برمجيات الحاسب الآلي وتطبيقات الإنترنت والهاتف الذكي والذكاء الاصطناعي وذلك لأن النمط التقليدي أصبح لا يتناسب مع التطور الهائل والمتسارع في العلم والتكنولوجيا مما يؤثر سلبا على نوعية التدريس ومخرجته إذ يمل الطالب من عملية التعليم والتعلم التي تتخلف عن نمط حياتهم وتختلف عن عاداتهم وطرق التحصيل العلمي.

بعد مرور سبعة عقود من الزمن، حقق تعليم اللغة العربية في الصين إنجازات باهرة بفضل جهود أجيال من المستعربين الذين يتحلون بالتفاني والعمل الجاد بلا كلل ولا ملل والدعم والمساعدات السخية من أهل الضاد. وعلى ضوء مبادرة الحزام الطريق التي طرحها الرئيس الصيني شي جينغ بينغ واستراتيجية النظر شرقا التي تبنتها الدول العربية سيتم التكامل بين استراتيجيات التنمية بين الصين والدول العربية الأمر الذي سيفتح صفحة جديدة للعلاقات الصينية العربية وآفاقا رحبة للتعاون الصيني العربي ما يبشر بمستقبل أكثر إشراقا لقضية تعليم اللغة العربية في الصين.



تَجْرِبَتِي فِي تَعلُّمِ اللُّغَةِ العَرَبيِّة

أ.د. رجب شانتورك – تركيا

رئيس جامعة ابن خلدون/ إسطنبول أستاذ علم الاجتماع السياسي

- حصل على الماجستير والدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة كولومبيا – الولايات المتحدة الإمريكية.

-عضو هيئة الأمناء في مؤسسة إسطنبول للتعليم والأبحاث ISAR.

-رئيس مجلس الإدارة في كلية والدة عتيق ISM، ورئيس مجلس الإدارة في مركز التميز العلمي EDEP.

-عمل عميدا لمعهد تحالف الحضارات في جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية.

-له عشرات المؤلفات والمقالات المترجمة إلى أكثر من لغة، و شارك في عشرات المؤتمرات والندوات في جميع أنحاء العالم.

منذ أيام الطفولة كان الدافع الأساسي لتعلّمي اللُّغة العربيّة -في المقام الأول- فَهم القرآن الكريم وتدبّرَه، ولم أكن يومئذٍ قد بلغت الثانية عشرة من عمري.

وقد درست العربية على الطريقة التراثية المشيخية، فمن أساتذتي: أحد أصدقاء والدي، حيث بدأت العربية معه، وكان قد أتى إلى إسطنبول بهدف حضور مؤتمر علميّ فيها، فزارنا في دكّاننا وتعرّفت إليه آنذاك، والذي بدوره أبدى رغبته في تعليمي وتدريسي لمّا رآني مهتمًّا بقراءة الكتب.

ودرست عليه علم التجويد والقراءة، ثم درست العربية على المنهج العثماني:

الكتاب الأول: (الأمثلة) وهو كتاب في الأوزان الصرفية، كان يُدرّس في العهد العثماني في المدارس، وكان آنذاك مكتوبًا بخطٍّ يدويّ أشبه بمخطوطة تاريخيّة، درسته مع الأستاذ، وحفظت جميع الأوزان الصرفية وتمكّنت منها كلّها.

في الحقيقة كان هذا مفيدًا جدًّا لي، لأنّني أعتقد أنّه بعد تعلّم الأوزان وعلم التصريف فإنّ الطالب يستطيع استخراج الكلمات والأوزان الصرفية والاشتقاقات اللغويّة، وهذا ما حدث معي بالفعل، فسهّلت علي دراسة هذه المجموعة الكثير خلال تجربتي في تعلّم العربية.

الكتاب الثاني: (البناء) وكان موضوعه الأفعال المزيدة كالرباعي والمزيد على الثلاثي ...الخ وكان هذا الكتاب يتألّف من ٣٥ بابًا، ومن يتعلم البناء فإنّه سيتعلم كيف يحول الأفعال الثلاثية إلى رباعية وخماسية وسداسية، وهذا بالتأكيد مفيد جداً، ويمكّن الطالب من معرفة معاني هذه الأبواب الصرفية، مثل باب الإفعال و الاستفعال...الخ.

الكتاب الثالث: (المقصود) وكان حول الأفعال المعتلّة، وكيفيّة تصريف الأفعال الثلاثيّ منها والرباعيّ، وكيف نستخرج الأمر من الفعل المعتل، وهذه تسمى قواعد الإعلال، وكما هو معلوم فهناك سبعة أقسام للفعل، ومن يدرس (المقصود) يتعلم

كيف يصرّف هذه الأبواب وكيف يزيد عليها.

هذه الكتب الثلاثة في الصرف. ويبدأ الطالب – حسب المنهج العثماني – بالصرف ثم ينتقل إلى النحو، ولذلك درست مع الأستاذ بعد ذلك:

الكتاب الرابع: (العوامل) للإمام البركوي، وهو كتاب كان يدرَّس في المدارس العثمانيّة لقرون متطاولة، وفي هذا الكتاب ١٠٠ قسم بشكل منّظم ومرّتب، ويمتلك المتعلِّم ناصية علم النحو بعد دراسته وفهمه. وبحمد الله فقد فهمتُ هذا الكتاب وحفظته، وتعلمت الإعراب والبناء.

الكتاب الخامس: (إظهار الأسرار) للإمام البركوي أيضاً، وكان في هذا الكتاب شرح للعوامل والأبواب النحويّة، لكن هذا الكتاب كان بالنسبة لي أكثر تعقيداً من سابقه، وكان فلسفيًّا بعض الشيء، وصعب عليّ فهمه في البداية واستغلق، إلّا أنني رغم كلّ ذلك- لا أزال وإلى الآن أتذكر شيئاً من ذلك الكتاب:

مثال: تعريف العامل: هو ما يقتضي كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب بواسطة، أي توارد المعاني المختلفة على الكلمة، وكان هذا صعبًا على طفل مثلي يبلغ من العمر ١٢ سنة، وشكّل ذلك لي تحدّيًا، فقلت في نفسي: لماذا لا أستطيع فهم هذا الكتاب؟! وقد كنت في ذلك الوقت طالبًا مجتهدًا في المدرسة، وأحب الدراسة والتعلّم وقراءة الكتب بشكل كبير، فقرّرت شراء كتب متعلّقة بالنّحوِ والصرف وكل ما يساعدني على فهم هذا الكتاب، وكانت كل تلك الكتب باللغة العربية، لكن -ولله الحمد- فقد كنت أمتلك القدر الكافي من الجرأة والجسارة لأتغلّب على تلك العقبات وألّا أستسلم من المرة الأولى، وكثيراً ما كنت أردّد القول بأنّه لا يوجد شيء لا أستطيع فهمه، فاشتريت -كما ذكرت- جميع الشروح والحواشي وكتاب المعرب، وكان هذا للطلاب في الجامعات وليس للصغار، وكانت عربيّتي في ذلك الوقت ضعيفة، فكنت أحاول أن أقرأ لكنني لم أكن أفهم شيئًا.

في ذلك الوقت كان يسكن فوق شقّتنا عالم كبير اسمه أمين عاشق كوتلو، وكان يدرّس الكثير من الطلّاب الذين تتلمذوا على يديه حتّى صاروا علماء؛ وكان أيضا ثمّة معهد في منطقة «الحسكة» وكان يسمّى كلّيّة جرّاح باشا، وكان المفتون والعلماء يأتون إلى هناك ليدرسوا ويختصوا في هذا المركز التخصّصي على يد عالم كبير القدر جاوز الثمانين، وكان أحيانًا يراني على الدرج حين كنت أذهب إلى هناك، وذات مرة قال لي: إذا صادفت أية مشكلة تعال وزرني واسألني ما تحتاج السؤال عنه. فوجدت ذلك فرصة لي لا تفوّت، فأنا -كما ذكرت- لم أكن أفهم من هذا الكتاب شيئًا، فقلت في نفسي: سأذهب إلى شقّته، وفعلا ذهبتُ إليه، وطرقت الباب، خرج إليّ حفيده، وقال : من أنت؟ فقلت له: أنا جاركم، وجئت أسأل الشيخ سؤالًا، فقال: وعن أي شيء؟ قلت: من كتاب الإظهار، فتعجّب الشاب كثيراً، وقال: أنت تقرأ الإظهار؟ فقلت له؛ نعم أنا أقرأ هذا الكتاب، فقال لي: وأنا أيضا أقرأه، وكان شابًّا ليس بالصغير، فكان الأمر عجيبًا بالنسبة لي، وقلت في نفسي: لماذا تأخر هذا الرجل في قراءة هذا الكتاب إلى سنّ الجامعة؟! بعد ذلك أخذني إلى غرفة الشيخ، وكان الشيخ قد وصل لتوه من العمل متعباً، فدخل عليه وقال له: يا جدي جارنا قد أتى يريد أن يسألك بعض الأسئلة حول كتاب الإظهار، وكان الشيخ مستلقياً، فلما سمع بأن طالباً جاء ليسأل أسئلة علمية، جلس وعدل جلسته ولبس عمامته، ورتب لباسه، وتوجه إلي وقال تفضل يا (ملا) اسأل سؤالك.

فقلت له: يا شيخ ما معنى الواسطة في قول البركوي في كتابه الإظهار في تعريف العامل: هو ما يقتضي كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب بواسطة، أي توارد المعاني المختلفة على الكلمة؟ فنظر إليّ، ثم نزع عمامته واستلقى مرة ثانية وقال: يا بني أنت ستفهم هذه الأشياء عندما تكبر! ثم سألني عن معرفتي بكيفية كتابة الخط العربيّ اليدويّ. فأجبته بالنفي. فبدأ يدرّسني كيفية كتابة الخط العربيّ، ولم يشرح لي ما

معنى الواسطة لأن هذا كان معقدًا. بعد ذلك تعرّفت إلى هذا الشيخ أكثر، وانتقلت إلى مرحلة جديدة في الدراسة:

الكتاب السادس: (شرح قطر الندى)، حيث اقترح عليّ الشيخ أن أقرأ معه هذا الكتاب، فأصبحت في ذلك الوقت أدرس الكتابين معًا، (الإظهار والقطر) فتعرفت إلى هاتين المدرستين المختلفتين مدرسة ابن عقيل ومدرسة ابن هشام، وطُرق كل واحد منهما وأساليبه، وكانت هذه المقارنة مفيدة إلى أبعد حدّ .

الكتاب السابع: (الكافية في النحو) لابن الحاجب وله شرح لعبدالرحمن الجامي، عالم وفيلسوف كبير من أذربيجان، مشهور بـ (ملا جامي) ولمّا قرأت هذا الكتاب استمتعت كثيراً، وكان يحوي فلسفة اللغة وأشياء عميقة.

وعندما كنت أدرس كتاب شرح قطر الندى مع الشيخ بدأ يدرسني أيضاً كتاب (مختصر القدوري) في الفقه الحنفي، وكان آنذاك يشرح باللغة التركية، وفجأة في أثناء الدرس بدأ يتكلم بالعربية، وسألني في آخر الدرس: كم فهمت؟ قلت له: يعني ٥٠ أو ٦٠ بالمئة، قال لي: لا مشكلة. واستمر على هذا النحو في الإعطاء، وبعد ثلاثة أسابيع أو أربعة سألني: كم فهمت؟ قلت له: ١٠٠ بالمئة وكان عمري في ذلك الوقت ١٤ أو ١٥ سنة تقريباً. فالحمد لله؛ لأن الشيخ كان متقنًا جداً في التدريس، وكان يعطيني لكل كلمة مترادفات كثيرة وهذا أفادني كثيراً.

هذا كله في القواعد العربية، ومن خلال تلك الدروس استفدت كثيراً في مجال بنائي للمفردات العربية، لأن قراءة هذه الكتب وقراءة شروحها أيضاً يشكل عند الطالب خزّان مفردات، يعني مثلاً حين يقرأ الطالب قطر الندى فإن الأشعار والشروح التي يحويها هذا الكتاب تعطيه مفردات واسعة. ولم أكن أستعمل القاموس للترجمة كثيراً، لأن الشيخ كان يشرح كل شيء.

بعد ذلك انغمست في العربية، حين طلب مني الشيخ ألا أقرأ كتبًا تركية، وأنّ

الواجب عليّ أن أحاول قراءة الكتب العربية، وقد بدأت بالفعل بهذا؛ لشغفي بقراءة الكتب، وبما أن الشيخ منعني من قراءة الكتب التركية وترك لي طريقًا وحيدة للقراءة -وهي قراءة الكتب العربية- فقد حاولت فعلاً تطبيق هذا بحماس كبير؛ فذهبت إلى السوق واشتريت كتبًا مثل كتاب تفسير أبي السعود أفندي، وكان يوجد في البداية تفسير لسورة الفاتحة فقلت في نفسي: آه! ما أسهل قراءة سورة الفاتحة! وبدأت القراءة في التفسير، ولكن من الصباح إلى المساء لم أفهم شيئًا، فقلت: سأحاول قراءة سورة الإخلاص فربّما هي أسهل، وفعلاً قرأتها وبدأت بقراءة التفسير ولكن أيضاً لم أفهم شيئًا! فقلت: ما هذه اللغة الصعبة! بعد ذلك شرعت في شراء الكتب العربية الحديثة والقديمة ومحاولة القراءة فيها؛ طبعاً هذا ما يُطلَق عليه عند في تدريس اللغات في زماننا: (الانغماس اللغوي)، وفعلاً كان هذا مفيداً جداً لي كمنهج. وطبعاً بعد سنة ونيّف لم يعد لدي مشكلة في فهم العربية، وبدأت بعد ذلك في قراءة كتب المنطق والتفسير، كتفسير النسفي وبعض الكتب الحديثة والفقه وكتب اللغة.

وكل ما مضى كان مفيدا لي من حيث إتقان القراءة والفهم والاستماع، إلا أن المحادثة تطورت عندي بفضل دكان والدي، الذي كان قريبا من جامعة جرّاح باشا، وكنت آتي من المدرسة إلى المحل، وكان يوجد بعض الطلاب العرب يدرسون الطب في نفس الجامعة، وكانوا يأتون إليَّ عندما يحتاجون أي شيء، فكنت أساعدهم، وكنت أحياناً ألتقي مع بعض السياح، فأمارس العربية وأتقصد ذلك حتى تطورت محادثتي.

وظهرت أثر هذه التنمية عندما جاء أحد الأساتذة في مدرستنا من العمرة وبدأ يتكلّم بالعربية مع الطلاب وسط اندهاشهم، وكأنه كان يريد أن يظهر نفسه بأنه يُحسِن التّكلم بالعربية وكان الطلاب يستمعون إليه معجبين، ولكن فجأة بدأت أنا بالكلام معه بالعربية، عندها أصابته صدمة وتفاجأ بشكل واضح، فقال لي: من أين تعرف العربية؟ قلت له: أنا أعرف التكلم بها جيّداً. فقال: ولماذا لم تخبرني لكي أعطيك أعلى

علامة؟ فقلت له: بالنسبة لي العلامة ليست مهمة، المهم هو العِلم.

تعلّمت العربية من خلال منهج عثماني صحيح، وهو في رأيي من أفضل المناهج في العالم وأيسرها، ومن أقصر الطرق إلى تعلّم العربية، لأنني -في الحقيقة- سافرت إلى بلاد عربية وأخرى عالمية، وسافرت إلى الهند مرّات ورأيت الكثير من المناهج، وأنا أتحدى أي منهج أن يكون أفضل من المنهج العثماني؛ ففي العهد العثماني كان على كل موظف حكومي أن يعرف ثلاث لغات، فكانت الفارسية لغة الأدب، والعربية لغة العلم، والتركية لغة الإدارة، ومن لا يتقن هذه اللغات كان لا يعدّ من المثقفين المتعلمين، فقد كانت ضرورية ليعدّ الإنسان مثقفًا وذا مكانة علمية واجتماعية محترمة، فكان يجب أن يعرف الأشعار وإنشادها، طبعاً هكذا كان يقيّم الإنسان في ذاك الوقت، فلقد رأيت المنهج الأمريكي، وكنت أشاهد الطلاب كيف يتعلمون العربية في جامعة كولومبيا، وكان يعانون من ذلك أشدّ المعاناة، أما المنهج العثماني فما عليك إلّا حفظ عدد معين من صيغ التصريف والأبواب النحوية، والتي بكل تأكيد ستسهّل عليك التعلم بسرعة والتمكّن من اللغة، وإنّني و بعد تجربة طويلة أعتقد أن المنهج العثماني مرتّب وواضح وقوي.

ونظرة بعض الباحثين إلى الطريقة العثمانية بناء على ما يشاهدونه من بعض الأساتذة الذين لا يتقنون المحادثة وغيرها: ليست نظرة شاملة، فإن اعتقادي أن هؤلاء الأساتذة لم يدرسوا هذا المنهج الصحيح بشكل جيد، لأن المنهج العثماني الصحيح يتطلب الصبر والمثابرة والاستمرار، عكس ذلك فلن تحصّل نتيجة مفيدة؛ فأنا صبرت وتابعت ولم أترك، فالناس يتركون ولا يستمرون، كذلك أيضاً أنا لم أدرس النحو والصرف فقط، بل درست النصوص أيضاً فكان الأستاذ يعطيني المترادفات والمفردات، وكذلك فإن جل هؤلاء لم يمارسوا اللغة، ولم يطبقوها بشكل عملي، ولا يستطيعون ربط المفردات في عقولهم، فيبقى تعلم اللغة عندهم كثقافة.

فالمنهج العثماني يتجه بالطالب إلى ما كان يسمى قديماً «كسب الملكة» فيجب على الطالب أن يكسب الملكة، لذلك المنهج العثماني يعتمد على «كسب ملكة اللغة» وأعتقد أن الكثير منا لا يعرف الفرق بي التعلّم وكسب الملكة، فالطالب بعد كسب الملكة سيطبق الفرق بين هذا وبين مجرد التعلم والمعرفة، وقد فصل ابن خلدون في ذلك طويلا، فنستطيع أن نقول: إن المنهج العثماني في تعليم العربية لا يقتصر على تعميم القاعدة فقط، بل كان يحاول أن يكسب الطالب الملكة؛ فأنا كنت أطبق كثيراً من التمارين وأقوم بتحليل النصوص التي أدرسها وتطبيق النحو عليها.

وقد شاعت مقولة في زماننا -بخصوص تعلم اللغة- تقول: إن تعليم المفردات أهم من تعليم القواعد؛ لأن المفردات في النص الكلاسيكي شيء أساسي في الفهم أكثر من القواعد، لكن يمكنني الرد عليها بأنني ما درست أي نص كلاسيكي أو فقهي لأجل تعلم اللغة العربية فقط، لا بل كنت أتعلم العِلم واللغة بنفس الوقت، فأرى بأن المدرسة العثمانية قد قدّمت تعليم الصرف على النحو؛ لأن المفردة هي الأساس، وأعتقد أن العثمانيين ما فعلوا شيئًا إلا بعد تجربة وخِبرة طويلة جداً، ودائماً هناك منطق وحكمة وراء منهجهم؛ فكانوا يعلّمون المفردات دون التعرُّض بشكل مباشر للنحو، بل عن طريق قراءة النصوص وترجمتها، وعن طريق النحو والترجمة والتحليل.

إن المدّة التي احتجتها لإتقان العربية حوالي الخمس سنوات يعني من ١١ إلى ١٦ سنة حتى استطعت أن أفهم كلام شيخي مئة بالمئة، وإن أكثر ما حافظ على محادثتي أنني بعد هذه المدة لم انقطع عن اللغة، بل على العكس من ذلك فقد قمت بتدرّيس العربية من نحو وقواعد وصرف في مدارس عديدة.

وأما اهتمام المجتمع بتعليم العربية في زمن تعلّمي العربية فلم يكن هناك أي نوع من أنواع الاهتمام إلا من قبل المتديِّنين والعلماء، وكان تدريسها ممنوعاً إلا في بعض

مدارس الأئمة والخطباء.

وقد أثر إتقان اللغة العربية في حياتي الشخصية والعلمية فقد كان هدفي منذ البداية فهم القرآن الكريم، فهذا يسهّل عليّ تدبُّره والتفكّر فيه، والذي سيؤثر في المتعلم لا محالة من جميع نواحي الحياة، ويجعله إنساناً كاملاً وعاقلاً حكيماً، وأيضاً أثّر ذلك كثيراً من حيث الحياة العملية والوظيفية، فأنا الآن الشخص الثاني فقط ممن يرأسون بعض الجامعات ويتكلمون العربية ويتقنونها، وهذا يسهّل عليّ التواصل مع المحيط العربي والجامعات العربية؛ لأنّه بالعادة يأتي إلينا زوار، وهذا أفادني كثيراً وساعدني على التواصل، كما أنه ساعدني في الأبحاث التي أقوم بها شخصياً.

وأما التحديات التي تواجه تعليم العربية في الوقت الحاضر فهي:

أولاً: قضية المناهج، فأنا أعتقد أن هذه المناهج الجديدة -التي ليست نتيجة عمل وفلسفة علمية واضحة- من أكبر التحديات؛ فهذا يضيع وقت الطلاب ويتسبب بفشله ومنعه من تحقيق هدفه.

ثانياً: مسألة الأساتذة الذين يدرّسون العربية وهم أنفسهم لا يتقنون هذه اللغة، يعني هذه أيضاً من المشكلات بشكل عام جلُّ هذه التحديات تكمن في الأساتذة والمنهج.

وأرى أن تدريب الأساتذة على أساليب التدريس الحديثة بشكل جيد ومتقن قليل هنا، ولذلك يمكن أن ينقلب بعض الناس الذين يرغبون بدراسة اللغة عندما لا يرون كتابًا جيدًا ولا أستاذًا جيدًا، ومن ثم يقولون: إن هذه اللغة صعبة ولا يستطيعون تعلّمها، وأخاف أن يستقر في أذهان الناس أن هذه اللغة صعبة التعلم ، واستمرار هذا الاعتقاد سيكون خطيراً جداً.

وأما رؤيتنا في جامعة ابن خلدون لتعليم العربية فممّا لاشكّ فيه بأننا -وبعد هذه السنوات- انتقلنا إلى مرحلة جديدة في تعلم اللغة العربية، خاصة نحن هنا في جامعة

ابن خلدون، وانفردنا بأن جعلناها شرطاً للتخرّج، وعلى الطالب في جامعتنا أن يصل إلى المستوى المتقدم الأدنى على أقل احتمال حتى يتخرج، وإن شاء الله نحن سنصنع منهجاً جديداً لتعليم اللغة العربية للمسلمين تحت عنوان العربية للحياة والتراث، وأقمنا وعقدنا الندوات والمؤتمرات ولا نزال مستمرين في ذلك، دون ادّخار أي جهد لتحقيق هذا المشروع الكبير بإذن الله، ولقد أنشأنا مركزًا مخصّصاً لمتابعة العمل حتى تحقيقه وإنجازه على أتمّ وجه؛ سائلين الله عزّ وجلّ التوفيق والسداد .



تجربتي في تعلُّم العربية وتعليمها

الأستاذة الدكتورة رحمة بنت أحمد الحاج عثمان - ماليزيا

نائبة مدير الجامعة الإسلامية العالمية في
ماليزيا للبحث العلمي والابتكار

- حصلت على البكالوريوس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية من جامعة الأزهر، والماجستير من الجامعة الأردنية.
-حصلت على الدكتوراه من في الأدب المقارن من جامعة لندن.
-أستاذة زائرة في جامعة أوتاغو Otago في نيوزيلاند لعامي ٢٠٠٩ - ٢٠١٠.
-عميدة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية ٢٠١٦ - ٢٠١٧.

بتأثير من التَّعالُق بين العربية والإسلام بدأ تعليم العربية في ماليزيا مع مجيء الإسلام إلى شواطئ جنوب شرق آسيا؛ إذ لا يُمكن اتِّباع الإسلام وفهمُه فهماً شاملاً من دون تعلُّم العربية، وهكذا أصبح تعلُّمها جزءًا من تقاليد ماليزيا، فهي اللغة الرسمية لدين البلاد الرسمي؛ الإسلام.

ويبدأ تعليم العربية في ماليزيا في مرحلة رياض الأطفال؛ إذ يتعلَّم الصغار الحروف العربية للتمكن من تلاوة القرآن الكريم، ولا يُنهي التلميذ الصف الأول أو الثاني إلا وقد أجاد قراءة الحروف العربية، ثم تعمد المدارس إلى اتِّباع أسلوب التحفيظ للنصوص العربية من دون تفهيمها بدافع أن القراءة بالعربية جزءٌ من نَقْلِ المعارف الإسلامية في ماليزيا؛ لذا كان تعلُّم العربية إلزاميًّا في المدارس الدينية والابتدائية (العلمانية)، واختياريًّا في المدارس الثانوية (العلمانية)، وهو ما تكرَّس مع الصحوة الإسلامية في ماليزيا في ثمانينيات القرن العشرين؛ حينها كنتُ في السادسة عشرة من عمري طالبةً في المرحلة الثانوية في الفرع العلمي، ولم أعرف من العربية غير تلاوة القرآن الكريم من دون فهمه، وإذ سيطر الوعي الإسلامي في المؤسسات التعليمية الماليزية آنذاك؛ تحوَّل كثير منها إلى اعتماد التوجه الإسلامي شكلاً ومضمونًا بدلاً من توجهها العلماني، وتمشيًّا مع هذا آثرتُ ترك الفرع العلمي إلى الدراسة الدينية التي كان لا بُدَّ للملتحقين بها من تعلُّم العربية.

واختار أهلي إلحاقي بمدرسة ابتدائية تعنى بعلوم اللغة العربية - مؤسِّسها من أسرة حضرمية الأصل - هي مدرسة العطَّاس في وادي هنا Wadi Hana في مدينة جوهور بارو Johor Bahru، ورحتُ أدرس فيها صباحًا مع التلاميذ الصغار رغم أني كنتُ في السادسة عشرة من عمري، أما مساءً فبدأتُ دروسًا مكثفة مع الأستاذ محسن العطاس الذي درَّسني العربية وعلومها نحوًا من ثمانية شهور بمعدل خمس ساعات يوميًّا في أثنائها كان يُلزمني بحفظ نصوص شعرية تراثية، وبقراءة كُتُب

تراثية إسلامية، من دون التركيز على فهمها؛ بغية تمكيني من القراءة بالعربية.

ثم امتُحنتُ في المدرسة الابتدائية، وتحصَّلتُ على درجات ممتازة، فتقدَّمتُ إلى امتحان اللغة العربية للمرحلة المتوسطة، واجتزتُه بتقدير جيد جدًّا؛ مما مكَّنني من الانتقال سريعًا إلى الصف الرابع المتوسط، وتابعتُ دراستي في المرحلة المتوسطة ودروسي مع الأستاذ الحضرمي؛ لأنال المرتبة الثانية في المدارس المتوسطة على مستوى ولاية جوهور.

وفي أثناء الإجازة سجَّلتُ في كُتَّاب في منطقة لاوانغ Lawang شرقيَّ جاوا Jawa في إندونيسيا، وفيه تابعتُ دراسة العربية وفق الأسلوب الذي يُركِّز على التحفيظ والقراءة من دون الفهم.

من بعدُ التحقتُ بمعهد جوهور للدراسة الثانوية، ونلتُ درجة امتياز في كل فصل من فصولها، وما أنهيتُ الصف الرابع الثانوي إلا متفوقة في المرتبة الأولى على مستوى ولاية جوهور أيضًا، حينها حصلتُ على إحدى المنح الدراسية الخاصة بمواليد هذه الولاية؛ رغم أني لم أكن منهم.

وبموجب هذه المنحة الدراسية سافرتُ إلى مصر للدراسة في كلية البنات للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة الأزهر، وهناك بدأتُ معاناتي الحقيقية في دراسة العربية، فما اعتدتُه من قبلُ كان استخدام العربية الفصيحة، في حين أن الأساتذة في الجامعة كانوا يستخدمون اللهجة العامِّية المصرية، وأذكر أني طلبتُ من بعض الأساتذة أن يتحدث بالعربية الفصيحة، فما كان جوابه إلا أن قال بلهجته: «ارجعي لبلدك»، حينها عزمتُ على تعلُّم هذه اللهجة، ورحتُ أتابع المسلسلات والأغاني المصرية، وأُديم التواصل مع محيطي الاجتماعي، فبعضُ صديقاتٍ، وبقَّالٌ، وحارسُ عمارة، وجيرانٌ... إلخ، وإقامتي في حيٍّ (رابعة العدوية)؛ هذا كلُّه ميَّزني من غيري من الطلاب الماليزيين الموفدين معي إلى مصر للدراسة؛ إذ حافظ هؤلاء على

انغلاقهم وبُعدهم عن التواصل مع محيطهم، أما أنا فتعلَّمتُ اللهجة المصرية؛ لأتخرَّج بعد أربع سنوات في جامعة الأزهر سنة ١٩٩١.

رافق تخرُّجي في جامعة الأزهر افتتاحُ قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، مما حدا بي – بطلب من السفارة الماليزية في مصر آنذاك – للعودة والتعليم هناك لسنتين ١٩٩١ – ١٩٩٢، ثم سافرتُ إلى الأردن سنة ١٩٩٣ لدارسة الماجستير، وبقيتُ هناك أربع سنوات عانيتُ فيها كثيرًا من اختلاف طبيعة الأردنيين وعاداتهم عما تعلَّمتُه في مصر، كما أن أساليب الدراسة ووسائلها كانت مختلفة، ولم يكن معي من يُساعدني في هذا من الأصدقاء، إلى أن تعرَّفت بالمرحوم الأستاذ إسماعيل العميرة وأُسرته، وبالأستاذ نهاد الموسى، فقد دعماني لأجتاز هذه المرحلة، وأتخرَّج في الجامعة الأردنية سنة ١٩٩٧ بشهادة الماجستير في الدراسات الأدبية العربية، وكان عنوان رسالتي: «صورة المرأة في القصة القصيرة الأردنية والماليزية؛ دراسة مقارنة».

قُبيل مناقشة رسالة الماجستير تقدَّمتُ بطلبات لدراسة الدكتوراه في الجامعات البريطانية، وقد قُبلتُ في اختصاص الأدب المقارن في جامعة لندن، وأعدتُ رسالة عنوانها: «الأدب الإسلامي في ماليزيا والبلدان العربية»؛ أشرف على إنجازها الأستاذان: المصري محمد عبد الحليم، والألماني يورك كراتس York Kratts، وقد أُجزتُ فيها سنة ٢٠٠١ بعد أربع سنوات قضيتُها في لندن عرفتُ فيها معنى الاحتراف الأكاديمي والبحث العلمي الرصين ونظام الدعم العلمي الممتاز، ولا سيّما من خلال توفُّر المنشآت العلمية والتعاون العلمي غير المحدود الذي أبداه المشرفون والموظفون والطلاب، وعلى رأسهم المشرف الألماني الذي ما بخل علي يومًا بأيٍّ مما يلزمني في أثناء دراستي.

عُدتُ بعدها لأُتابع مشواري التدريسي في قسم اللغة العربية، كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا منذ سنة

٢٠٠١ إلى اليوم، وترقَّيتُ في الدرجات العلمية الوظيفية:

-محاضرة مساعدة حتى سنة ٢٠٠٢.

-أستاذة مساعدة ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨.

-أستاذة مشاركة ٢٠٠٩ - ٢٠١٤.

-أستاذة منذ ٢٠١٥.

فضلاً عنه عملتُ أستاذة زائرة في جامعة أوتاغو Otago في مدينة دَنيدن Dunedin في نيوزيلاند بين سنتي ٢٠٠٩ - ٢٠١٠.

ورافق هذا أن شغلتُ عددًا من المناصب الإدارية في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا؛ منها:

-منسقة المناظرة بالعربية على مستوى الجامعة ٢٠٠٣ - ٢٠١١.

-المستشارة الأكاديمية لقسم اللغة العربية ٢٠٠٧ - ٢٠٠٩.

-نائبة العميد للدراسات العليا والبحث العلمي في كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية ٢٠١٠ - ٢٠١٢.

-نائبة العميد لضمان الجودة والابتكار في كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية ٢٠١٢ - ٢٠١٤.

-نائبة مدير مكتب ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي ٢٠١٤ - ٢٠١٦.

-عميدة كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية ٢٠١٦ - ٢٠١٧، وقد كنتُ أول امرأة يُسند إليها هذا المنصب منذ إنشاء الكلية.

-نائبة مدير الجامعة للبحث العلمي والابتكار ٢٠١٧ - إلى اليوم.

ذلكم موجز حياتي الأكاديمية إلى اليوم، وفيه تتبدَّى ملامح من تجربتي في تعلُّم العربية في أثناء المراحل الدراسية كلِّها، ولا أُبالغ إن قلتُ إنَّ تدرُّجي في تعلُّمها قرين تدرُّجي في تعليمها؛ لأني وظَّفتُ في هذا ذاك، واستفدتُ منه في سبيل تطوير نفسي

وفق احتياجات الطلاب الذين أراني تعلَّمتُ منهم قبل أن يتعلموا مني، وذا ما ستُبيِّنه السطور الآتية مفصلاً.

فمما لا شكَّ فيه أن هنالك فرقًا بين تعلُّم العربية في بلدانها وبينه في غيرها، ففي البلدان العربية يستعمل الطالب العربية طوال اليوم، فيقرأ الصحف والمجلات، ويستمع إلى البرامج الإذاعية، ويُشاهد التلفاز، وغير ذلك مما يُلقِّنه خفايا اللغة تلقينًا غير رسميٍّ؛ بملاحظته تعاملات الناس ومشاعرهم وتجاربهم، ولكن تبقى للتلقين الرسمي - ممثَّلاً بالطريقة التعليمية التقليدية - أهميَّته في اكتساب العربية الفصيحة؛ إذ يقتصر المعلمون التقليديون عادة على تحفيظ الطالب نصًّا - وغالبًا ما يكون نظمًا - يشرحونه كلمةً كلمةً، ومنه ينتقلون إلى نصوص أكثر تفصيلاً، مما يُشكِّل شخصيته باحثًا في واحد من الاختصاصات، ولا يخفى أن لهذه الطريقة مزايا كبيرة؛ ذلك أن الأسلوب الشخصي والإشراف المباشر في التعليم والامتحانات يمنح الطلاب فهمًا واضحًا لما يتعلَّمه، فضلاً عن أنَّ عَدَمَ تجاوُز أيِّ دَرْسٍ حتى حِفْظِهِ وفَهْمِهِ يُؤدِّي إلى إتقان الطلاب ما يتعلَّمونه، فهم يعيشون مع العربية، ويستعملونها في جميع المجالات والأوساط العلمية والرسمية والاجتماعية؛ بما يتوافق مع البيئة العربية التي تُعلَّم فيها، ورغم أنها - أي الطريقة التقليدية - نُقلت إلى المؤسسات التعليمية في ماليزيا مع عودة الخريجين ليعملوا أساتذة فيها؛ لم تكن لها مزاياها في البيئة العربية؛ إذ غلبتها ثقافة الملايو، ولا سيما في مرحلة شرح النص التي تلي مرحلة حفظه؛ إذ إن هذا الشرح - للأسف - يكون بالملايوية، مما ينتج عنه اختلاف في مستوى إتقان العربية بين الخريجين، وهذا ما يُلحظ حتى اليوم لدى بعضهم؛ لأن اللغة المحكية داخل البيئة المدرسية وخارجها ليست اللغة التي يجري تعليمها، ومن ثم تقتصر معرفتهم العربية على إتقان قواعدها من دون تطبيقاتها، فلا يستطيعون تجاوز الأمثلة المسوقة في كُتُبها، ولا يمكنهم التعبير عمَّا يجول في خواطرهم بالعربية، ويقفون عاجزين أمام

استشرافهم أنَّ لاستخدام العربية فائدة مستقبلية، مما لا يُلبِّي طموحاتهم أو يُحقق أهدافهم.

وعليه كان أن شغلني البحثُ عن طريقة في تعليم العربية للناطقين بغيرها – ولا سيما الملايو؛ لأنهم مسلمون طبعًا – تُحقِّق في بيئتهم مزايا تعليمها في البيئة العربية.

وتنبني تجربتي هذه على الطريقة التقليدية في تعليم العربية؛ بمرحلتيها: مرحلة الحفظ، ومرحلة الشرح، ومادَّتها الشعر العربي مسوقًا من خلال التقانة الرقمية التي تُمثِّل روح هذا العصر الحالي؛ مما يلزم معه أن أتكلم على عنصرين: المادة العلمية، والوسيلة التعليمية؛ لتضح تجربتي الخاصة وتطوُّرها من اختياري المادة العلمية وتعليمها تقليديًّا، إلى تخيُّري وسيلة تعليمية عصرية تُتعلَّم من خلالها.

وقد اخترتُ الشعر العربي مادة علمية في تجربتي التعليمية بداعٍ من أن القرآن الكريم معجزة نبيِّنا محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ نَزَلَ في زَمَنٍ كَثُرَ فيه السجال الشعري بين الشعراء والقبائل، وقد أبهر هؤلاء جميعًا وأعجزهم، بل تحدَّاهم بأن يأتوا بمثل أصغر جزء منه، وأنه لما وَعَوْهُ، ولم يجدوا سبيلاً إليه ولا مطعنًا فيه؛ قام بعضهم يصدُّ عنه لئلا يتأثروا به، فيستسلموا لأوامره، ويخسروا التحدي، ولكن أكثر العرب عندما سمعوا القرآن أسلموا، ولم يكن من ذلك بُدٌّ، مما يدلُّ إلى أنهم فهموا القرآن كما أُنزل، واتعظوا به، وليفهم غيرهم كلامهم وكلام ربهم –عزوجل– كان لا بُدَّ لهم من أن يتعوَّدوا أساليب العرب وتراكيب كلامهم ودقائق ألفاظهم؛ لتكون مدخلاً لهم إلى فَهْمِ القرآن الكريم الذي يستحيل أن يُفهم مقصوده بأيِّ تفسير أو ترجمة أو شرحٍ؛ عربيًّا كان أم أعجميًّا.

وفي رأيي يأتي الشعر العربي في مقدمة وسائل إتقان العربية إذا توفَّر له أستاذ تهيَّأت له أسباب المعرفة والشروط الذاتية المطلوبة، وتمكَّن من استيعاب أساليب التعليم التربوية، فالشعر – بما يتصف به من متعة وإفادة – يمنح الطلبة المعارف

المتنوعة، ويُنمِّي ذائقاتهم الجمالية، وهو في آنٍ معًا وعاء اللغة، وهذا معاوية بن أبي سفيان سأل أحدهم يومًا: «ما علَّمت ابنك؟»، فأجاب: «القرآن والفرائض»، فقال: «روِّه من فصيح الشعر؛ فإنه يُفتِّح العقل، ويُفصِّح المنطق، ويُطلق اللسان، ويدلُّ على المروءة والشجاعة»، وكذلك قال ابن فارس: «الشعر ديوان العرب، به حُفظت الأنساب، وعُرفت المآثر، ومنه تُعلِّمت اللغة»، فبالشعر تكون العربية لسان المحادثة والكتابة، ويُزوِّد الطلبة بثروة جمالية أدبية ممتعة؛ ليتمثلوها في إنتاج صور فنية وفكرية جديدة، ويُحثُّ المتلقي لرَبْطِ أفكاره وثقافته بالتراث العربي الأدبي والنقدي واللغوي والفكري.

وعليه لا غرو أن كان الشعر المادة الأولية لدراسة العربية، وإن اتُّخذ وسيلة لتعليم العربية للناطقين بغيرها فلا بُدَّ من أن يكون وسيلة ناجعة بالنسبة إليهم؛ نظرًا إلى أهداف تدريسهم إياه، ومنها:

أ.تنمية ثروتهم اللغوية.

ب.وصلُهم بالتراث العربي وتعريفهم القيم العربية الأصيلة.

ج. إبراز أثر الثقافة الإسلامية في الشعر العربي، وتبادُلهم الآراء من خلالها، ومساعدتهم على اشتقاق معانٍ جديدةٍ للحياة من خلال الثقافة العربية.

د. تنمية قدرتهم على التفهم العميق لآدابهم وأنماط التعبير الأدبيّ بلغاتهم من خلال الشعر العربي.

هـ. تنمية قدرتهم على الاستمتاع بالشعر العربي وتذوُّقه من خلال معايير النقد الجمالي، وتنمية ميولهم إلى القراءة الحرَّة في مجال الأدب.

و. وصلُهم بإنتاج الشعراء والمفكرين العرب؛ لمتابعة إنتاجهم في دُوْرِ النشر المختلفة.

وقد سعيتُ إلى تحقيق هذه الأهداف المتقدمة لدى الطلبة الماليزيين من خلال جمعٍ

من العمليات التي تُسهم في إتقانهم العربية في غير بيئتها الأصلية، ويأتي في مقدمتها غرسُ الذائقة العربية، فلطالما تكرَّرت مقولة إنَّ الشعر العربي ديوان العرب؛ أي إنه سجلٌّ لأيامهم وتقاليدهم وأخبارهم منذ الجاهلية حتى عصرنا الحاضر، ومن أُمعن قراءته وتدبُّره فلا مندوحة لديه من أن يكتسب الذائقة العربية التي تُعدُّ من أُسس فهم العربية وأساليبها وتوظيفها في سبيل اختيار اللفظ المناسب كلَّ معنًى من المعاني؛ سواء أكان هذا المعنى علميًّا أم فنِّيًّا، ويحلو لي كثيرًا - وأُكرِّره - التمثيلُ لهذا بقول امرئ القيس:

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُولَهُ	عَلَيَّ بِأنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ	وأرْدَفَ أعْجَازًا ونَاءَ بِكَلْكَلِ:
ألا أيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألا انْجَلِ	بِصُبْحٍ ومَا الإصْبَاحُ مِنْكَ بِأمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأنَّ نُجُوْمَهُ	بَكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
كَأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ مِنْ مَصَامِّهَا	بِأمْرَاسِ كِتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

فإن كلماته الواضحة مستقاة من البيئة التي كان يحيا فيها، ويبدو من خلالها جمال الوصف ودقَّته، ولو وعيها الطالب لأمكنه تخيُّل ما يتكلم عليه امرؤ القيس كأنه كان معه حين نظم هذه الأبيات.

والعملية الثانية معرفة القواعد اللغوية وحفظها؛ إذ من المعروف أن الشعر العربي نُظم في ضوابط سليمة من الأخطاء الشائعة، ومن هنا يمكن لدارسي العربية تعلُّم قواعد العربية تطبيقيًّا، وهذا ما يتحقَّق بإجراء تدريبات للبحث عن أمثلة القواعد في الأبيات الشعرية، ولا سيما أننا إذ نُطالع المصادر النحوية نجد مؤلِّفيها استقوا أكثر شواهدهم من الشعر العربي، وكلنا يعرف في هذا المقام مثلاً ما أورده سيبويه في (الكتاب) من شواهد شعرية.

ومن العمليات تيسير الحفظ والاستظهار؛ فإن علماء المسلمين لإدراكهم مكانة الشعر العربي وسيلة للحفظ والاستظهار؛ راحوا ينظمون بعض مؤلفاتهم نظمًا، كما

فعل ابن مالك في ألفيَّته في النحو، وابن الجزري في جزريَّته في القراءات، والكاتبي في شمسيَّته في المنطق؛ أي إنهم وظَّفوا الشعر العربي في تيسير تحفيظ علومهم، ولو أراد طالبٌ مثلاً أن يُتقن قاعدة التعجب في العربية لما كان عليه أكثر من أن يحفظ ويفهم قول ابن مالك في ألفيَّته:

بِـ(أَفْعَلَ)انْطِقْ بَعْدَ(مَا)تَعَجُّبًا　　أَوْ جِئْ بِـ(أَفْعِلْ) قَبْلَ مَجْرُوْرٍ بِـ(بَا)

وتِلْوَ(أَفْعَلَ)انْصِبَنَّهُ؛كَـ:مَا　　أَوْفى خَلِيْلَيْنَا،وأَصْدِقْ بِهِمَا

فواضحٌ أنه عنى صيغتي التعجب: مَا أَفْعَلَهُ، أَفْعِلْ بِهِ؛ إذ مثَّل لهما بقوله: مَا أَوْفى خَلِيْلَيْنَا، وأَصْدِقْ بِهِمَا، وهذا كلُّه مما يُساعد في الحفظ والاستذكار؛ بله الفهم والتدبُّر.

ومن العمليات أيضًا تنمية الثروة اللغوية؛ إذ إن للمفردات أثرًا مبرزًا في صوغ ملكة المتعلمين في الكتابة الإنشائية؛ لأنهم بها يؤلفون الجمل؛ لذا كان تخيُّرها من مصادرها الفُضلى دليلاً إلى صحة استيعابهم ما يقرؤون وحُسن تمثُّلهم ما يكتبون، وهذي النتاجات الشعرية العربية قد حوت بحرًا واسعًا من المفردات التي تُبرز دقائق العربية وخفاياها، وتُعبِّر خير تعبير عن التجارب الإنسانية التي أنتجتها وعن الدفقات الشعورية التي رافقتها، ومن أمثلة هذا - وهي كثيرة - قصيدة (الأرملة المرضعة) لمعروف الرصافي؛ قال:

لَقِيْتُهَا لَيْتَنِي مَا كُنْتُ أَلْقَاهَا　　تَمْشِي وقَدْ أَثْقَلَ الإمْلاقُ مَمْشَاهَا

أَثْوَابُهَا رَثَّةٌ والرِّجْلُ حَافِيَةٌ　　والدَّمْعُ تَذْرِفُهُ في الخَدِّ عَيْنَاهَا

بَكَتْ مِنَ الفَقْرِ فَاحْمَرَّتْ مَدَامِعُهَا　　واصْفَرَّ كَالوَرْسِ مِنْ جُوعٍ مُحَيَّاهَا

مَاتَ الَّذِي كَانَ يَحْمِيهَا ويُسْعِدُهَا　　فَالدَّهْرُ مِنْ بَعْدِهِ بِالفَقْرِ أَشْقَاهَا

المَوْتُ أَفْجَعَهَا والفَقْرُ أَوْجَعَهَا　　والْهَمُّ أَنْحَلَهَا والغَمُّ أَضْنَاهَا

فَمَنْظَرُ الحُزْنِ مَشْهُوْدٌ بِمَنْظَرِهَا　　والبُؤْسُ مَرْآهُ مَقْرُونٌ بِمَرْآهَا

كَرُّ الجَدِيْدَيْنِ قَدْ أَبْلَى عَبَاءَتَهَا　　فَانْشَقَّ أَسْفَلُهَا وانْشَقَّ أَعْلاَهَا

وَمَـزَّقَ الدَّهْـرُ -وَيْلَ الدَّهْرِ- مِئْـزَرَهَـا ... حَـتَّى بَدَا مِنْ شُـقُوقِ الثَّوْبِ جَنْـبَاهَـا

تَـمْشِي بِأَطْـمَـارِهَا والـبَرْدُ يَلْسَعُهَــا ... كَــأَنَّــهُ عَـقْــرَبٌ شَـالَتْ زُبَـانَـاهَـا

حَتَّى غَـدَا جِسْمُـهَـا بِالـبَرْدِ مُرْتَـجِـفًا ... كَالغُصْنِ فِي الرِّيْحِ واصْطَكَّتْ ثَـنَايَاهَا

ففي هذه الأبيات ذخيرة لغوية مهمة لمعنى الأسى والشقاء، من مثل: الإملاق، رثَّة، حافية، مدامعها، الفقر، جوع، أشقاها، الحزن، مزَّق، مرتجفًا... إلخ؛ يُمكن توظيفها في جمل يُنتجها الدارسون، من مثل:

مدامعها: بكيت على فراق الأحبة حتى احمرّت مدامعي.

الفقر: لو كان الفقر رجلاً لقتلتُه.

الدهر: من لا يحسب لحادثات الدهر حسابا فقد هلك.

وهذا لا شكَّ في أنه يُنمي لديهم مهارتي القراءة والكتابة على حدٍّ سواء.

وأخيرًا تأتي عملية معرفة أسلوب الكتابة العربية السليمة؛ فقد ثبت أن من أكثر أخطاء متعلمي اللغات الأجنبية وأخطرها أنهم يستخدمون أساليب لغتهم الأم من دون التنبه إلى أنها ربما لا تُناسب الصياغة في اللغة الهدف، فالملايوية مثلاً ليس فيها الجملة الفعلية، وهذه الأخيرة كثير استخدامها في العربية؛ لذا كثيرًا ما يستخدم الطالب الملايوي الجملة الاسمية في الكتابة العربية مع أنها تؤدي إلى معنى آخر، ولعل أهم فارق بينهما - أي بين الجملتين الاسمية والفعلية - أن الجملة الاسمية تدلُّ على الثبوت، أما الجملة الفعلية فتدلُّ على الحركة، ومن ثم كان أولى للحديث عن الفعل المتكرر أن يُساق في جملة فعلية لا اسمية، فيُقال: يذهب محمدٌ إلى المدرسة كلَّ يوم، ولا يُقال: محمدٌ يذهب إلى المدرسة كلّ يوم، وقد قيل لي مرة في بعض النقاشات حول مثل هذه المسائل: «إن الجملتين سليمتان؛ لأنه في العربية يشيع التقديم والتأخير، والمقدَّم دومًا أهمُّ من المؤخَّر»، فأجبتُ: نعم، ولكن ينبغي التنبه إلى أن الملايوية ليس فيها التقديم والتأخير؛ لذا كان لزامًا على من يتكلم بلغة أجنبية أن يأتي بها في صيغها وأساليبها، لا أن يسوقها من خلال صيغ لغته الأم وأساليبها، وهذا ما يتقوَّم - لتعلُّم

العربية – من خلال مطالعة الشعر العربي واعتياد أساليبه الفصيحة السليمة.



وإذما انتقلتُ إلى الكلام على الوسيلة التي طوَّرتُ من خلالها تجربتي التعليمية، فسأذكر لكم أني قبل عدة سنوات استغربتُ مما رأيتُه في أيدي بعض الطلاب من ألواح أكبر من هواتفهم الذكية المعتادة؛ حينها سألتُ عنها، وعرفتُ أنها هجين ما بين الحواسيب الشخصية والهواتف الذكية، وسُرعان ما اقتنيتُ أحدها؛ لتراودني فكرة الاستفادة منها وسيلة في تعليم العربية من خلال الشعر العربي، وتواصلتُ مع بعض الزميلات المختصات في علوم الحاسوب والاتصالات؛ لمزيد معلومات عن هذا الموضوع؛ لتنشأ فكرة تطبيق «ديوان الشعر الإلكتروني» (E-Diwan Arabic Poem Glossary) الذي أُطوِّره يومًا بعد يوم، ويُمكن تنزيله للاطلاع عليه من متجري: App Store, Google Play.

ولعل سائلاً يسأل: وما أدراكِ أن هذه الوسيلة نافعة؟ وما أهمية تعليم العربية من خلال الشابكة؟ فأجيبه: إنها نافعة لا محالة؛ إذ إن نسبة النفوذ إلى الشابكة بين الشعب الماليزي ٦٧٪ – سابع أعلى نسبة في آسيا كلِّها – مما يجعل ماليزيا قادرة على توظيف قوة التعليم الشابكي لتوسيع دائرة التعليم العالي الجودة، ولتحسين جودة التعليم والتعلم، ولتقليص كلفة توصيل العلم، ولتقديم الخبرات المحلية للعالم أجمع، وهذه الوسيلة التي اخترتُها تنسجم مع التعليم التقليدي، وأهميتها من حيث إنها تُوفِّر لمتعلم العربية جملة من الفوائد، من أبرزها:

أ.التعليم التجريبي: إذ لا يتعلم الطالب نظريًّا فقط، بل يُجرِّب ويُطبِّق، فيتكوَّن

لديه الإبداع، ولو إلكترونيًّا، لكنه يمرُّ بخطوات التعلم، ويكتشف الجديد في كل خطوة، مما يؤدي بهذه التجربة إلى أن ترسخ في الذهن.

ب. الدافعية: ففي التعلم من خلال الشابكة شيء من التقدم؛ لذا يُفضِّله الطلاب على التعلم من المواد الورقية، وفيه تزداد الدافعية، ولا سيما إذا أُضيفت إليه أنشطة تُعين على استقلال الطلاب بأنفسهم.

ج. الفردية والانعزالية: يُمكن للطالب الخجول أو الانعزالي أن يستفيد من التعليم الشابكي بمفرده، فلا يكون للتأثير السلبي في الصف انعكاس على تعلُّمه.

د. عدم الاعتماد على مصدر واحد للمعلومة: يُمكن للطالب أن يتنقَّل في المواقع الإلكترونية باحثًا عن مصادر أُخرى تفيده.

هـ. اللغات تُدرس من خلال السياق الثقافي: في هذا العالم الذي نستخدم فيه الشابكة يُمكن للطالب أن يدخل إلى مواقع اللغة المدروسة، ويطلع على الثقافة، ويألفها، ويمكن أن يتواصل مع مختلف العلماء والزملاء في أرجاء العالم.

وبهدي من هذه الفوائد أطلقتُ تطبيق «ديوان الشعر الإلكتروني» الذي يسعى إلى سدِّ الخلل عند المختصين وغيرهم من خلال تزويدهم بالمواد المرئية والمسموعة في حلة تقنية عصرية، وبطريقة سلِسة لم تُتَح للمتعلمين من قبلُ، وقد نافستُ به في مسابقة الابتكار في معرض التقانة الماليزية Malaysian Technology Expo ٢٠١٨، وحُزتُ الميدالية الفضية.

ولهذا التطبيق جملة من المبادئ يقوم عليها، أولاها فكرة الحد من عدد القصائد؛ ذلك أنَّ فكرة أنْ هنالك معلومات أكثر من المستلزم قد تبدو غريبة بداية، ولكن يرى بعضهم أن البشرية وصلت إلى مرحلة نقلية مهمة، فقد صرنا نُنتج معلومات أكثر مما يمكن أن نُعالج أو ندرس، ولقرون عدة كانت معالجة المعلومات (الإنتاج والمعالجة والتوزيع) المكتشفة متزامنة بعضها مع بعض، وتاريخيًّا كان البشر قادرين

على اختبار المعلومات بالسرعة نفسها التي يُمكنهم بها أن يُنتجوها وينشروها، ولكن منذ منتصف القرن العشرين اختل هذا التوازن؛ بسبب ظهور الحاسوب والتلفاز والأقمار الصناعية، ووقع التناقض بين إنتاج المعلومات وقدرة البشر على تحليلها واستخدامها، وعليه اخترتُ الشعر العربي، ولا سيما الجاهلي منه؛ مادةً لتعليم العربية للناطقين بغيرها؛ إذ يتضمَّن هذا التطبيق المعلقات العشر التي منها: معلقة امرئ القيس، ومعلقة عنترة بن شداد، فضلاً عنها أشعار غيرهم من فحول الشعر الجاهلي، فللشعر الجاهلي من الأهمية ما يكفي لأن يكون طريقًا إلى فَهْمِ القرآن الكريم، ومن ثم إلى تعلُّم العربية.

ومن المبادئ أني سعيتُ إلى إدخال الطالب جوَّ القصيدة في التطبيق من خلال الصوت والصورة؛ لأن هذا يوضح الصورة في ذهنه، ولعلها ترسخ طويلاً.

وكذا من المبادئ الهدف التواصلي من خلال نافذة المنتدى، فحتى أواخر القرن العشرين كانت اللغات الأجنبية تُعلَّم بطريقة النحو والترجمة أو الطريقة المباشرة، لكن هاتين الطريقتين لم تأتيا بنتائج مرضية أو كافية مقارنة بالوقت المطلوب والمواد التعليمية الكثيرة؛ لأن الطالب لا يحصل على فرصتي التطبيق والممارسة اللتين تساعدانه على الاكتساب اللُّغوي السليم؛ لذا حدث مؤخرًا نقلٌ للجهود وتوجُّهٌ نحو الطريقة التواصلية والتفاعلية لتكون هناك نتائج أفضل من خلال بعض المداخل وطُرق العرض الفعالة لإثارة اهتمام المتعلمين وشحن لدافعيتهم، ففي كثير من الأحيان يعجز معلم العربية الأجنبي أن ينطق بعض الكلمات أو يواجه صعوبات في النطق أو الفهم الإجمالي للكمات في السياق؛ لذا يُوفِّر التطبيق نُطقًا صوتيًا مرفقًا مع الأبيات الشعرية بصوت قارئ عربي واضح ومفهوم.

وأخيرًا من مبادئ تطبيق «ديوان الشعر الإلكتروني» أنْ لا استغناء عن المعلم والكتاب؛ إذ إن الحديث عن التقنية والمواد الإلكترونية لا يعني الغض من مكانة المعلم

والكتاب، ولا الاستغناء عنهما، ولكن ينبغي للمعلم أن يُطوِّر نفسه مع التقنية الحديثة، فلا يُمكن استبدال التقنية الحديثة به، فضلاً عنه أن يستحيل من ملقِّن إلى مدرِّب، فيتوسَّط بين المادة العلمية ووسيلتها التعليمية شريكًا لا متعصبًا للطريقة التقليدية، أما الكتاب فخير ما ذُكر في المواد العلمية ما جاء في القرآن الكريم عن الكتاب والقلم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ ورَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ١-٥]، لكن الكتب تستغرق وقتًا طويلاً لتطويرها وإعادة طباعتها، فالزمن يتخطاها؛ لذا جاءت الشابكة حتى يكون العلم والمتعلم في تزامن فوري، وكذا قد تكون صورة الكتاب مُملَّة، وتجعل العملية التعليمية رتيبة، أما المواد السمعية والبصرية والتواصلية البرمجية فتُزيل هذه الرتابة.

وفي ختام كلامي على تجربتي في تعلُّم العربية وتعليمها لا بُدَّ من تأكيد أنَّ الشعر العربي من أهمّ العوامل المؤدِّية إلى نجاح عملية تعليم العربية وتعلُّمها، وإذ إن الهدفَ من أيِّ منهج ناجح لتعليم اللغة الأجنبية تمكينُ المتعلم من الحصول على الكفاية الشاملة في اللغة؛ كان تعليم الشعر العربي للناطقين بغير العربية يتطلَّب منهجًا يدمج المهارات الخمس: الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة والثقافة، ولتحقيق أفضل النتائج؛ وَضْعَ برنامج متوازن للتعليم يقدم في بيئة علمية تسودها الثقة بين المعلم والمتعلم، وهذا ما يتغيَّاه «تطبيق الشعر الإلكتروني»، فهو - وفق تجربتي الخاصة - وسيلة تعليمية أكثر فائدةً وأسهل تطبيقًا، وبه تتحقق الأهداف من تدريس الشعر العربي مادة علمية في تعليم العربية للناطقين بغيرها، من خلال عمليات يُجريها المعلمون لرفع مستوى المتعلمين وإتقانهم العربية الفصيحة السليمة كما لو أنهم تعلموها في بلادها.



كيف تعلمت العربية ؟!

للدكتور سعيد برهان عبد الله – من جزر القمر

رئيس اتحاد علماء أفريقيا – رئيس جامعة جزر القمر سابقا

– حصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في أصول الفقه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

–شغل منصب الأمين العام لدار الإفتاء.

–عمل مستشاراً لرئيس الجمهورية لشئون المنظمات غير الحكومية.

–أسس كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية سنة ٢٠٠٢م.

سؤال جميل، والإجابة عنه تحكي قصة ظريفة لرحلة طويلة بدأت من الميلاد، وما زالت مستمرة لن تنتهي إلا في اللحد، ولكن سأختصرها هنا حتى لا يمل القارئ الكريم؛ لبساطة تجربتي وقلة حيلتي في هذا الأمر، حيث إنني لا أعتبر تجربتي من تلك التجارب المميزة ولا المؤثرة، ولكن أحببت المشاركة في هذا الأمر تلبية لطلب الكرام النبلاء في هذه الموسوعة المباركة، حيث أحسنوا بي الظن، وحبَّبوا إلَـيَّ الانضمام إلى الجهابذة الذين شاركوا في هذا الكتاب من باب:

أحب الصالحين، ولستُ من منهم لعلي أن أنال بهم شفاعه

وسأقسم المقالة حسب مراحل الطلب، بدءا بالطفولة المبكرة، ومرورا بالمحاولات المتعددة لدراسة هذه اللغة في بلادي، إلى المرحلة الذهبية، وهي مرحلة الدراسة في المدينة المنورة، ثم أخيراً مرحلة التدريس ونشر هذه اللغة وخدمتها بعد العودة إلى بلادي، وأختمها بما أحسبه مناسباً طرحه لخدمة هذه اللغة في مستقبل الأيام، وخاصة في قارة أفريقيا.

اسمي سعيد برهان عبد الله، ولدتُ في جزر القمر في قرية نائية عن العاصمة تقع على شاطئ البحر تسمى «إفنديهي شمبواني»، لم تكن عند ولادتي مشهورة بعلم ولا ثقافة، وإنما اشتهرت بصيد الأسماك والزراعة شأنها شأن سائر القرى في هذا الأرخبيل، وكان ميلادي في منتصف الستينات من القرن الماضي، أي: في حدود ١٩٦٦م، أقول: في حدود لأن الناس في ذلك الوقت لم يكونوا مهتمين بتسجيل أولادهم في الأحوال المدنية، وإنما تستخرج شهادة ميلاد الطفل إذا جاء وقت تسجيله في المدرسة، ولا يلزم أن يكون ما يدون هو عمره الحقيقي .

في هذه القرية التي هذا وضعها كان أول اتصال بيني وبين هذه اللغة البديعة، وذلك أن أول كلمة يسمعها المولود هي الأذان، فلا بد أن يؤذَّنَ في أذنه كما ورد ذلك في الشرع، وهو أمر يهتم به القمريون.

وبعد استماع المولود لهذه الكلمة عند قدومه إلى هذه الدنيا يترعرع حتى يصل

إلى السنة الثالثة أو الرابعة من عمره؛ ليجدد اللقاء بالعربية حين يلتحق بالكتاتيب القرآنية، حيث يبدأ الطفل دراسة القرآن الكريم، وذلك باتباع منهج مرسوم يعتمد على كراسة معروفة بالقاعدة البغدادية، وهي كراسة جيدة ذات منهجية قوية، إذا طبقت تطبيقا حسنا لا يتأخر الطفل في إتقان حروف الهجاء وتشكيلاتها وجمعها، ثم سرعان ما ينطلق في قراءة القرآن الكريم، ويبدأ بجزء (عَمَّ) الذي هو القسم الأخير من هذه الكراسة، وهذا المنهج هو الذي بدأت به في تعلم القرآن الكريم في كتاتيب القرية كسائر أبناء جزر القمر، وكان لزاماً على كل طفل أن يحضر حلقات القراءة التي تنظم في المساجد بين المغرب والعشاء، بإشراف مدرسي الكتاتيب والمشايخ، وتعدُّ هذه الحلقات تكملة لدروس الكتاتيب، التي كان تركيزها جميعا على تعليم القرآن الكريم قراءة وتجويدا، فالغياب عن الحلقة في المغرب أو عن الكتاب في الصباح يعاقب عليه عقوبة قاسية، وهو ما جعل الحضور بالنسبة لي ولأترابي أمراً لا محيد عنه، وهكذا استمرت الدراسة في هذه المرحلة إلى عام ١٩٧٣م، حيث تم افتتاح المدرسة الفرنسية في قريتنا؛ لأكون ضمن الدفعة الأولى التي تلتحق بها.

وانتظمنا في المدرسة الفرنسية التي تأخذ منا جل النهار، وكان الذهاب إلى الكتاب نفلا من النوافل لمن أراد، لكن لم يعد ملزما كما في المراحل الأولى، وكنت ممن انقطعوا عن الكتاب متمسكين بحجة المدرسة الجديدة التي أخذت منا كل الوقت، ولكن المسئولين في القرية وعلى رأسهم جدي لأمي واسمه «شيف كاريدوجا» لم يهتموا بالمدرسة الفرنسية قط، فسعوا إلى فتح مدرسة عربية توازي المدرسة الفرنسية الابتدائية، فكنا نلزم بحضور المدرسة الفرنسية صباحا والمدرسة العربية مساءً، ولم يعد هناك مجال للفرار من إحدى المدرستين.

وإذا كانت المدرسة الفرنسية تحت إشراف ورقابة الحكومة، فالمدرسة العربية كانت بتمويل وإشراف من أهل القرية، وأذكر الذين درسونا في هذه المدرسة العربية إلى الآن، فأولهم اسمه الأستاذ أحمد عبد الرحمن من قرية مجاورة اسمها «أزوان»،

ولا يزال حياً وهو خريج ليبيا، ولكن لما تولى التدريس في هذه المدرسة لم يكن قد سافر إلى ليبيا بعد، وإنما جاءنا فور تخرجه من مدرسة الفتح «بإيكوني» بجزيرة القمر الكبرى، ثم تولى الأمر بعده الشيخ حسن علي مزي من قرية اسمها «نفوني» قريبة من العاصمة، فالأول حصل على منحة الدراسة الليبية بعد تدريسنا بسنة.

وهذا الأخير لما استدعاه أهل القرية لتدريسنا الدين واللغة العربية جاء مع كبار تلاميذه، فكان هو يدرسنا الكتب الدينية في الفقه والعقيدة والحديث، ويتولى طلابه الكبار تدريسنا مواد اللغة العربية، من نحو وصرف وأدب وقراءة وكتابة، وبالطبع كانت كل هذه المواد حسب مقررات اختارها لهم الشيخ حسن، وغالبا كان يستعمل منهج المدارس الكويتية التي كانت ترسل بكثرة إلى جزر القمر من دولة الكويت فور استقلال البلاد حرصاً من أشقائنا العرب على تعليم القمريين اللغة العربية التي هي لغتهم، وهكذا كنا نذهب إلى المدرستين بانتظام، وصارت صلتي بالعربية صلة حب، ولم أعد أجبر على الذهاب إلى المدرسة؛ لأن الشيخ حسن علي مزي – رحمه الله – كان معلماً ومربياً وداعية مصلحاً، استطاع أن يحبب إلينا هذا الدين واللغة، ثم ترك القرية بعد أن مكث فيها سنتين تقريباً، حيث حصل على منحة للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أرسلني والداي أنا وشقيقي محمد إلى القرية المجاورة «أزوان»؛ لندرس العربية في مدرسة الأستاذ عبد الله إبراهيم، وهذا الشيخ – أيضا – تخرج في مدرسة الفتح بإكوني، وأنشأ مدرسة عربية في قريته تلك، وكان له دور كبير في تعليم أبناء تلك القرية حتى ذاع صيت مدرسته، وبدأ الناس في القرى المجاورة يرسلون أبناءهم إليها، وكنت مع أخي محمد من هؤلاء الذين أرسلوا إليها، وقد استفدنا كثيراً في هذه المدرسة قراءة وكتابة، فالمنهج الذي كان يطبقه في هذه المدرسة هو منهج مدرسة الفتح بإكوني التي أنشاها الشيخ «محمد شريف»، وتخرج فيها جل أبناء الجيل الأول

للمثقفين العرب الذين قادوا سفينة الثقافة العربية بعد الاستقلال إلى الآن، وهو منهج قائم على الحوار اللغوي مع بقية العلوم العربية كالنحو والصرف والنصوص الأدبية، ثم المواد الشرعية كالفقه الشافعي والعقيدة والحديث والتفسير.

في هذه المرحلة كان الأمر ثقيلاً عليَّ، فأنا أحب العربية، ولكنني أدرس أيضا الفرنسية، والمدرسة الفرنسية في قريتي، أما المدرسة فكانت في القرية المجاورة، وهو ما كان يتطلب مني رحلات يومية مشيا على الأقدام بين القريتين، حيث لم تكن هناك آنذاك طريق تصل بين القريتين، واستمر هذا الوضع سنتين تقريباً.

- ثم رأت والدتي أن تنقلنا إلى مدرسة أرقى من تلك التي كنا فيها في أزواني، حين لاحظت حرصي وحرص أخي محمد على الدراسة، فنقلنا إلى مدرسة الفلاح بمروني العاصمة، حيث كانت مدرسة منظمة إلى حد كبير، وتحت إشراف الجمعية الإسلامية، وهي الهيئة الدينية في حكومة علي صالح الاشتراكية، وكان ذلك الانتقال بمشورة خال لنا اسمه «محمد بن سمبا» هذا الرجل الذي سيلعب دورا كبيرا ومحوريا في دراستي للغة العربية - جزاه الله خيرا، وأطال في عمره-، ولكن المهمة لم تكن سهلة في هذه المرحلة أيضا، فقريتنا تبعد عن العاصمة أكثر من خمسة وثلاثين كيلومترا، وندرس الفرنسية في مدرسة قريتنا، ثم نذهب ظهرا إلى العاصمة لدراسة العربية والدين في مدرسة الفلاح إلا أن وجود شارع مباشر يربط القرية بالعاصمة وامتلاك الأسرة لسيارة نقل تعمل بين العاصمة والجنوب كل ذلك خفف عنا وعثاء السفر.

وفي مدرسة الفلاح وجدنا كثيراً من الإخوة الذين عرفناهم من قبل وهم تلامذة الشيخ حسن علي مزي الذين كنا معه أيام تدريسه لنا في القرية، حيث التحقوا بمدرسة الفلاح بعد سفره، وكذلك وجدنا أخوين عزيزين ما زلت متواصلا معهما إلى الآن، وهما الأستاذ أحمد سعد طيب، وهو حالياً مفتش تربوي في وزارة التربية

الوطنية، والأستاذ عبد الله يحيى طيب، وهو حالياً سياسي وتربوي كان عضواً في البرلمان الوطني في إحدى دوراته الماضية، وهما أبناء عم وأبناء خالة، فهؤلاء جميعا تعهدوني أنا وأخي محمد بالرعاية والاهتمام، وكانوا يساعدوننا في الدروس كتابة وقراءة وفهما، جزاهم الله عنا كل خير.

في مدرسة الفلاح سجلنا في المستويات الأولى أنا وأخي محمد، وكان الإخوة المذكورون في المستويات المتقدمة، فكانوا لنا كالمدرسين، وكان من حرصهم علينا وحرص والدتي للاستزادة في العلم أن قرروا جميعا أن أيام السبت والأحد نقضيها في العاصمة؛ لنشارك في الحلقات العلمية وجلسات المذاكرة التي كان ينظمها أولئك الشبيبة، وكان خالنا «ابن سمبا» يشرف علينا، حيث كان يقيم في العاصمة، ويعمل في الجمعية الإسلامية ، وهو الذي كان يوفر لنا المقررات الدراسية التي هي–كما أسلفت–مقررات وزارة التربية الكويتية التي كانت ترسل إلى الجمعية الإسلامية لتوزيعها على المدارس العربية.

ولكن رغم النشوة التي وجدناها في هذه المرحلة، والتي أثارتها أمور كثيرة، منها: جودة المدرسة بناءً وتنظيماً، وكون المدرس عربياً مصريا اسمه «سيد سيد مصطفى»، وكان تربويا ماهرا، ووجود الرفقة المخلصة، واهتمام الوالدة بهذا التعليم كاهتمامها بالتعليم الفرنسي، وتوفيرها لنا كل ما نريد، وتشجيع الوالد لها حيث كان هو مقيما في المهجر، ولكنه كالحاضر معنا في متابعته لتربيتنا، وتوفير كل ما نريد، كل هذه الأمور التي حمَّستنا إلى الالتزام والمواظبة في الدراسة في مدرسة الفلاح لم تستمر طويلا، حيث حدث أمران أضعفاها، الأول منهما: المسيرة، والآخر جاء وقصم الظهر.

– ففي شهر أبريل من عام ١٩٧٧م انفجر بركان «كرتالا» في مدينة «مجويزي» بمنطقة «همبو»، وجرت حممه إلى البحر، قاطعة بذلك الطريق الرئيس الذي يربط الجنوب – حيث السكن – والعاصمةَ –حيث توجد مدرسة الفلاح –، فلم نعد

نتمكن من الذهاب إلى مروني ، ولكن بعد شهر من تهدئته وجدنا طريقة للوصول إلى مروني، ولكنها كانت شاقة، وذلك أننا كنا نستقل سيارة من قريتنا إلى مكان البركان في قرية اسمها سنغاني، ثم نقطع الحمم البركانية مشيا على الأقدام إلى الضفة الثانية، حيث نستقل سيارة أخرى إلى العاصمة، وهكذا في العودة، ونظراً لصغر سنِّنَا–فكان عمر محمد، وهو الأكبر، ثلاث عشرة سنة، وعمري إحدى عشرة سنة–كانت الوالدة – حفظها الله – ترافقنا في كل هذه التنقلات من القرية إلى العاصمة ذهاباً وإياباً حتى تمسك بنا ونحن نقطع الحمم البركانية، فهذا الحدث كان تحدياً كبيراً لمواصلتنا الدراسة في العاصمة، ولكن والدتنا كانت على مستوى التحدي، فتحملتها وتحملنا معها، واستمرت المسيرة.

ولكن الذي قصم الظهر هو الحادثة الثانية، وهي تخصني دون أخي، وذلك أن مدير المدرسة الابتدائية الفرنسية الأستاذ أحمد أحمد، الذي كان يتولى تدريسنا شخصيا، وكنت آنذاك في الصف الخامس الابتدائي، قرر ترشيحي لدخول امتحانات الدولة للصف السادس الابتدائي، رغم أنني في الصف الخامس، واتفق مع مدير مدرسة القرية المجاورة «أوزواني» الأستاذ أحمد مزي على أن أسجل باسم تلك المدرسة؛ لأن النظام لا يسمح لمدرسة ليس فيها صف سادس أن ترشح طلبة لامتحانات الدولة هذا، فهذا الأخير شرط عليه أن أنتقل إلى مدرسته الجديدة، وأدرس مع طلاب الصف السادس الشهرين الباقيين للعام الدراسي، وهما شهرا مايو ويونيو؛ لأن الامتحانات ستكون في بداية يوليو من عام ١٩٧٧م، وعندما أبلغت أمي الخبر فرحت من ناحية تفوقي في الدراسة الفرنسية، وحزنت لأنني سأنقطع عن الدراسة العربية، وبالتالي قال أخي محمد: «وأنا كذلك لن أواجه طريق العاصمة ومدرسة الفلاح وحدي»، وبهذا أسدل الستار على دراسة اللغة العربية بانقطاعنا عن مدرسة الفلاح، وعودتنا إلى القرية حيث نجحت في الامتحان، والتحقت بالمعهد المتوسط في

أوزواني، وواصل محمد الصف السادس، ونجح هو - أيضا - السنة التالية، وأخذنا نركز على التعليم الفرنسي بجد واجتهاد، خاصة لما وعدنا والدنا أن كل من ينجح في الشهادة المتوسطة سيلحق به في فرنسا؛ ليواصل تعليمه هناك، والسفر إلى فرنسا للدراسة أو العمل أو للعيش هناك هو حلم كل فتى أو فتاة في الجزر، إذن الرهان على هذه المغامرة الجديدة رهان يستحق كل تضحية، فكنت أبذل قصارى جهدي في التحصيل والمراجعة، وكنت فعلا أحقق نتائج مشرفة خلال السنوات الثلاث التي قضيتها في المرحلة المتوسطة الفرنسية حتى كان المدرسون وكثير من الطلبة يقولون: إن نجاحي في الشهادة المتوسطة - التي بقي أمامنا عامان دراسيان أي السنة الثالثة التي نحن فيها والسنة الرابعة التي نختبر فيها هذه الشهادة - أمر محتوم؛ لأنهم ما كانوا يدرون كما كنت لا أدري ما يدبره لي المولى -سبحانه وتعالى-من الخط الجديد الذي سأسلكه، وأنه سيكون خالصا لدراسة العربية والشريعة الإسلامية في أعرق جامعة متخصصة في هذا المجال، وأنني سأقضي فيها زهرة شبابي، وأتخرج فيها حاملا أعلى الشهادات والدرجات العلمية؛ لتتكون في شخصية جديدة غير تلك التي أفكر في رهاني مع أبي عليها، فالإنسان يدبر، والله يقدر، ولا يكون إلا ما قدره الله، ولا يكون الخير إلا فيما قدر الله .

وهنا بدأت قصة جديدة لي مع اللغة العربية في جزيرة العرب، وتبدأ قصة جديدة في دراسة أرض الإسلام، في مهبط الوحي ومهاجَرِ الرسول - صلى الله عليه وسلم -، المدينة المنورة -شرفها الله-.

ولكن قبل أن أسافر إلى المدينة أريد أن أبين أن المرحلة السابقة وهي مرحلة الطفولة والصبا اتصفت بالجد والاجتهاد من قبل أبويَّ، ومن قبل أهل قريتي ومشايخي الذين درسوني في الكتاتيب والمدارس المختلفة، وجميع الإخوة الذين قابلتهم في الفلاح وقبلها، ولا بد من التأكيد على جهود خالي ابن سمبا، تلك الجهود

التي لعبت دورا كبيرا في المرحلة التالية وفي مستقبلي الدراسي كما سيأتي، كما أنني أريد أن أبين أن تلك الجهود نفعتني كثيرا في إكسابي مهارة القراءة والكتابة، وشيئا من مهارة الاستماع ، إلا أن مهارة واحدة كانت غائبة عني كل الغياب، وهي مهارة التحدث باللغة العربية، فهذه كانت شبه مفقودة في هذه المرحلة ، ولكن سلواني في ذلك أنني لم أكن وحيدا، بل كثير ممن تعلموا لغة في غير محيطها يعانون من هذا الأمر غالبا.

وفي عام ١٩٧٧م نجحت إلى المرحلة المتوسطة، وانتقلت إلى المعهد الريفي بأزوان كما أسلفتُ، حيث درست السنتين: الأولى والثانية المتوسطة قبل أن أنتقل إلى معهد ريفي آخر في قرية اسمها شندني، تبعد عن قريتي بستة كيلومترات تقريبا، وهو المعهد الذي كان يدرس فيه محمد وبقية الزملاء الذين درسوا معنا في المرحلة الابتدائية في القرية، لدراسة السنة الثالثة التي لم أكملها؛ حيث سافرت أثناءها أي: في عام ١٩٨٠م، إلى المدينة المنورة للدراسة في الجامعة الإسلامية، وهذه هي المرحلة الحقيقية التي قضيتها للدراسة، وتكونت فيها شخصيتي العلمية واللغوية.

وقبل الحديث عن المرحلة المدنية لا بد من الإشارة إلى ما جرى بين عامي ١٩٧٧ و١٩٨٠، فحينما كنت منغمسا في الدراسة الفرنسية بغية الفوز بالشهادة المتوسطة؛ لأنال السفر إلى فرنسا، كانت والدتي تسعى سعيا حثيثا لتحصل على منحة دراسية لي في المدينة المنورة ، وكان حظها أوفر من حظي، ففي هذه الفترة سافر كل من خالي ابن سمبا والشيخ حسن علي مزي إلى المدينة المنورة، وقام الخال بحملة توعوية لتشجيع أبناء منطقتنا على الالتحاق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وكان معه في هذه الحملة المباركة الشيخ طليب جمدار، وهو أول طالب قمري من أبناء جنوب الجزيرة الكبرى التحاقا بالجامعة الإسلامية، وكان له اهتمام خاص بأبناء منطقته (مباجين)، وتشجيع منقطع النظير لهم على الذهاب إلى المدينة.

وفي غفلة مني رتبت والدتي كل هذه الأمور مع خالي وبمساعدة الشيخ أبي بكر عبد الله جمل الليل أول خريج قمري من الجامعة الإسلامية، والذي كان له دور كبير في إرسال أبناء جزر القمر إلى المدينة آنذاك، وتم تسجيلي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ضمن طلاب العام الجامعي ١٣٩٩-١٤٠٠هـ الموافق ١٩٧٩/ ١٩٨٠م، ووصلت إلى المدينة المنورة برفقة الطلاب القمريين المقبولين في الجامعة لذلك العام في شهر فبراير ١٩٨٠م، وكان عددهم يتجاوز الثلاثين، ولكن كان وصولهم إلى المدينة على دفعات، وأذكر أننا في دفعتنا كنا أربعة، وهم الأستاذ أبو بكر قاسم، وقد تخرج في كلية اللغة العربية، وهو حاليا أستاذ للغة العربية في المرحلة الثانوية، والأخ الدكتور ناسيلا بن سيد حسن، تخرج أيضاً في كلية اللغة العربية، وواصل دراساته العليا في الجامعة الإسلامية بماليزيا، وهو حاليا نائب رئيس جامعة في إندونيسيا، ورابعنا الشيخ نور الدين عثمان، وكان أكبرنا سنا، ولما انتهى من المرحلة الثانوية انتقل إلى فرنسا حيث يقيم حاليا في مرسيليا، وله دور كبير هناك في نشر الإسلام.

هنا بدأت المرحلة الحقيقية لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية في أطهر البقاع، وفي أقدس الأماكن، وفي ظلال واحدة من أعرق الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي، هذه الجامعة التي امتازت بموقعها ورسالتها، وصدق القائمين عليها، وبركة مؤسسيها، وكونها في تلك الفترة تجمع خيرة علماء العالم الإسلامي في ربوعها.

فقد كان مجلس إدارتها مكونا من رجال الفكر وكبار شخصيات العالم الإسلامي برئاسة أصحاب السماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز-رحمهم الله -، وينوب عنهم في المدينة نائب رئيس من أصحاب الفضيلة العلماء الربانيين أمثال الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر المحدث الكبير المشهور، والدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد الأصولي

الفقيه، ومن جاء بعدهم من أهل العلم والفضل مديري الجامعة المتعاقبين بعد تعديل نظام الجامعة، واستبدال منصب المدير بمنصب الرئيس، وقد عايشت اثنين من أفاضلهم في هذا النظام الجديد، وهما: الدكتور عبد الله بن صالح العبيد، والشيخ صالح بن عبد الله العبود، وكلهم أصحاب فضل ونبل.

هؤلاء الخيرة هم الذين وضعوا لهذه الجامعة منهجها العلمي الرصين الذي كان يكفي أن يدرس الطالب مرحلة من مراحلها ليفهم جزءا حسنا من علوم الدين، وينطلق لسانه بلغة الضاد فيصير عربي اللسان ، وإن كان عجمي الأصل .

وفي الجامعة الإسلامية استقبلني خالي ابن سمبا والآخرون أحسن استقبال، ووجهني أحسن توجيه، وأنا مدين له بذلك إلى يوم الدين، فقد نصحني، وأخلص في النصيحة، ووجهني وأحسن في التوجيه، وقطفت ثمار الاستماع والانقياد لآرائه؛ فقد قال لي فور وصولي إلى المدينة: يا سعيد! تبدأ الدراسة من السنة الأولى المتوسطة، وانْسَ أنك كنت في الصف الثالث في بلدك؛ لأن ذلك صف ثالث فرنسي، وهنا التعليم كله بالعربية، فابدأ دراسة العربية من أصولها، وخذها من بدايتها لتتمكن علميا، فالعبرة بالتمكن العلمي لا بالفوز في الامتحانات ونيل شهادات ورقية دون علم، وعليك – والكلام لخالي – قبل أن تلتحق بالصف الأول المتوسط أن تلتحق بشعبة اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتدرس اللغة العربية لمدة سنتين حتى لا تتعثر بسبب العجز اللغوي إذا التحقت بالمعهد المتوسط، وهكذا سرت وبدأت دراسة اللغة العربية في الشعبة ، وما إن أكملت السنة الثانية منها حتى بدأت أستوعب جل ما أقرؤوه فهما، وأتحدث مع الآخرين باللغة العربية، وأفهم ما أسمعه من الإذاعة وغيرها، والتحقت بعد ذلك بالصف الأول المتوسط في دار الحديث المدنية التابعة للجامعة .

إن منهج شعبة اللغة العربية بالجامعة الإسلامية الذي وضعه خبراء متمكنون في

تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والذين قاموا هم بتدريسه لنا منهج قوي وميسر في الوقت نفسه، ففي السنة الأولى من الشعبة ركز المنهج على التدريبات اللغوية والحوارات الشفهية التي كانت تكسب الطالب مهارات اللغة جميعا في الوقت نفسه، كما قرر في السنة الثانية بالإضافة إلى هذه التدريبات اللغوية مقررات كثيرة من النصوص العربية المأخوذة من كتاب الله – تعالى– وسنة المصطفى –صلى الله عليه وسلم –، ومن درر كلام العرب نظما ونثرا، وقد كنا مطالبين بحفظها بعد فهمها، كل ذلك كان كفيلا بأن يتخرج الطالب بعد السنة الثانية من الشعبة وهو يتحدث العربية، ويحتفظ بمخزون جيد من مفرداتها، ويتدرب على كثير من أساليبها، كما أن هذه المقررات التي درسناها في هذه المرحلة كانت كالتمهيد للمرحلة التالية، وهي المرحلة الإعدادية؛ لذا لم أجد صعوبة في جميع المراحل الدراسية من جهة اللغة بعد الدراسة المركزة في الشعبة.

ولم تكن هذه المقررات وحدها التي اكتسبت منها المهارات اللغوية، بل إن المشاركة في النشاط اللاصفي ساعدتني كثيرا على إجادة هذه اللغة، فقد كان في جميع المراحل الدراسية بالجامعة أنشطة مختلفة ثقافية واجتماعية ورياضية، كانت تنظمها إدارات النشاط في مختلف كليات الجامعة ومعاهدها، ولم أتخلف عنها في أي سنة، فمرة أشارك في جمعية الخطابة، ومرة في جمعية الخط العربي، أو الجمعية الثقافية والإعلامية المكلفة بعمل الصحف الحائطية وغيرها، فكل هذه الأنشطة أسهمت في صقل المواهب اللغوية، بحيث إنني بعد الانتهاء من مرحلة شعبة اللغة العربية صرت مؤهلا لمتابعة دراستي باللغة العربية بيسر وسهولة في مراحل التعليم المختلفة، والتي درستها جميعا في هذه الجامعة الإسلامية العريقة، حيث قضيت بعد الشعبة ثلاث سنوات في المرحلة المتوسطة، ومثلها في المرحلة الثانوية، والتحقت بعد ذلك بكلية الشريعة، حيث قضيت سنواتها الأربع بسهولة، واجتزت اختبار

الالتحاق بالدراسات العليا في قسم أصول الفقه الذي أعددتُ فيه درجتي الماجستير والدكتوراه، وذلك بتحقيق «شرح ابن الحاجب الموسوم بمنتهى الأصول والأمل في علمي الأصول والجدل » لقطب الدين الشيرازي: قسم الأدلة العقلية، في مرحلة الماجستير، والكتابة في الدكتوراه عن القاضي أبي الطيب الطبري وآرائه الأصولية ، ونلت في المرحلتين جائزة المدينة للنبوغ والتفوق الدراسي ولله الحمد .

وهكذا أمضيت عشرين عاما كاملة في مدينة المصطفى –صلى الله عليه وسلم –، متنقلا بين فصول الدراسة في المراحل التعليمية المختلفة، وقاعة محاضراتها العامة، ومنابر ونوادي أنشطتها الثقافية المتنوعة، ودروس المسجد النبوي الشريف التي كان يلقيها بين المغرب والعشاء كبار علماء المدينة كالشيخ عطية محمد سالم، والشيخ أبي بكر الجزائري، والشيخ عبد القادر شيبة الحمد وأمثالهم، كما كنت لا أغيب عن الأمسيات الثقافية الأسبوعية للنادي الأدبي بالمدينة المنورة.

في هذا الجو المفعم بالعلم والأدب والثقافة ترعرعت وتعلمت العربية والدين، وتكونت فيه شخصيتي العلمية والفكرية والأدبية .

وهناك عنصر لا يمكن إغفاله أو السكوت عنه، وهو الرفقة الصالحة، فقد كنت أختار طوال هذه المدة وفي كل مرحلة دراسية من أرافقه، وكنت أختار دائما المتفوقين في كل مرحلة حتى أقتدي بهم، وأنافسهم منافسة الشرفاء من الأقران ، وكانوا نعم الاختيار، فهؤلاء الذين صاحبتهم جميعا قد أصبحوا منارات للعلم في أوطانهم، وهداة أممهم إلى سبيل الرشاد بعد تخرجهم .

ففي المرحلة المتوسطة تعرفت على أمثال «مباي كيبا كاه» من غامبيا والذي صار بعد حصوله على درجة الدكتوراه من قسم الفقه مستشارا لرئيس الجمهورية في بلاده، ورئيسا للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومحمد بشير آدم من غانا الذي يتولى قسم اللغة العربية بجامعة أكرا، والدكتور عمر إدريس شاماي من إريتريا،

والدكتور داود عثمان من بنين، فقد درسنا معًا في المرحلة المتوسطة في دار الحديث بالمدينة المنورة.

ولما التحقت بالمرحلة الثانوية تعرفت على أمثال الدكتور محمد إسحاق كندو من بوركينا فاسو، وهو الآن إمام أهل السنة والجماعة ببلده، والدكتور سعيد محمد بابا سيلا الأمين العام لاتحاد علماء أفريقيا ورئيس جامعة الساحل حاليا، وفي المرحلة الجامعية تعرفت على أمثال الدكتور سويد جمعة ميا نجا من أوغندا، وهو أستاذ الفقه والأصول في جامعة زنجبار، ووكيل كلية القانون بالجامعة الإسلامية في أوغندا سابقا، والدكتور عبد الناصر علي عمر من كينيا الأستاذ في جامعة الأمة بذيكا، ومن المملكة العربية السعودية الأستاذ أحمد باجنيد، والدكتور مسعود المحمدي خطيب مسجد قباء وأمثال هؤلاء.

أما في مرحلة الدراسات العليا فاشتدت الصلة بعمالقة إفريقيا الذين سبقوني في الالتحاق بهذه المرحلة، من أمثال الدكتور محمد أحمد لوح من السنغال رئيس مجلس أمناء اتحاد علماء إفريقيا، ورئيس الجامعة العصرية في السنغال، والدكتور جمال بادي من ليبيا أستاذ الإلهيات في الجامعة الإسلامية بماليزيا، والدكتور جيلان خضر من أثيوبيا نائب رئيس اتحاد علماء أفريقيا، والدكتور محمد البشير دوكوري من مالي رئيس جامعة طوبا، والدكتور محمد كرامبيري من بوركينا فاسو، بالإضافة إلى من رافقتهم منذ المراحل الدراسية السابقة .

صارت هذه الكوكبة المميزة هم رفقتي، والذين لم يجمعني بهم إلا العلم تحصيلا ومذاكرة ومناقشة ومدارسة، كما أنه لم يكن هناك طريق للتواصل بيننا إلا اللغة العربية، فهؤلاء الرفقة الحسنة كان لهم تأثير واضح عليَّ في كثير من شؤون حياتي العلمية واللغوية والثقافية، وربط بيني وبينهم رابطة العلم والدعوة إلى الله، مما جعل تواصلنا بعد التخرج مستمرا، وهم الذين تشكل منهم اتحاد علماء إفريقيا، الكيان

العلمي لإفريقيا جنوب الصحراء والذي يتحدث باسم شعوب هذه المنطقة العزيزة من العالم.

وفي عام ٢٠٠٠ رجعت إلى بلدي وعدت إلى قومي، بعد أن قضيت عقدين من الزمن طالبا للعلم في المدينة المنورة ، وكان العود أحمد، فقد كلفت في بلادي منذ عودتي بمهمات كثيرة في الدولة، وفي مواقع متنوعة كدار الإفتاء، حيث شغلت منصب الأمين العام فيها سبع سنوات، ورئاسة الجمهورية حيث عملت مستشارا للرئيس لشئون المنظمات غير الحكومية، ولكني لم اترك منذ تخرجي إلى الآن الاشتغال بالتعليم والتدريس، سواءٌ كان ذلك في الجامعة الوطنية التي شاركت في إنشائها مشاركة فعلية عبر تأسيسي مع زملائي لكلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية التي تعتبر باكورة الجامعة، أو خارجها، وألتزم في كل هذا النشاط التعليمي والدعوي بل حتى والإداري باستخدام اللغة العربية ما أمكن.

فبعد عودتي إلى البلاد حاملا شهادة الدكتوراه في أصول الفقه، وكنت أول من حصل على هذه الشهادة، ورجع من المدينة المنورة، احتفى بي قومي وأهل البلد كلهم ، ولكن كان لسماحة مفتي الجمهورية السيد طاهر بن أحمد مولانا آل جمل الليل قصة خاصة في هذا الاحتفاء فهو أولا عالم نحرير يقدر العلم وأهله وطلبته ، وإنما يعرف الفضل لذوي الفضل ذووه، بالإضافة إلى أنه مولع بعلم أصول الفقه ، فكأنه وجد ضالته في الدكتور الجديد المتخصص في أصول الفقه، فجاء إلى قريتي، وهنأ والدتي بعودتي، وطلب مني أن أعمل معه في دار الإفتاء، وأقنع رئيس الدولة العقيد عثمان غزالي، بتعييني أمينا عاما لدار الإفتاء ومساعدا له؛ لقناعته أن الدماء الجديدة هي التي تطور المؤسسات، وإنما قبلت العرض تقديرا لسماحته، ولأنني منذ مرحلة الدراسة أخطط لإنشاء مؤسسة تعليمية جامعية تعنى بتدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية في البلاد، حيث لم يكن فيها إلا معهد ثانوي أنشأته الهيئة الخيرية العالمية

بالكويت، هي التي كانت تمثل أعلى مرحلة تعليمية للتعليم العربي الإسلامي في البلاد.

ورأيت أن وجودي في دار الإفتاء - وهي جهاز الدولة الديني، والمرتبط مباشرة برئاسة الجمهورية - سيسهل لي الإجراءات الإدارية لإنشاء هذه المؤسسة.

وكانت قصة إنشاء كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية سنة ٢٠٠٢م، أي: بعد سنة ونصف من تعيني في دار الإفتاء، وذلك أن الله وفقني وأعانني بإخوة صادقين قبلوا الفكرة لما عرضتها عليهم، وأقروا مسودة المشروع التي وضعتها منذ أيام الدراسة، وقبلوا العمل في الكلية تطوعا، وبعد الاتفاق مع هؤلاء الشبيبة المباركة عرضنا الفكرة على سماحة المفتي، فأبدى إعجابه بها وتحمس لها، وتبناها، ثم عرضها على رئيس الدولة، وأقنعه بأهميتها ونفعها للبلد، فوافق على إنشائها، وتم اعتمادها في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ٢٠٠٢م، وبدأت الدراسة فيها في الثاني من شهر أبريل سنة ٢٠٠٣م، وكان سماحته أول من ألقى محاضرةً فيها، وكانت في مادة تفسير القرآن الكريم، وانطلقت السفينة، وألقيت المحاضرة الثانية، وكانت في أصول الفقه، حيث كنت أجمع بين التدريس وعمادة الكلية.

وضمت الكلية قسمين دراسيين في بداية الأمر، هما قسم الدراسات الإسلامية، وهو معني بتدريس علوم القرآن والسنة والفقه وأصوله والفرائض وتاريخ التشريع الإسلامي والسيرة والتاريخ، بالإضافة إلى علوم اللغة العربية من نحو وصرف وأدب وبلاغة، وكذا مواد الثقافة العامة كاللغات الأجنبية وعلوم الإدارة والحاسوب وحاضر العالم الإسلامي، وكلها تدرس باللغة العربية، ويتولى التدريس فيها كوكبة من أبناء البلاد من حملة الماجستير والبكالوريوس الذين تخرجوا في أرقى الجامعات الإسلامية في المملكة العربية السعودية والسودان وجمهورية مصر العربية، أما حملة الدكتوراه فكانوا قلة، حيث لم يكن في أعضاء هيئة التدريس عند الإنشاء إلا دكتوران

كاتب هذه السطور، وأخ آخر متخصص في التاريخ المعاصر من جامعة أم درمان الإسلامية هو الدكتور محمد ذاكر حسن سقاف.

والقسم الثاني هو قسم التعليم المستمر وخدمة المجتمع الذي كان معنيا بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ رغبة منا في تعريب البلد قدر المستطاع، فكان القسم ينظم دورات تدريبية في مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها لعامة الناس مساءً، بالإضافة إلى أنشطته الثقافية والاجتماعية الأخرى.

وبظهور هذه الكلية اقتنعت الحكومة أنه بالإمكان إنشاء جامعة وطنية تضم جميع التخصصات الممكنة، وهذا ما تم في شهر سبتمبر من العام ٢٠٠٣م، حيث تم إنشاء جامعة جزر القمر بأربع كليات وثلاثة معاهد عليا، وضمت الكلية إليها لتكون واحدة من كلياتها، والتحق أعضاء التدريس فيها بقائمة موظفي الدولة، واستمتع طلابها بكل ما يستمتع به طلاب الكليات الأخرى ذات الطابع الفرنسي في جميع الحقوق والواجبات، وبهذا دخل التعليم العربي الإسلامي مرحلة جديدة في تاريخ البلاد، فقد كان هذا التعليم أهليا لا تعترف به الحكومة، لا في مناهجه ولا في مدرسيه، فحتى معهد الإرشاد الذي أشرت إليه سابقا رغم أنه معهد تم تأسيسه باتفاق بين الهيئة الخيرية العالمية بالكويت ودولة جزر القمر إلا أنه لم يحظ باعتراف بشهاداته قط.

لقد بذل الطاقم المؤسس لهذه الكلية بقيادة سماحة مفتي الجمهورية وأمينه العام، والفريق العامل معهما جهودا جبارة لتوطيد أركانها وتطوير مناهجها، والحصول على البنى التحتية لها، ووضع الهياكل الإدارية لها، مما سهل لها الانضمام إلى الجامعة الوطنية دون عناء.

بل اقتنع مدير الجامعة ومدير الشؤون التعليمية آنذاك بأن قسم اللغة العربية التابع لكلية الآداب ينبغي أن ينقل إلى كلية الإمام الشافعي؛ لأنها الجهة المؤهلة

لرعاية التعليم العربي والإسلامي، وقد كان، فبحلول العام الجامعي ٢٠٠٤-٢٠٠٥م صارت الأقسام العلمية في الكلية ثلاثة، وأود أن أنبه إلى أن جميع كليات الجامعة تدرس فيها المناهج باللغة الفرنسية حاشا كلية الإمام الشافعي التي تعتبر بحق بيت العربية والإسلام.

لقد صارت كلية الإمام الشافعي بعد إنشائها منبرا مهما لنشر اللغة العربية والتعليم الإسلامي، تخرج كل سنة أفواجا من طلبة العلم الذين يقومون بالتدريس والإمامة، ويشاركون في العمل الحكومي في قطاعات مختلفة في البلد.

وكان مكتبي في هذه الكلية بمثابة بيتي، حيث كنت أقضي فيه جل وقتي مع رفاقي، وخاصة في سنواتها الأولى ، فحتى أعمال دار الإفتاء ورئاسة الجمهورية أنجزها في هذا المكتب، فقد كنت أجمع في فترة واحدة هذه المهام الثلاثة، أي: أمانة دار الإفتاء العامة، ومستشارية رئيس الجمهورية، وعمادة الكلية.

وينبغي أن أذكر هنا وفاءً بحق كل ذي حق أولئك الشبيبة الذين كانوا يصلون الليل بالنهار معي منذ بداية المشروع إلى أن وصل إلى ما وصل إليه اليوم ، فأولهم الدكتور عبد الرؤوف عبده عمر خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ثم معهد الخرطوم الدولي، فقد قام هذا الأخ بجهد لا مثيل له في تأسيس هذه الكلية، وضحى بوقته وماله، وما فارقني ساعة مؤيدا ومؤازرا ومدافعا قويا عن هذا المشروع، وهو حاليا الذي يتولى العمادة بعدي منذ سنة ٢٠١٥م، وقبل ذلك كان وكيلا للكلية منذ تأسيسها عندما كنت عميدا لها.

ومن هؤلاء الذين لعبوا دورا مهما الأخ الدكتور محمد مزي وابون الإعلامي الماهر، وهو خريج جامعة الأزهر ثم جامعة أم درمان الإسلامية، الذي كان يعمل آنذاك في الإذاعة الوطنية، حيث استخدم الإعلام أحسن استخدام في صالح هذا المشروع، وقد انتقل من الإذاعة إلى الكلية، وواصل تعليمه في الدعوة الإسلامية حتى

نال شهادة الدكتوراه، وهو وكيل الكلية الآن .

ومنهم الأخ الدكتور إبراهيم عبد القادر خريج جامعة أم درمان الإسلامية، وهو الذي تولى إدارة الشؤون المالية في الكلية؛ لتخصصه في المحاسبة، وقد أكمل تعليمه في جامعة أم درمان، وحصل على الدكتوراه، وهو حاليا وكيل كلية القانون والعلوم الإدارية بالجامعة.

ومنهم الأخ الفاضل الأستاذ علي محمد مبريما، وهو خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو في الدفاع عن الكلية شقيق عبد الرؤوف، فرغم أنه انتقل إلى سلك القضاء بعد تأسيس الكلية إلا أنه لا يفارقها إلى الآن، فيقدم للقائمين عليها المشورة النافعة – بارك الله فيه–.

ومنهم –أيضا – أخت فاضلة وافتها المنية بعد تأسيس الكلية، اسمها جانين متخصصة في علم النفس من جامعة الأحفاد، وهي التي كانت تتولى شؤون الطالبات في الكلية –رحمها الله رحمة واسعة–، هؤلاء بحق كانوا يمثلون العصبة المباركة التي رفعت راية هذه الكلية، ونصرت العربية بجانب المفتي وأمينه العام.

ولم تكتف هذه الكلية بتدريس الملتحقين بها تدريسا قويا، حيث اختيرت مناهجها من مناهج جامعات عريقة هي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم درمان الإسلامية ، ولكن قامت بدور مهم بجعل التعليم العربي تعليما رسميا في المرحلة دون الجامعية، فقدمت إلى الحكومة مشروعا بإدخال قسم للغة العربية والشريعة الإسلامية في المرحلة الثانوية صنو الأقسام الأخرى كقسم الرياضيات وقسم الأدب الفرنسي، وقد تم ذلك فعلا منذ سنة ٢٠٠٧م، وصار خريجو هذا القسم هم جُلَّ من يلتحق بالكلية، ولله الحمد ، وبافتتاح هذا القسم في المرحلة الثانوية في كثير من مناطق الجزر أخذت العربية تزداد انتشارا، وصار الحاصلون على الشهادة الثانوية العربية يتزايدون، ويلتحقون

بمختلف الجامعات في الوطن العربي؛ ليدلي كل واحد منهم بدلوه.

وهناك أمر آخر قامت به هذه الكلية، وهو توسيع نشر اللغة العربية في المجتمع من خلال قسم التعليم المستمر وخدمة المجتمع المشار إليه.

فهذا القسم من أوائل أقسام الكلية، وكما أسلفنا كان ينظم دورات تدريبية في مهارات اللغة العربية للناطقين بغيرها مساءً في داخل الكلية، ولكن في عام ٢٠٠٩م تطور العمل في هذا الجانب، حيث حل علينا الخير العميم بتبني السيد عبد العزيز سعود البابطين الشاعر العربي الكبير ورجل الأعمال الكويتي المشهور مشروع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في جزر القمر، وإسناد تنفيذ هذا الأمر إلى الدكتور سعيد برهان عبد الله عميد الكلية، والذي ربطه مباشرة بهذا القسم، فمنذ ذلك الوقت انتشرت هذه الدورات في القرى والمدن، وصار الناس يتسارعون إلى تعلم اللغة العربية، وإتقان مهاراتها، كل حسب نيته، ولكل امرئ ما نوى، فهذا يتعلمها ليحسن أداء عبادته، وآخر يريد أن يوسع ثقافته، وثالث همه أن يحسن التخاطب مع العرب في أسواق الجزيرة، ورابع لأنه يحمل شهادات عليا في تخصص مرموق، وإذا أتقن العربية يمكن أن يحصل على وظيفة في الدولة أو في المؤسسات العربية العاملة داخل البلاد أو في الدول العربية عموما.

وما أن انتهى عام ٢٠١٤م حتى استفاد من هذه الدورات أكثر من خمسة عشر ألف مستفيد من طبقات المجتمع المختلفة ومن الجنسين ، ومما يذكر في هذا الصدد أن من بين تلك الدورات دورةً خاصةً لرجالات الدولة من الوزراء والنواب والمحافظين، ودورة لرجال الشرطة والدرك، ودورات خاصة للنساء، وخاصة سيدات الأعمال، بل كانت هناك دورة خاصة لرئيس الجمهورية، وفي هذا العام توقف برنامج السيد البابطين، ولكن الدورات التي كان ينظمها قسم التعليم المستمر استمرت .

ولقد نُفِّذَتْ هذه الدورات بإتقان من قبل الإخوة المسؤولين في هذه الكلية،

وخاصة الشباب العاملين في قسم التعليم المستمر وخدمة المجتمع، وفي إدارة الشؤون التعليمية بالكلية بقيادة الأخ الدكتور الأمين محسن مدير الشؤون التعليمية بالكلية آنذاك، والذي يتولى منصب نائب مدير العلاقات الدولية بالجامعة حاليا، ومساعدة الأخ سيد محمد موينى له الذي كان يتولى الإشراف الميداني على هذه الدورات، فيتنقل بين مناطق الجزيرة الكبرى ليتفقد سيرها، ويطمئن على حسن أداء المدربين لعملهم.

وهكذا أسعى كل السعي لخدمة هذه اللغة وتقديم كل ما أستطيع تقديمه لهذه اللغة التي لها عليَّ دين كبير يصعب الوفاء به.

وبعد انتخابي رئيسا للجامعة عام ٢٠١٥م عرفت أنني لن أطيل في هذا المنصب؛ لأن الناس الذين يعرفون طبيعة البلدان الفرانكفونية ما صدقوا أن مثقفا عربيا يرأس جامعة فرانكفونية، فإن فزت لأن أغلبية منسوبي الجامعة يثقون في إلا أن المؤامرات للقضاء علي لن تتأخر وستأتي من أبواب متفرقة ، ولذلك حرصت خلال هذه الفترة الوجيزة أن أعمل شيئا أخدم به هذه اللغة، وما وجدت أحسن من توظيف أحسن الكوادر العربية التي وصلت إلى البلاد إبان إدارتي للجامعة، وتوزيعهم في كليات الجامعة المختلفة، وتعيين المتفوقين منهم في كلية الإمام الشافعي بيت العربية والعروبة، وقد تم لي ذلك، فقد خرجت من إدارة الجامعة، وتركت في كلية الإمام الشافعي وحدها ستة عشر دكتورا متخصصين في العلوم المقررة فيها، وعينت في كل كلية مسؤولا مؤثرا متقنا للعربية، وذا توجه إسلامي معتدل، كما أنشأت في إدارة العلاقات الدولية بالجامعة قسما مكلفا بالوطن العربي والصين، وعينت فيه الدكتور الأمين محسن المذكور سلفا.

وفي هذه الفترة أنشئ قسم علمي متخصص لإعداد معلمي اللغة العربية في المراحل دون الجامعية، يقدم برنامجا للماجستير ، وهذا القسم أنشئ بالاتفاق مع السيد عبد العزيز سعود البابطين، ولذلك أطلق اسمه عليه.

كما أنشئ قسم خاص بعلوم القرآن في كلية الإمام الشافعي، أسند أمره إلى الدكتور الشاب البارع في علوم القرآن والحاصل على إجازة في القراءات من الشام فيصل بكر أحمد.

وإن أنس لا أنس أني افتتحت فرعا لكلية الإمام الشافعي في جزيرة هنزوان الجزيرة الثانية، والتي يوجد فيها أكبر فرع للجامعة خارج العاصمة، وزودتُ هذا القسم بأساتذة اللغة العربية والدراسات الإسلامية، من بينهم ستة دكاترة متخصصين في مجالات متنوعة في الدراسات الإسلامية واللغة العربية، وأسندت رئاسة هذا القسم إلى الدكتور محمد سيد عظيم .

كما أنني كنت أحرص على أن ألقي خطاباتي الرسمية في المناسبات المختلفة باللغة العربية، أو أستهلها بهذه اللغة إذا كان الأمر يستلزم أن أتحدث بغيرها كالقمرية والفرنسية، حتى أسجل طابعا عربيا لمن يتولى قيادة الجامعة.

ومن الطرائف في ذلك أن العاملين في الجامعة من العمداء والمديرين بدؤوا يقلدون الرئيس في هذا الجانب، فحاول كل متحدث منهم في هذه المناسبات أن يضمن خطبته شيئا من الكلمات العربية، بل وصل الأمر إلى أن بعض السفراء الأجانب كانوا يبدؤون خطبهم بالسلام عليكم باللغة العربية كالسفير الفرنسي والسفير الصيني .

وأختم المقالة بذكر أهم العوائق التي واجهتني عند تعلم هذه اللغة، ويمكن أن أركز على أمرين أساسين :

أولهما: بيئة الدراسة: وذلك أن المراحل الأولى لدراسة اللغة العربية–أي: عندما كنت في بلادي–كنت أتلقى هذه الدروس في بيئة أعجمية صرفة، سواء أكانت بيئةَ المدرسة أو البيت أو المجتمع، فلا أسمع هذه اللغة إلا في المدرسة فقط، عند قراءة المقررات، وأما خارج الفصل بل حتى داخل الفصل فلا أمارسها، فلا المعلم الذي

يدرسنا يتحدث بها، ولا الزملاء الذين يدرسون معي يتحدثون بها، لذلك لم نتدرب على مهارة الحديث في جميع المدارس التي تنقلت فيها في البلاد، وهذا الهاجس زال لما التحقت بالجامعة الإسلامية في بيئة عربية خالصة .

ويضاف إلى ذلك تلك المناهج المقررة التي كنا ندرسها، فجلها وضعت متجاوبة مع بيئة أخرى ومع طلاب عرب، فلم توضع خصيصا لأمثالنا.

وثانيهما: طبيعة المعلمين الذين تولوا تدريسي هذه اللغة في البلاد، فهم أناس فضلاء، كان عندهم غيرة شديدة لخدمة هذه اللغة ونشرها، ولكنهم لم يحظوا بالتعليم والتدريب الكافيين لتنشئة ناشئة عرب اللسان، فكان ينقصهم كثير من المهارات الفنية لتدريس هذه اللغة للناطقين بغيرها .

ولكن إذا كان هناك حسنة يجب أن تسجل هنا لهم وللأسرة التي ولدت فيها فهي أنهم كانوا يحرصون على تعليمي ومن معي هذه اللغة؛ لكونها وعاء الدين الإسلامي، والأفارقة لا يفرقون بين اللغة العربية والدين الإسلامي، ومن حرصهم على تعليم أبنائهم الدين أنهم يرون أنه لا بد من إتقان اللغة العربية فجزاهم الله خيرا كثيرا .

ففي البداية لم يكن لي دافع لتعلم هذه اللغة، وإنما كان حِرْصُ أبويَّ - خاصة والدتي- هو المحركَ الأساسيَّ لتوجيهي نحو تعلمها، كما ظهر من القصة ، ثم لما ذقت حلاوتها أحببتها، وواصلت دراستها، ونذرت حياتي لخدمتها.

فهذه لغة أهواها وأعشقها وأحبها حب قريش لعثمان، كيف لا وهي لغة القرآن والسنة ولغة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته ولغة أمة كريمة، حبها من الإيمان، وبغضها كفر وعصيان؟، وليست العربية لغة تخاطب فحسب، بل هي وعاء العلوم، ومخزن الحضارات والثقافات والمعارف المتنوعة، من دين وأدب واجتماع وسياسة واقتصاد وفنون، وغيرها من أبواب الحضارة قديما وحديثا، فمن ملك زمامها ملك مفاتيح العلم الذي ينفعه في الدنيا والآخرة .

هذه قصتي مع هذه اللغة الجميلة، وما زلت كل يوم أسعى لتحصيل مسالة أو مراجعة أخرى في باب من أبواب العلم، باحثا في الكتب، أو في المواقع المنتشرة ، أو أفكر وأخطط في أمر يخدمها، ويساعد على انتشارها؛ لأنني كلما ازددت اطلاعا على كنوزها ازددت علما بجهلي بها، وكلما قدمت خدمة شعرت بتقصيري في جوانب عدة تستحق العناية بها، ولذلك فالرحلة مستمرة في طلب المزيد من علومها ومعارفها، وفي السعي في نشرها إلى أن ألحد في القبر، وهكذا أمرنا أن نطلب العلم من المهد إلى اللحد، وأسال الله أن يتقبلنا في زمرة طلبة العلم الصادقين آمين .

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



قصتي مع اللغة العربية:
من ربوع إفريقيا إلى طيبة الطيبة

الدكتور سعيد محمدبابا سيلا - جمهورية مالي

أمين عام اتحاد علماء إفريقيا - ومدير جامعة الساحل في باماكو

- حصل على الماجستير والدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.
- إمام وخطيب وعضو في عدد المجالس والهيئات المحلية.
- له مشاركات في المؤتمرات والملتقيات الدولية، وبرامج إذاعية وتلفازية.

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة، محمد بن عبد الله النبي الرسول الأمي العربي، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه محطات في تعلمي اللغةَ العربيةَ لغةَ القرآن الكريم؛ من ربوع إفريقيا إلى طيبة الطيبة.

ولدت في باماكو عاصمة جمهورية مالي إحدى دول غرب إفريقيا عام ١٩٦٨م لأبوين من مدينة طوبى الواقعة على بعد ١٤٠ شمال شرق العاصمة؛ وهذه المدينة معروفة على مستوى البلد بكونها مدينة العلم، وبالتحديد مدينة الحفظة لكتاب الله.

وإلى جانب ذلك كانت الأسرة معروفة بالعلم؛ فقد كان عمي صاحب حلقة لتعليم القرآن الكريم وتدريس العلوم الدينية، يرسل إليها الناس أبناءهم من أنحاء مالي، بل ومن بعض الدول المجاورة، لا سيما غينيا والسنغال وبوركينافاسو، من أجل تعلم القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغة العربية.

زد على ذلك أن أبي كان حافظا للقرآن الكريم، مجيدا للغة العربية، يكتب بها رسائله إلى الأسرة وهو في الغربة في باماكو، ثم في مدينة بواكي في ساحل العاج.

على ضوء هذه العوامل كان من الطبعي أن أتجه هذا الاتجاه، أي: تعلم اللغة العربية من أجل العلوم الإسلامية؛ فقد التحقت بحلقة القرآن الكريم (الكتاب) لعمي محمد بن سعيد سيلا-بارك الله في عمره-وأنا في السادسة من العمر.

في اليوم الأول في الكتّاب تسلمت لوحاً جديداً، وهو لوح خشبي مستطيل، لا يزال مستعملا في الكتاتيب عندنا في معظم مناطق مالي؛ وكان هذا أداة التعلم؛ وكان عمي الشيخ أول من يكتب عادة على اللوح الجديد للطالب الجديد؛ وهذا الذي كتب على لوحي، ولا أزال أذكره:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم *﴾

رب زدني علما

أبـجـد (أول الحروف الهجائية).

كتب ذلك بخط النسخ الجميل؛ فقد كان خطه جميلًا جدًّا؛ وكتابة هذه الآية، وهي أول ما نزل من القرآن الكريم له مغزى بدون شك.

كانت هذه هي البداية مع اللغة العربية لغة القرآن الكريم؛ وحسب المنهج يتعلم الطالب الهجاء حسب الترتيب القديم: أبجد هوز حطي. . . . حتى ينتهي؛ وليس حسب الترتيب الهجائي المشهور الآن: أ ب ت ث ج؛ ثم يبدأ من سور الفاتحة، يأخذ يوميًّا آية أو آيتين، والشيخ أو أحد الطلبة الكبار هو الذي يكتب الدرس على اللوح إذا أتقن الطالب الدرس السابق؛ وذلك قبل أن يكلف الطالب بالتدرب على الكتابة على اللوح.

الأدوات التعلمية في الكتّاب هي:

١- اللوح الخشبي، فكل طالب له لوحه الخاص؛ وغالبا يهديه إليه الشيخ يوم الالتحاق بالكتّاب.

٢- القلم الذي يصنع من أعواد الخيزران؛ ويمتلكه الطالب بعد الشروع في الكتابة بنفسه؛ وهو المسؤول عن صنعه وحفظه.

٣- الدواة (المحبرة) وفيها الحبر الأسود المصنوع من فحم بعض الأشجار بعد خلطه وطبخه بالماء والصمغ بطريقة فنية معروفة؛ وأحيانا كان يصنع من المادة الفحمية السوداء التي تلتصق بقدور الطبخ في المنازل؛ وهذه الطريقة كانت معقدة ومتعبة جدا؛ حيث يتطلب أن يتجول الطلاب على البيوت، فيمسحون بأيديهم تلك المادة الفحمية من القدور، ثم يغمسونها في علب تكون معهم، فيها بعض الماء؛ ومن

أجل أن يصير الحبر سميكا ربما تطلب الأمر جولة يومين أو ثلاثة أيام.

وعادة يشترك الطلاب في الدواة (المحبرة) الواحدة حسب الزمالة أو العلاقة الأسرية، فيشترك الإخوة في دواة واحدة يتعاونون في صناعة حبرها، والحفاظ عليها.

٤- المصحف، ولم يكن للقراءة منه كما هو الحال الآن في الحلقات القرآنية العصرية، بل لنسخ وكتابة الدرس اليومي منه على اللوح؛ وفي تلك الحقبة كان يشترك في المصحف الواحد عشرة طلاب أو أكثر أحيانا؛ وتكون أوراق المصحف مفردة؛ والطالب يأخذ الورقة التي فيها درسه؛ وبعد الكتابة يعيدها إلى مكانها.

في تلك الحقبة كان هناك مساران تعليميان آخران في المدينة:

أولهما: التعليم النظامي الحكومي في المدرسة الحكومية التي كانت تحتوي على الابتدائية والمتوسطة فقط؛ والدراسة فيها باللغة الفرنسية فقط، ونظامها علماني لا مجال فيها للعلوم الدينية ولا للغة العربية؛ وهي امتداد للمدارس الاستعمارية الفرنسية؛ ولذلك كانت محل رفض من غالب أهل هذه المدينة المحافظة مدينة طوبى مدينة الحلقات القرآنية؛ وكان بعض التلاميذ يسجلون فيها إجباريا من قبل السلطة المحلية (المحافظ) دون رضا الأهل، لا سيما من الأسر المعروفة بمعارضتها لهذا النوع من التعليم لأسباب دينية؛ لهذا لم يكن هذا المسار خيارا أمامي إطلاقا لكون الأسرة من المعارضين لهذا التعليم؛ والتسجيل الإجباري لم يصلني بحمد الله.

المساري الثاني: المدرسة العربية الإسلامية؛ وفي هذه المدينة كانت توجد مدرسة واحدة فقط في تلك الفترة هي «دار القرآن والحديث»، وقصتها تكفي لكتاب مستقل؛ لكنها باختصار مدرسة إسلامية أنشأها الشيخ محمد بن عبد القادر بن محمد دكوري رحمه الله - بعد عودته من أرض الحرمين، حيث درس على كبار المشايخ في الحرمين؛ ثم رجع إلى البلاد عام ١٩٥٢م إبان الحقبة الاستعمارية؛ للدعوة إلى الله ومواجهة الانحرافات والبدع التي كانت تعصف بالمجتمع؛ مما جعله يواجه من قِبل

بعض التقليديين بدعوى أنه جاء بالوهابية.

وقد واجه الشيخ في تأسيسه للمدرسة معارضة قوية من بعض الناس، لكنه هو ومن تبعه في مسار الدعوة تغلبوا على كل التحديات، وأنشئت المدرسة، وسمحت السلطات المحلية بإنشائها؛ والآن تعتبر من أكبر المدارس العربية الإسلامية في مالي بل في غرب إفريقيا؛ ولها أكثر من ٧٥ فرعا في أنحاء البلاد.

بعد سنة في الكتّاب رغب والدي في إلحاقي بالمدرسة العربية الإسلامية، وكان من مؤيدي هذا النوع من التعليم، فتم تسجيلي في تلك المدرسة التي لم يكن فيها إلا ثلاثة فصول دراسية؛ وكان هذا يوم فرح وسرور بحكم المرحلة العمرية التي كنت فيها؛ فالمدرسة مبنية بالزنك ونجلس على المقاعد، وعندنا محفظة ودفاتر، وينظر إلينا الأقران الذين ليسوا في المدرسة نظرة فيها غبطة؛ لأن البيئة فيها أكثر راحة من الكتّاب.

وكان تسجيلي في المدرسة لا يعني ترك الكتّاب؛ فالمساران كانا متكاملين متوازيين؛ وهذا من المزايا في المنظومة التعليمية في هذه المدينة في تلك الفترة وإلى يومنا هذا؛ فما من طالب في المدرسة إلا ويدرس أيضا في الكتاب؛ وليس العكس دائما.

فحسب هذا النظام المتوازي كنا نذهب إلى الكتاب قبل صلاة الفجر؛ نعم قبل صلاة الفجر، وليس بعدها؛ لقراءة الدرس الذي على اللوح وحفظه؛ فإذا حان وقت صلاة الفجر ذهبنا إلى المسجد، ثم رجعنا بعد الصلاة للمتابعة حتى إلى الساعة السابعة تقريبا، فننصرف بعد تسميع الدرس السابق وكتابة الدرس الجديد على اللوح لمن كان قادرا أو عن طريق الشيخ أو مساعده.

وما بين السابعة والثامنة هي الفترة المخصصة للفطور، ثم الوصول إلى المدرسة؛ حيث وقت الدخول وهو الثامنة تماماً، وأي تأخر عن ذلك فالعقاب الذي قد يتنوع

ما بين الوقوف إلى جانب الفصل فترة محددة، أو الضرب بالعصا أو السوط؛ هذا كان النظام أيامئذ.

نبقى في المدرسة إلى الساعة الثانية عشرة قبل الظهر، ثم نرجع إلى البيت للغداء؛ ثم نذهب إلى الكتاب مرة أخرى بعد صلاة الظهر إلى قبيل الثالثة بعد الظهر، حيث نعود إلى المدرسة لنصل هناك في تمام الثالثة.

الفترة المسائية في المدرسة من الساعة الثالثة إلى الخامسة يتخللها صلاة العصر؛ ثم ننصرف إلى البيت.

وبعد الانصراف ننطلق إلى الحقول المجاورة لجمع بعض القش أو الحشائش التي تستخدم لإيقاد النار في الكتاب بعد المغرب أو قبل الفجر؛ وتكون القراءة على ضوء تلك النار؛ فالمدينة لم تكن عرفت الكهرباء بعد.

أحيانا عندما يكون النهار طويلا كان البعض منا يتسلل ما بين النزول من المدرسة إلى المغرب إلى الميادين خلف البيوت للعب الكرة، الذي كان ممنوعا غالبا من قبل معظم معلمي الكتاب وأولياء الأمور؛ لكن المرحلة كانت تقتضي الانجذاب إلى هذه الرياضة الشعبية.

هذا كانت الأيام تمرّ حافلة بالتعلم ما بين الكتّاب والمدرسة، باستثناء يوم الإجازة الأسبوعية، والتي كانت مختلفة بينهما.

ففي الكتّاب تكون الإجازة الأسبوعية من بعد الفترة الصباحية يوم الأربعاء إلى صلاة الجمعة؛ وأما في المدرسة فالإجازة يومي الخميس والأحد؛ وقد اختير يوم الأحد لأن السوق الأسبوعية تقام يوم الأحد في المدينة، ويحتاج الناس إلى الذهاب إلى السوق لشراء احتياجاتهم.

مسار الدراسة في الكتّاب استمر إلى ختم القرآن وأنا في العاشرة من العمر؛ ثم دراسة بعض الكتب في حلقة الشيخ، مثل: متن الأخضري في الفقه المالكي، ثم

متابعة دروس التفسير باللغة المحلية، وكتب الحديث مثل الموطأ والبخاري ومسلم مع الطلاب الكبار الذين كانوا يدرسون على الشيخ؛ ولا زال هذا المنهج موجودا في حلقة الشيخ –حفظه الله –، وفي المدينة أيضا في المساجد وفي بيوت العلماء؛ وهو دافع للكثير من الطلاب للقدوم إلى طوبى للدراسة، من داخل مالي وخارجها.

وأما الصعوبات في تعلم اللغة العربية في الكتاب على ضوء المنهج الذي درست عليه فتتمثل فيما يلي:

١- البطء الشديد في تعلم القراءة والكتابة؛ حيث يكون التركيز على الحفظ دون التدريب على مهارات القراءة والكتابة.

٢- إغفال الجوانب الأخرى اللازمة لمعرفة اللغة العربية من النحو والصرف؛ فمع كون تعلم اللغة العربية هدفا من الأهداف، لكن التركيز يكون على حفظ الآيات.

٣- الشدة في التعامل، والاستخدام المفرط أحيانا للعقوبة الجسدية؛ وغياب التشجيع والترغيب؛ هكذا كان فهم معظم معلمي الكتاتيب؛ وهكذا تعلموا، فهم يطبقون الطريقة نفسها؛ لأن هذه العقلية كانت السائدة؛ والمشكلة تكمن في الإفراط وعدم التوازن؛ وربما فهموا قول القائل وطبقوه حرفيا:

فقسا ليزدجروا، ومن يك حازما   فليقس أحيانا على من يرحم

الالتحاق بالمدرسة كان نقطة تحول كبير في تعلم اللغة العربية، فهناك منهج دراسي مركز على معرفة القراءة والكتابة، فمنذ الأيام الأولى كنا نلزم بحفظ الكلمات العربية، بل والجمل، وبدءًا من الصف الثاني لا يدخل الطالب إلى الفصل حتى يذكر جملة مفيدة؛ مثل: ذهب التلميذ إلى المدرسة؛ ونحو ذلك؛ فكنا نستعين بمن أمامنا في الفصول المتقدمة ليلقنونا جملا مفيدة نحفظها لنذكرها لدخول الفصل في هذا اليوم.

المنهج التعليمي آنئذ كان مبسطا يركز على تعلم اللغة العربية وحفظ بعض السور والأحاديث حفظا متقنا؛ إلى جانب السيرة النبوية والفقه والحساب؛ أما المواد العلمية

مثل العلوم أو الفيزياء أو الكيمياء، والاجتماعية كالجغرافيا فلم تكن ضمن المنهج في تلك الفترة؛ ومع وصولنا إلى الصفوف الإعدادية بدأ إدراج بعض هذه المواد إلى جانب اللغة الفرنسية.

النظام العام في المدرسة كان يركز على أن نتعلم اللغة العربية كتابة وقراءة وتحدثا، وبإجادة تامة؛ فقد كان من التدابير في المدرسة منع التحدث بغير اللغة العربية داخل الفصل، بل داخل سور المدرسة بدءًا من الصف الثالث الابتدائي؛ وكان هناك آلية لطيفة لتطبيق هذا المنع؛ ففي كل فصل يصنع مكعب صغير من الخشب يمكن وضعه حتى في الجيب ويسمى بـ «المثال» أو «الزمبول» وهي محرفة من الكلمة الفرنسية (Symbole).

فعند الدخول يوضع المكعب عند مراقب الفصل (أحد الطلاب المعينين من المدرسة)، فإذا تكلم شخص بغير العربية ولو سهوا أعطاه المكعب، فيأخذه لزوما؛ ثم يترصد هذا الطالب الآخرين من زملائه، ويجتهد في ذلك حتى لا يبقى المكعب عنده؛ فيدفعه أيضا إلى من يجده يتكلم بغير العربية؛ فالطالب الذي ينتهي الدوام والمكعب عنده ينال عقوبة من المدرس، إما بالضرب بالخيزرانة على الكف، أو تأخيره عن الانصراف لفترة، وأحيانا تكون العقوبة مالية.

وكان المدرسون يحرصون في تطبيق المنهج أن نتمكن من كتابة وقراءة الرسائل (الخطابات)، من أجل أن نقوم بهذه الخدمة لأهالينا؛ ففي تلك الفترة منتصف السبعينات الميلادية لم يكن يوجد خط هاتف في طوبى؛ فكان الناس يعتمدون في التواصل مع أقاربهم في الغربة في العاصمة أو في الدول المجاورة على الرسائل والخطابات؛ ولأن كفة اللغة العربية كانت هي الراجحة، فكان طلاب المدارس بدءا من الصف السادس الابتدائي هم الذين يتولون هذه المهام؛ ويحصلون على بعض المكافآت مقابل ذلك.

وبما أني كنت قد اشتهرت لدى الجيران بإجادة كتابة الرسائل فقد كنت أقضي

ساعات في كتابتها، لا سيما في الأيام التي تغادر فيها سيارات النقل المدينة إلى العاصمة، وذلك يومي الخميس والاثنين.

فكانت هذه كلها عوامل اجتمعت وأسهمت في إجادتي للغة العربية مما جعلني أزداد حبا لها وفخرا بها، والحمد لله.

وإلى جانب المكتسبات في ميدان اللغة العربية من المدرسة والكُتَّابِ فقد كان هناك عاملان آخران أسهما في زيادة حصيلتي اللغوية منذ نهاية المرحلة الابتدائية، لا سيما من المصطلحات والتعبيرات الحديثة:

العامل الأول: القراءة الذاتية؛ فقد كنت شغوفا جدا بالقراءة، فكلُّ ما وقع في يدي باللغة العربية كنت أقرؤوه، من الكتيبات التي كنا نحصل عليها أحيانا من خلال بعض المدرسين أو الزملاء في أي موضوع كان؛ وكذلك الصحف والمجلات مع ندرتها؛ كان بعضها يصل إلينا من خلال سفارات بعض الدول العربية، وبالتحديد المملكة العربية السعودية وليبيا؛ ثم دخلت إيران على الخط؛ فكانت سفارتها توزع بعض الصحف باللغة العربية في خضم حربها مع العراق؛ فكانت تصلنا أحيانا، ولم يكن لنا أيّ خلفية عن الاتجاه الطائفي الرافضي الذي تتبناه إيران وتروجه باسم الثورة الإسلامية.

العامل الثاني: الاستماع إلى الإذاعات التي تبث باللغة العربية؛ وذلك قبل عصر القنوات والإنترنت؛ فكنا نقضي ساعات في تقليب الراديو الصغير الموجود في البيت لالتقاط بث الإذاعات الناطقة باللغة العربية؛ وأغلب الاستماع كان إلى إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة وإذاعة بي بي سي العربية.

مع وصولي إلى الصف الثالث الإعدادي كنت بحمد الله ومنته قد أجدت اللغة العربية قراءة وكتابة وتحدثا بحكم المنهج القوي الذي درسنا عليه؛ والعوامل الأخرى المساعدة، ومنها الاستفادة من البعثة الأزهرية، فعندما كنت في الصف

الثاني الإعدادي انتدب إلى مدرستنا ثلاثة من المدرسين المصريين من البعثة الأزهرية؛ فكانوا يتناوبون على تدريسنا، وكانت اللغة العربية وسيلتهم الوحيدة للتواصل مع الناس؛ لأنهم لا يجيدون اللغة المحلية؛ وقد كانوا مسرورين بمستوى اللغة العربية عندنا في هذه المرحلة.

في هذه المرحلة أي نهاية المرحلة الإعدادية كان الطلاب يهتمون بقضية الذهاب إلى الخارج لمواصلة الدراسة، لا سيما إلى المملكة العربية السعودية بلاد الحرمين الشريفين؛ ففي تلك الحقبة لم تكن هناك مرحلة ثانوية في المدرسة؛ بل نهاية المطاف كان الحصول على الشهادة الإعدادية.

ويتحول الأمر إلى رغبة جامحة عندما يأتي الدارسون في الجامعة الإسلامية لقضاء الإجازة الصيفية.

لم يكن حالي استثناء من هذا الاتجاه، فكنا نتوق إلى اليوم الذي نشد فيه الرحال إلى المدينة أو مكة لمواصلة الدراسة؛ وبفضل الله ونحن في الصف الثالث الإعدادي أتى وفد من الجامعة الإسلامية إلى مالي، وزاروا مدرستنا في طوبى على الرغم من وعورة الطريق في تلك الحقبة بسبب السمعة العلمية الطيبة للمدينة؛ وأعلن الوفد عن مسابقة للالتحاق بالجامعة الإسلامية ستنظم في باماكو في نهاية السنة، وطلبوا من إدارة المدرسة الاستعداد لترشيح بعض الطلاب للمشاركة.

وبحمد الله كنت ممن رشح؛ ولما حان موعد المسابقة جئنا إلى العاصمة؛ وجرت المسابقة على يد وفد من الجامعة الإسلامية أتى لهذا الغرض؛ وشارك في المسابقة قرابة مائة وعشرين شخصا؛ كنت من أصغرهم سنًّا، فلم أكن قد تجاوزت السادسة عشرة، حتى تعجب الوفد من صغر سني.

وكانت المسابقة عبارة عن اختبار كتابي لا أزال أتذكر بعض أسئلته، وكان أولها عن سبب نزول أول سورة المجادلة.

وبحمد الله -تعالى- ومنته كنت من بين عشرة أشخاص ممن قبل للدراسة في

الجامعة الإسلامية من بين المشاركين المائة والعشرين؛ وكانت هذه المرة الأولى التي يجرى القبول فيها بهذه الطريقة؛ فقبل ذلك كان الطلاب يذهبون بأنفسهم عن طريق الحج أو العمرة، ثم يبحثون عن القبول في دار الحديث المكية أو المدنية أو في الجامعة الإسلامية مباشرة.

تحققت الأمنية بفضل الله -تعالى-، وصلنا إلى المدينة المنورة مع زملائي المقبولين؛ ذكريات لا تنسى؛ وتم تسجيلنا جميعا في المعهد الثانوي التابع للجامعة الإسلامية بعد مقابلة أخرى للتحقق من المستوى، وكانت المرة الأولى التي يقبل فيها طلاب من بلدي في المرحلة الثانوية مباشرة؛ وقبل ذلك كانوا يبدؤون بالمتوسط، أو الابتدائي أحيانا.

بالالتحاق بهذه المؤسسة التعليمية المرموقة فتحت أمامي آفاق واسعة في التمكن من اللغة العربية، لا سيما في جانب التحدث بطلاقة؛ بعد المكاسب التي اكتسبتها أثناء الدراسة في طوبى؛ والتي بسببها لم أجد أي صعوبة في الدراسة في المعهد الثانوي؛ حيث حافظت على درجة الامتياز بعد السنة الأولى حتى الثالثة.

وبعون الباري حصلت على الشهادة الثانوية فالتحقت بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية؛ وفيها تخرجت بالإجازة ثم الماجستير ثم الدكتوراه؛ كل ذلك مع اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

هذه المسيرة مع اللغة العربية امتدت على مدى ثلاثة عقود تقريبا؛ وخلالها حدثت تغيرات كثيرة في مكانة العربية في البلد؛ فبالتأكيد لم نقترب إلى الوضع الذي كان عليه الأمر قبل مجيء المستعمرين الفرنسيين حيث كانت العربية لغة المجتمع في شؤونها الدينية والإدارية؛ لكن خطوات إيجابية تمت، ولا يزال الأمر في تطور بفعل التضحيات التي يقدمها محبو اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم ولغة الحضارات التي عرفتها المنطقة في أوج ازدهارها.

ويمكن إجمال تلك الخطوات فيما يلي:

١- اعتراف الدولة الكامل بالمدارس العربية الإسلامية، ممثلة في وزارة التربية الوطنية؛ وإلحاق تلك المدارس بوزارة التربية، بعد أن كانت تابعة لوزارة الداخلية بوضعية شاذة غير مبررة.

٢- إنشاء مركز رقي اللغة العربية، باعتباره جهازًا رسميًّا تابعًا لوزارة التربية الوطنية يعنى بشؤون المدارس العربية الإسلامية.

٣- اعتماد منهج موحد للمدراس العربية الإسلامية بتوافق بين الوزارة والمدارس؛ وانبثق عن ذلك تنظيم الشهادة الإعدادية، ثم الشهادة الثانوية على مستوى الدولة للمدارس العربية الإسلامية.

٤- فتح قسم اللغة العربية في جامعة باماكو، وكذا في المدرسة العليا للمعلمين.

٥- الزيادة المطردة في عدد المدارس العربية الإسلامية بمختلف المراحل وعلى مستوى البلد كلها؛ بل تكاد تقارب المدارس الفرنسية الحكومية منها أو الخاصة في بعض المناطق.

٦- افتتاح الجامعات الأهلية المشتملة على كليات أو أقسام للغة العربية مثل جامعة الساحل، وكلية طوبى للدراسات الإسلامية، وكلتاهما في العاصمة، وجامعة كاي في الإقليم الأول، وجامعة كيندغو في الإقليم الثالث.

٧- اعتبار اللغة العربية ضمن اللغات الوطنية المحلية بالنظر إلى وجود مجتمع عربي في بعض مناطق البلد لا سيما عند الحدود مع موريتانيا.

ومع هذه الخطوات الإيجابية تبقى هناك تحديات لا بد من مواجهتها؛ ومرتكزها هي التخوف من سحب البساط من تحت المنظومة التعليمية الفرنسية الموروثة عن الاستعمار؛ لا سيما في ظل تراجع اللغة الفرنسية على الصعيد العالمي أمام اكتساح اللغة الإنجليزية وعلى الصعيد المحلي أمام تنامي اللغة العربية واللغات المحلية.

وإن كان من توصية في ختام هذه المقالة فهي الدعوة إلى مساندة مسيرة الجامعة الناشئة المحلية التي فيها كليات أو أقسام للغة العربية من خلال علاقات تعاون بناء

مع الجامعات العريقة في العالم الإسلامي؛ فالتعليم العالي هو ميدان الحسم في هذه المواجهة.

وختاما لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية على هذه المبادرة بإخراج هذا الإصدار العلمي وإتاحة الفرصة للكتابة فيه، تلك الفرصة التي هيجت الكثير من الذكريات؛ سائلا المولى القدير أن يجزي القائمين عليها خيرا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.



اللغة العربية كما أعيشها

د. عبد الرحيم شئت ثاني – جمهورية بنين

عميد كلية اللغة العربية والترجمة والرئيس بالنيابة لجامعة اللغة والعلوم ولمركز التعليم العربي الإسلامي بساكيتي في جمهورية بنين

- نال جائزة المدينة المنورة للنبوغ والتفوق عام ١٤١٧هـ.
-نال درجة الماجستير والدكتوراه في البلاغة من الجامعة الإسلامية.
-عمل نائباً لرئيس المجلس العلمي ورئيساً للجنة تطوير الجامعة الإسلامية بساي بالنيجر.

إن اللغة العربية هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وذلك أن حبها مجبول ومتأصل في نفوس كثير من الناس، فلا تكاد تلتقي بشخص ذكراً كان أو أثنى، مسلما أو كافراً، أو بشخصية مرموقة كانت أو مغمورة، إلا وكانت من أمنيته الأولى أن يجيد اللغة العربية، وخصوصا في ربوع إفريقيا، التي يقوم تاريخها القديم والحقيقي على الإسلام، فلا تكاد تقابل إفريقيا لا يجيد اللغة العربية إلا وهو متحسر نادم، بل متطلع إلى تعلمها وراغب في إجادتها، فتراه يبحث عن معهد أو مدرس أو وسائل تعلم اللغة العربية؛ فإجادة اللغة العربية أمنية كثير من الناس؛ لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي الأمنية الأولى لكل مسلم؛ لأنها الوسيلة الأولى لفهم الكتاب والسنة اللذين هما مصدرا الشريعة الإسلامية.

و بدخول الإسلام في إفريقيا من القرن الأول للهجرة، أدرك العلماء الأفارقة أهمية اللغة العربية وضرورة تعلمها وتعليمها، فراحوا في بداية الأمر ينشئون الكتاتيب يدرسون فيها القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والعربية من خلال المتون وكتب التراث. وقد تخرج من هذه الكتاتيب نخبة مباركة من العلماء حافظوا على التراث الذي خلفه الأوائل وأضافوا إليه مواهب فذة وإنتاجات ثرة نقلوها إلى الأجيال اللاحقة. فما أن عرف العالم نهوضا وتطورا في مجال التعليم بظهور التعليم النظامي وإنشاء مناهج تعليمية وفقا لمراحل دراسية محددة والتركيز على التعليم العالي وجعل التخصص محورا للاعتراف العلمي لدارس ما، حتى ظهرت في إفريقية مدارس ومعاهد وجامعات لتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وظهرت إلى جانب ذلك معاهد متخصصة في تعليم اللغة العربية.

وقد أدرك العالم العربي ضرورة دعم الجهود المباركة التي كان يقوم بها مشايخ الكتاب باستقطاب الدارسين من كتاتيبهم ومنحهم منحا دراسية لمواصلة دراساتهم في مختلف جامعات العالم العربي، وفي مقدمة هذه الجامعات جامع الأزهر الشريف

الذي بدأ بقبول الطلبة من غير العرب منذ الخمسينات من القرن الماضي، وسارت على منواله المملكة العربية السعودية التي أنشأت الجامعة الإسلامية خصيصاً لاحتواء الدارسين من أنحاء العالم وقد حققت هتان الجامعتان وغيرهما من جامعات العالم العربي نجاحاً باهرا في النهضة العلمية لإفريقيا خاصة وللعالم أجمع، حيث لا تخلو مؤسسة تعليمية في أي دولة من دول العالم اليوم من إنتاجات هذه الجامعات.

تصنف اللغة العربية ضمن أصعب اللغات عند كثير ممن يتعلمونها لغة ثانية، وأنا من خلال تجربتي في تعلم اللغة العربية وتعليمها أخالفهم الرأي، حيث إنني وجدت اللغة العربية أسهل اللغات تعلما من حيث إنها اللغة الوحيدة التي يستطيع الدارس قراءتها بدون الاستعانة بمدرس عبر حروفها وحركاتها، وإذا أعطاها وقتاً كافياً وجهداً مناسباً تغلب على كل ما يزعم أنه يصعب تعلمها، علاوة على أنها من اللغات التي يسهل على دارسها اكتساب لكنتها دون أن تكون لغته الأم. لكن الصعوبة التي يشير إليها بعض الدارسين تكمن في كثير من مناهج التدريس والتعليم في البلاد العربية ذاتها، فما بالك بغيرها، فقواعد النحو والصرف من أصعب المواد الدراسية، وليس أدل على ذلك أن ندرة ممن تخرجوا من الكليات الشرعية أو الكليات العربية يجيد الحديث باللغة العربية الفصحى، بل وندر من لا يخطئ بها عند الكتابة، حتى الأساتذة والدكاترة والمتخصصون في تدريس اللغة العربية ذاتها. وإن شئت دليلا على ذلك، فاسأل جارك، أو زميلك في العمل أو الدراسة، واسأله عن تجربته مع اللغة العربية خاصة أيام طلب العلم في المدارس والجامعات. إن ثمة خللاً كبيراً في منهجية تعليم اللغة العربية، وخللاً في المحتوى التعليمي، وخللاً في طريقة التدريس، ومع ذلك فإننا نشاهد اليوم عدداً كبيراً من المتفوقين في اللغة العربية الفصحى تحدثاً وكتابة من غير العرب، وعبر هذا المقال نقف على نموذج من نماذج الدارسين الذين يتبوؤون اليوم مناصب رفيعة بدراستهم للغة العربية.

يتناول المقال الحديث عن الدكتور عبد الرحيم شئت ثاني من جمهورية بنين حيث تضافرت عوامل كثيرة لعبت دوراً حيوياً في إجادته للغة العربية تحدثاً وكتابة، وفي ترقيه مناصب إدارية متفرقة، وفي ذيوع صيته محلياً ودولياً. ونسلط الضوء في هذه العجالة على أهم تلكم العوامل، وهي العوامل الدينية والاجتماعية والتربوية.

أما العوامل الدينية فإن حب اللغة العربية مجبول في نفس كل مسلم، فالمسلم مدفوع من منطلق رغبته القوية في فهم مصادر التشريع وأداء الشعائر الدينية على خير وجه، وتحقيق خشية الله التي هي رأس الحكمة بشهادة المولى عز وجل في قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

أما العوامل الاجتماعية، فقد ولد في بيت علم ودراية حيث إن والده الشيخ محمد شئت ثاني، كان بغية العلماء وطلبة العلم في عصره، فبعد حصوله على الإجازة في قراءة القرآن الكريم وكتب التراث المتداولة في عهده، أنشأ كتَّاباً في بيته يدرس فيها الكبار والصغار، وبعد لقائه بالشيخ آدم عبد الله الإلوري في الخمسينات من القرن الماضي، حول هذا الكُتَّاب إلى مدرسة أسماها المدرسة الأولية، ثم سماها لاحقاً مركز التعليم العربي الإسلامي في بداية السبعينات، وكان ميزة هذا المركز أن كان به سكن للطلاب الذين يتوافدون إليه من مختلف القرى والمدن داخل بنين وخارجها، وكان يأوي ما يربو على مائة دارس يعيشون في حرم المركز تحت كفالة مديره. وفي أوساط هؤلاء الطلبة وجدت نور الحياة، ولما بدأت أترعرع أوكل والدي رحمه الله رعايتي إلى عدد من كبار تلاميذه، بعد أن تولى بنفسه تعليمي قراءة القرآن الكريم، فكان لهذه البيئة الأسرية تأثير بارز في نشأتي وتكويني العلمي مستقبلا.

أما العوامل التربوية فتتمثل أولا في سمعة المدرسة التي بدأت الدراسة فيها، حيث إن المدرسة رغبة منها في الحفاظ على صيتها الذائع حرصت على تحقيق الانسجام والتناغم بين العناصر التعليمية الثلاثة المناهج ووسائل تعليمها والمدرسين والتلاميذ،

فتعمل المدرسة على توفير بيئة علمية ومريحة ومشجعة للدارسين. أما المناهج فقد أتيحت للمدرسة أن حصلت على دعم بالكتب من وزارة المعارف السعودية، فكانت تطبق المدرسة مناهج المدارس السعودية في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، وكان ذلك سر تفوق طلابها، فمناهج وزارة المعارف في السبعينات وأوائل الثمانيات كانت مناهج رفيعة المستوى. أما في مجال المدرسين فقد كان يتصدرهم وكيل المدرسة الشيخ أحمد الفاتح شئت ثاني رحمه الله خريج جامعة قاريونس بليبيا متخصصا في اللغة العربية، على يديه بدأت دراستي للنحو والصرف، وكان أستاذاً متقناً لصنعته في تدريس اللغة العربية، لم يكن يجعلنا لنذاكر اللغة العربية مطلقاً، فنحن لسنا بحاجة إلى مذاكرتها بعد عودتنا من المدارس في بيوتنا، لأنه كان يكفينا منها ما نحتاج إليه دون النظر إلى الكتب الدراسية؛ فقد كان يجعلنا نعيش اللغة واقعا وممارسة، فلم يكن يفصل بين حصة القواعد وحصة الشعر وحصة الأدب وحصة البلاغة، فهو يجعل اللغة مزيجا يشرح فيها كل شيء منطلقا من خصوصية الحصة الدراسية، ولقد بلغ بنا ونحن في المرحلة المتوسطة أننا كنا نقدر على استخراج أي صورة بلاغية من أي نص مهما كان، وبعضنا لم يبلغ الحلم، لقد جعلنا أستاذنا -رحمه الله- نعيش اللغة واقعا بدافع الحب، وأن نمارس مهارات اللغة، إذ كان حريصا أن يجعلنا نتكلم اللغة العربية الفصحى ونحن في سن صغيرة، نتبادل الحديث فيما بيننا وقت الدرس وخارج الفصل، نتكلم بها في الإذاعة المدرسية، فقد كان يشجعنا على أن نحيا اللغة العربية وأن تحيا فينا.

كان الأستاذ -رحمه الله- يستعمل معنا أسلوب الثواب والعقاب، فكل من يخطئ في إعراب كلمة يدفع مبلغاً زهيداً، وكل من يجيب عن سؤال صعب يأخذ ضعف ما يدفعه المخطئ، وكان يجعل في كل فصل من يحصل المبالغ من الطلاب المخطئين، ويدفعها للمتميزين، ولو وصلت معايشتنا للغة العربية إلى أن نفكر بها في كل شيء.

أما جيل التلاميذ الذين نشأت من بينهم فقد أحب مجموعة من التلاميذ اللغة العربية وكرسوا أنفسهم لها، ويبذلون كل ما بوسعهم لفهمها وإتقانها، فلم يكن يصدر من مدرسيهم لفظ غريب إلا وتمثلوها، وكانت المنافسة حامية بينهم، وقد انعكست هذه المنافسة على نتائجهم وساهمت في بناء مستواهم، ومن تتح له اليوم فرصة زيارة بنين يجد أن الغالبية العظمى من كوارد اللغة العربية والشريعة الإسلامية في جنوب بنين ممن تتلمذوا على يد هذا الشيخ رحمه الله رحمة واسعة.

ومن نعمة الله تعالى عليّ أن منّ عليّ بمنحة دراسية إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حيث واصلت فيها المرحلة الثانوية، وكان للمناهج الدراسية المقررة في المعهد الثانوي التابع للجامعة ولأساتذته بالغ الأثر في ترسيخ المعلومات التي كنت تلقيتها في مدرستي الأولى حيث كنت متفوقاً على أقراني، وتخرجت من هذا المعهد بالامتياز بالنسبة ٩٥٪.

وكان لالتحاقي بكلية اللغة العربية التابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أبلغ الأثر في تكوين شخصيتي اللغوية، حيث التحقت بها في فترة كانت كتب التراث وكتب جهابذة أعلام اللغة العربية هي الكتب المقررة في مناهجها الدراسية ففي النحو أوضح المسالك والأشموني ومغني اللبيب وفي الصرف تصريف الأفعال لعبد الخالق عضيمة وتصريف الأسماء للطنطاوي وفي البلاغة بغية الإيضاح ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وهكذا في بقية المواد، إضافة إلى ذلك كانت الكلية تزخر بكوكبة من أعلام اللغة العربية في هذا العصر الحديث أمثال عبد العزيز فاخر، وأحمد مختار بزرة، وعبد الباسط بدر، ومحمد تركستاني، وأبوبكر دوشين، وغيرهم، وكانت هؤلاء كلهم لهم بصمتهم الواضحة في مسيرتي العلمية، حيث نقلوا إلي خبراتهم الطويلة والمتميزة مع اللغة العربية، ووضعوني في جادة الطريق الموصلة إلى إجادة هذه اللغة الثرية، وتخرجت من هذه الكلية بامتياز وبالنسبة ٩٧٪ حيث نلت جائزة المدينة المنورة للنبوغ

والتفوق عام ١٤١٧هـ. أما المرحلتين الماجستير والدكتوراه فلم تكونا إلا امتداداً لمرحلة البكالوريوس.

أما خبرتي مع تدريس اللغة العربية فكانت تجربة ممتعة ومثيرة، فقد شعرت من وقت مبكر من حياتي العلمية بأني موهوب في التدريس، لما كنت أجد فيه من متعة وارتياح لا حد لهما، فلم أكن أعرف كللا أو مللا فيه. وقد بدأت في التدريس منذ سن مبكر، وأنا لم أتجاوز ١٥ من العمر، حيث أوفدتني مدرستي بعد حصولي على الشهادة الإعدادية لتقديم دروس لطلاب المرحلة الابتدائية في إحدى المدارس التابعة لمدرستنا فكانت تجربة ناجحة حيث لاحظت تجاوباً وتفاعلاً كبيرين من التلاميذ وفهمهم لما قدمت لهم من شرح للدرس، فوقع في نفسي أنني مهيأ للتدريس. وأثناء مواصلتي الدراسة في المرحلة الثانوية بالمدينة كنت أقضي الإجازة الصيفية مدرسا للمواد اللغوية والأدبية في مدرستي الأولى، واستمررت في هذا الوضع حتى حصلت على البكالوريوس وسجلت للماجستير في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا وهنا تمّ تعييني معيدا في قسم الفقه وأصوله فكانت انطباعات طلابي عني جيدة ونتائجهم في المواد التي كنت أقدمها لهم مشجعة.

وفي عام ١٩٩٩ أنشيء في جامعة أبومي كلافي في بنين معهداً عالياً للغة العربية والدراسات الإسلامية فأسند إلي المواد اللغوية فتكوّن على يدي الدفعة الأولى والثانية من طلاب هذا المعهد، ثم حصلت على عقد مع الجامعة الإسلامية بساي بالنيجر، فمارست فيها التدريس في الفترة من ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٨، تبوأت خلالها مناصب إدارية وعلمية مختلفة، من مدرس إلى مراقب الكلية ثم رئيس القسم ثم وكيل الكلية ثم نائب رئيس المجلس العلمي ثم رئيس لجنة تطوير الجامعة، ولا زالت شهادات الطلاب الذين تتلمذوا على يدي شاهدة على الأثر الذي تركته فيهم.

ومن جانب آخر كانت تجربتي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تجربة

جداً رائعة وناجحة ولله الحمد، ولقد كنت في بداية الأمر حين أسند إلي ولأول مرة تعليم اللغة العربية كلغة ثانية لطلبة السنة التمهيدية في المعهد العالي التابع لجامعة بنين المعروف اليوم بجامعة أبومي كلافي، لم أكن أتوقع أنني سأعاني في إيجاد المصادر المشوقة والسليمة التي تخدم تعلم اللغة العربية، كما وجدت ذلك ميسرة حين تعلمي للغة الإنجليزية، فظننت أن المهمة سهلة في تضمين المحتوى التعليمي بما يجذب الدارسين من وسائل تعليمية إلكترونية سواء مقاطع فديو أو ألعاب الكترونية أو تطبيقات. ولم يلبث الموضوع أن صار مؤرقاً، حيث كانت المشكلة الأولى تكمن في توفير البيئة المحفزة لتعليم اللغة العربية. وبات تحضير الدروس مرهقاً حيث إنني أقضي وقتاً طويلاً في البحث عن القصة أو الانشودة أو المقطع الجذاب شكلاً ومضموناً، ويحزنني كثيراً أننا مقصرون في إثراء المحتوى الإلكتروني المسموع والمقروء والمرئي بما يتناسب مع جماليات لغتنا العربية.

وقد بدا قصورنا في الإفادة من النهضة الإلكترونية في تعليم اللغة العربية واضحاً في الجوانب الآتية:

١ - جودة اللغة من حيث النطق والمفردات والإنشاء.

٢ - جودة المحتوى فكرياً من ناحية المواضيع المطروحة في القصص وغيرها خاصة للأطفال حيث يحوي بعضها مفاهيم صعبة أو تكون ذات طابع ديني بحت يتطلب منك التحقق من معلوماته المطروحة.

٣ - جودة الإخراج والقوالب الفنية المستخدمة في الكتب والإصدارات اللغوية المختلفة

٤ - غياب الإبداع في تقديم المادة بما يناسب مستويات الدارسين المختلفة، خصوصاً إذا تعلق الأمر بتعليم الأطفال، وهو في تعليم البالغين أضعف.

٥ - عشوائية الإنتاج وانقطاعه دون انتظام.

٦ – ندرة المحتوى التفاعلي، بل لا تكاد تجده في الإصدارات المقدمة لتعليم اللغة العربية كلغة ثانية.

الجدير بالذكر أن من أهم تحديات تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من الأطفال هو أنه يواجه رفضاً شديداً من قبل الأطفال أنفسهم وذلك للفارق الكبير في طرق العرض والتعليم إذا قارنوه بالمحتوى المقدم باللغة الأجنبية. جذب الأطفال وغيرهم لدراسة اللغة العربية يتطلب من المختصين في تعليم اللغة العربية مجهوداً كبيراً في إثراء المحتوى العربي لجميع الفئات العمرية. وقد أثبتت الدراسات أن اكتساب اللغة الإنجليزية نال في الآونة الأخيرة تطوراً كبيراً بين أطفال العرب المغتربين منهم وغير المغتربين بدرجة عجيبة، ويعود السبب في ذلك إلى الثراء الإلكتروني بالمقاطع الجذابة في كل مجال للأطفال. بينما نكاد لا نجد محتوى عربياً مماثلاً لما يقدم باللغة الإنجليزية. باعتقادي أن الإمكانيات ولله الحمد متوافرة لدينا في مجال اللغة العربية والتقنية الحديثة ولكن نحتاج تكاتفاً وتظافراً للجهود للخروج بأعمال تناسب متطلبات الجيل الحالي.

وأكبر التحديات التي تواجه دارسي اللغة العربية اليوم هو الانخراط في سوق العمل ومن ثم تبوؤ مناصب المسؤولية، حيث إن اللغة العربية ليست لغة رسمية لغالبية دول العالم الإسلامي، بل إنها تواجه هجوماً شرساً وحرباً شعواء من قادة المؤسسات التعليمية في هذه الدول، حيث إنها لا تعترف بشهادات الجامعات العربية والإسلامية بحجة أن تخصصاتها ليست باللغة الرسمية للبلاد، خصوصاً في الدول الناطقة بالفرنسية، وإذا اعترفت بهذه الشهادات كما هو الحال في الدول الناطقة بالإنجليزية فدور حملتها مقصور على مهنة التدريس ولا تتاح لهم فرصة الانخراط في مناصب المسؤوليات الأخرى حتى يتقن إلى جانب العربية اللغة الفرنسية أو الإنجليزية، وهذا يضعف مكانة اللغة العربية في البلدان المختلفة.

اللغة العربية تمر اليوم في إفريقيا بوضع تتطلب منا وضع إستراتيجية ورسم خطط على المدى البعيد، لأن المستقبل واعد، حيث إن اللغة العربية تلقى رغبة قوية وميلاً شديداً من جميع الدارسين على اختلاف تخصصاتهم وميولهم، فما أن تفتح مساقاً لتعلمها في قسم إلا وتجد إقبالاً شديداً إليه فيمتلئ التسجيل فور فتحه، وتجد الطلبات تتزايد بفتح أقسام ومعاهد لتعليم اللغة العربية، وفي ذلك تحد قوي في وجه العقبات الكبيرة التي يضعها المسؤولون أمام دارسي هذه اللغة المباركة.

واستنادا إلى قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، فقد هيأ المولى عز وجل عوامل تسهل تعلم لغة القرآن وترفعها إلى المكانة التي خصصها الله لها، ومن هذه العوامل أن الأنظمة التعليمية في العالم اتجه نحو خصخصة التعليم ونزع الاحتكار من يد الحكومات، وصار للأفراد أحقية في إنشاء الجامعات والمعاهد والمدارس، فظهرت موجة المدارس الأهلية، فواكب المهتمون بتعليم اللغة العربية هذا التيار، فراحوا ينشئون المدارس المزدوجة تدرس فيها اللغة العربية إلى جانب المواد المقررة في المناهج التعليمية الرسمية للبلاد، فلاقى هذا التوجه قبولاً كبيراً من أولياء أمور الطلبة، فعرفت هذه المدارس ازدهاراً ونمواً في فترة وجيزة، إلا أن غالبية هذه المدارس لا تتوفر على كتب مدرسية ومحتويات علمية تلائم بيئاتهم وأعمار الطلاب المختلفة، ويتصدى للتدريس فيها مدرسون غير مؤهلين لغياب معاهد إعداد المعلمين في بلدانهم، إذ ظن بعض المؤسسين لهذه المدارس أن إجادة شخص ما للغة ما تؤهله لتدريسها، فكانت النتيجة أن هذه المدارس لا تؤتي أكلها المرتقبة. ومع ذلك فإننا نقرر أن هذه المدارس ستعطي ثماراً يانعة إذا أحسن إعدادها وتضافرت الجهود في إنشاء مدارس نموذجية ترصد لها ميزانية محترمة وتعد لها كتب مدرسية تلائم البيئة الطلابية وأعمارهم ويسند التدريس فيها إلى كوادر متخصصة في التعليم.

وفي الآونة الأخيرة بدأت الجهات التعليمية الرسمية تصرف تصاريح للأفراد

بإنشاء مؤسسات تعليمية عليا، فبدأت الجامعات الأهلية تظهر هنا وهناك، فلم يقف الغيورون على اللغة العربية مكتوفي الأيدي أمام هذا التطور، فراحوا يؤسسون الجامعات الإسلامية والمعاهد العليا. ومواكبة لهذا التطور، قمت بإنشاء جامعة اللغة العلوم في رحاب مركز التعليم العربي الإسلامي الذي أسسه والدي المرحوم الشيخ محمد شئت ثاني منذ عام ١٩٤٣م، وبدأت عام ٢٠١٧-٢٠١٨ بكلية واحدة وهي كلية اللغة العربية والترجمة، وتم فتح قسمين ومعهد، قسم اللغة العربية وقسم الترجمة ومعهد اللغات، وفي خطتنا الخمسية أن تفتح الدراسات العليا بتخريج الدفعة الأولى وتفتح كلية الدراسات الإسلامية.

اللغة العربية لغة مرنة مطواعة تتمتع بخصائص تؤهلها لمواكبة كل تطورات ومستجدات ومعطيات العصر الحديث كما أثبتت ذلك عبر العصور المتعاقبة فلم يفلح الأعداء والمغرضون في صدها عن أداء رسالتها، بل صمدت وستظل تصمد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، إن في ذلك لبلاغا لقوم عابدين. وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ سورة الأنبياء ١٠٥-١٠٧.

وأختم مقالي هذا بروائع حافظ إبراهيم في الدفاع عن اللغة العربية:

رجَعْتُ لنفْسِي فاتَّهمتُ حَصاتِي ... وناديْتُ قَوْمِي فاحْتَسَبْتُ حياتِي

فيا وَيحَكُم أبلى وتَبلى مَحاسِني ... ومنْكمْ وإنْ عَزَّ الدّواءُ أساتِي

إلى مَعشَرِ الكُتّابِ والجَمعُ حافِلٌ ... بَسَطْتُ رجائِي بَعدَ بَسْطِ شَكاتِي



رؤيتي وخبراتي على طريق تعلم اللغة العربية وتعليمها خلال ستين عاماً في نيجيريا وخارجها

أ.د عبد الرزاق ديريمي أبوبكر - نيجيريا

أستاذ بلاغة القرآن للدراسات العليا بقسم اللغة العربية بجامعة إلورن
والمدير الأسبق لجامعة الحكمة

- حصل على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة لندن عام ١٩٨٠م.
- رئيس الجمعية النيجيرية لدراسة الأديان ١٩٨٧-١٩٩٣م.
- رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في نيجيريا.
- رئيس مجلس إدارة كلية التربية في ولاية أويو، نيجيريا ١٩٨٦-١٩٨٩م.
- عميد كلية الآداب، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا ٢٠٠١-٢٠٠٣م.

بدأت تعلم اللغة العربية من والدي الشيخ حمزة أبوبكر منذ نعومة أظفاري، وواصلتها في المرحلة الابتدائية الحكومية الانجليزية كدرس إضافي بين ١٩٥٥-١٩٦٠م، ثم التحقت بمركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي على مؤسسه الشيخ آدم عبد الله الإلوري (١٩١٧-١٩٩٢م) أزكى تحيات وسلامات من الله الرب الغفور.

الدافع الأصيل هو حبي للغة العربية ورغبتي أنا ووالدي في إتقانها للغرض الأساسي ألا فهو فهم الدين الإسلامي أصوله وفروعه وودي العميق من بادئ ذي بدء في الجمع بين إتقانها وإتقان اللغتين الانجليزية واليوربوية. وإنه لمن اعتقادنا-أنا ووالدي-أنه لا يمكن للعبد أن يقدر الخالق حق قدره بدون إتقان اللغة العربية خصوصا بلاغتها التي بها تعرف حقائق التنزيل ومزاياه فبتلك النية بدأت تعلم اللغة العربية لوجهه الكريم.

وقد استغرق تعلم اللغة العربية من البدء حتى الإتقان سبع سنين بالنظر إلى المستوى الثانويّ وتليه السنوات في المراحل الجامعية إلى حصولي على الدكتوراه. قضيت أربع سنوات بالمركز المذكور أعلاه حيث تخرّجت بتقدير ممتاز، وسنتين بجامعة إبادن، نيجيريا للحصول على الشهادة الجامعية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية بتقدير ممتاز، وثلاث سنوات للحصول على الليسانس في اللغة العربية وآدابها بجامعة إبادن بتقدير ممتاز، وأتممت الدراسة بجامعة لندن بالحصول على الدكتوراه في الأدب العربي بعد ثلاث سنوات عام ١٩٨٠م بدون الاحتياج إلى الحصول على الماجستير قبله بفضل تقدير الامتياز الذي نلته في الليسانس.

وأما الطريقة التي تعلمت بها اللغة العربية فمبلغ التعلم الموجود في المرحلة الابتدائية الانجليزية الحكومية محدود قصير جدّا بالمقارنة مع مدى الأوقات الموضوعة للمواد الأخرى دون العربية والدراسات الإسلامية؛ الأمر الذي جعل

التلميذ الخريج من هذه المرحلة يشبه المسافر لا أرض قطع ولا ظهر أبقى. فمن ذلك ألحقني والدي بمركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي؛ المدرسة النظامية لها المراحل الإعدادية والتوجيهية؛ حيث وضع التلاميذ في مجموعة واحدة تناسب أعمارهم ومستواهم في الفهم والمدارك. واتفقت طريقة التدريس فيها بالموجودة في بلاد العرب من حيث المنهج وكتب المقررات وإسهام المبعوثين الأزهريّين والآخرين من المدارس الأجانب العرب منهم والأفارقة في تعليم العربية. كان نظام الفصول الدراسية ينسجم مع الموجود في المدارس الحكومية الثانوية من حيث تحديد المدة الدراسية ووجود الملابس الخاصة للطلبة والطالبات. وبناء الرواق للطلبة مع أثاثات السكن الحديثة. فمن وسائل التعليم وجود السبورة الواسعة للتدريس، ومنها إعلانات مفيدة على جدران المدرسة. أما في رحاب الجامعة بإبادن ولندن فالامتياز في تقسيم المراحل وتنظيم الصفوف واختيار المناهج والمواد على المستوى الدولي والأساتذة المشتغلة فيها أكفاء مع الخبرات العلمية والعملية والإنتاجات الأكاديمية العولمية، وكان تفاعل الطلاب في جميع المراحل مع دروس اللغة العربية إيجابية بفخر واعتزاز؛ لأن صوت النطق العربي رنان والأغلبية الساحقة من السكان مسلمون يقدرون جهود الطلاب في تعلم لغة القرآن ولغة الرسول ولغة أهل الجنة في الجنة.

وكان أبرز الصعوبات التي واجهتها واقعا عند المرحلة قبل المرحلة الجامعية وهو الفقر والفاقة؛ لأن الدراسة آنذاك لم تضع للطلبة مجال الاغتنام بالمنحة الدراسية رغم أني تخرجت منها بالدرجة الممتازة ، وكان والدي رحمه الله تاجرا كان يقطع الفيافي في تجارته من الجنوب الغربي في نيجيريا إلى الشمال، وقد يستغرق رحلاته غالبا عدة شهور قبل العودة إلى الوطن الحنون؛ الأمر الذي جعلني غالبا منقطعا من الفلوس. أما المواقف الطريفة التي مرت عليّ أثناء جولاتي في طلب علم اللغة العربية في بقاع العالم فأبرزها حصولي على المنحة الدراسية والتمويل الأكاديمي في جميع أيامي

الجامعية في نيجيريا وإنجلترا وزيارتي إلى ألمانيا مرات فمرات، ويوم حصلت على الدكتوراه في لندن ويوم قدمت المقالة بعنوان» التعليم العربي في الجامعات النيجيرية عامة وبلاد اليوربا خاصة» في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية؛ وذلك على حساب المملكة الخاص، ويوم ألقيت المقالة حول تنظيم الحجّ في ندوة الحج الكبرى عام ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦م ونشرت الجرائد وعدة وسائل الإعلام آرائي واقتراحاتي وصور شخصيتي المتواضعة، ويوم رشحت مديرا لجامعة الحكمة جامعة إسلامية خاصة والدراسة العربية راسخة فيها، ويوم عينت مفوضا للحكومة النيجيرية الفدرالية لمفوضة الشكاوى، وأيام إشرافي على أكثر من خمسين رسالة علمية للماجستير والدكتوراه، وأيام لقائي مع الطلاب للمناقشة بصفتي ممتحنًا خارجيّا للطلاب في جامعات أخرى في نيجيريا وخارجها.

قد اتّضح جليا مما سبق أن إتقاني للغة العربية قد أثر عليّ تأثيرا مفيدا مفتخرا به ومسرورا عليه، ولا تكون مشاعري بعد إتقان اللغة العربية إلا الاغتباط والشكر للمولى الجدير بالشكر كلّه؛ ولولاه لما أدرك أسرار البلاغة الكامنة في التنزيل الحكيم والأحاديث النبوية، ولا يتاح لي فرصة الدراسات التقابلية بين هذه اللغة واللغات العجمى.

وأما مقارنة تجربتي في تعلم اللغة العربية وتعلم اللغتين الإنجليزية واليوباوية فأقول إن تعلم اللغة العربية أصعب من تعلم اللغتين اليوباوية والإنجليزية بالذات وبالكيف، إنه لمعلوم أن اللغة العربية بحروفها المطبقة حيث تجد أن التاء كالطاء إلا أن الطاء مطبقة، والدال كالضاد إلا أن الضاد مطبقة، والذال كالظاء إلا أن الظاء مطبقة، والسين كالصاد إلا أن الصاد مطبقة، والعين والغين نادرتان وجودهما في اللغات غير العربية. ويضاف إلى تلك تغيّر حركاتها على الأسماء والأفعال وتناسب الحروف في الإيصال بين أجزاء الكلام وقواعدها الراسخة وعروضها الموسيقى وقوافيها

بحدودها وأسماؤها وحركاتها وعيوبها لما جعل اللغة العربية أثقل أن تحمل وأوسع أن يحاط بها. لكن هذه الواقعة أصبحت غنيمة لي عند ما أدرس اللغة اليوربوية لغة الأم بالنسبة لي واللغة الانجليزية-اللغة الرسمية- كشيء من التراث الاستعماري في هذه البلاد. فأصبحت -والحمد لله- أتقن اللغتين فوق بعض المتخصصين فيهما في المجامع الأكاديمية. وأشد إتقاناً من بعض المراهقين لهما؛ الأمر الذي جعلني مستعدا للاندماج في خدمة الوطن والدين واللغة ونيل الحقوق المسروقة من المسلمين، فباللغة الإنجليزية نشرت أكثر من سبعين بحثا علميًّا محكمًا في المجلات والدوريات المتخصّصة عن المسائل الإسلامية والقضايا العربية لغة وأدبا ومن المؤلفات: نظرات في البلاغة العربية: البيان العربي ١٩٨٩م، الأبعاد اللغوية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليوربوية منشور بألمانيا والولاية المتحدة الأمريكية وسويسرا عام ١٩٨٦م، الأدب الأفريقي العربي ١٩٩٥م، نموّ العربية في مناخ صعب ٢٠٠٢م، وجوه التفاعل بين الثقافة العربية واليوربوية في جنوب نيجيريا الغربي عام ٢٠٠٤م ولها فوق ست مائة صفحة، هذا بالإضافة إلى إنتاجاتي الأدبية واللغوية الأخرى المكتوبة باللغة العربية النشورة في المجلات العلمية المحكمة.

وكذلك تساعدني تلك الخلفية الطيبة في اللغات الثلاث أن أكون رئيسا للجنة المكوّنة قبل سنتين لإنعام النظر في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا العمل الذي قام به عدد من عيون العلماء في هذه البقعة من الأرض أمثال: الشيخ آدم عبد الله الإلوريّ (١٩١٧-١٩٩٢م)، والشيخ كمال الدين الأدبي(١٩٠٥-٢٠٠٥م)، والشيخ برهان الدين السنوسي وغيرهم؛ ذلك على نفقة الملك فيصل بن عبد العزيز طبعا ونشرا مجانا في العقود الثلاثة في آخر القرن العشرين الميلاديّ.

وفيما يتعلق بواقع تعليم اللغة العربية في نيجيريا فإن الصراع الدائم بين اللغة العربية والإنجليزية ما زال الاستعمار وخلفاؤه المبشرون المسيحيون يوقدون نار

العداوة والبغضاء بينهم وبين المسلمين ويدعمون تلك الحرب بفضول أموالهم. فأكثرية الكاثرة من السلف والخلف اعترفوا بفضل العربية على الانجليزية؛ لكنّ الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي جعل بعض المسلمين يؤثرون اللغة الانجليزية لجلب الفوائد الاقتصادية والسياسية. وعلى وجه المثال فإن الجامعات الفدرالية الموجودة في ربوع نيجيريا والتي أسسها الولايات في مناطق المسلمين يدرسون اللغة العربية والدراسات الإسلامية؛ لكنه قليل ما هم بالنسبة إلى الجامعات في الولايات المسيحية حيث لا ذكر للعربية ولا الإسلامية في مناهجهم الدراسية مع أنه واجب محتم على الجامعات في الأراضي المسلمة أن تدرس معظم دروسهم باللغة الانجليزية. فإضافة إلى هذا الجور فإن الجامعات الخاصة دون الحكومة الفيدرالية أو الولاية تسعون من الألف منها مؤسسوها مسيحيون فلا مجال لتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية فيها.

فهذا الأمر مندرج من المرحلة الثانوية حيث تدرس جميع المواد باللغة الانجليزية حتى الدراسات الإسلامية وإلى الحد الأوفر اللغة العربية؛ ومن أجل ذلك أسس المسلمون الغيورون على دينهم المدارس العربية محضا أمثال: ملك كنو ومن شاركهم من الملوك وأسسوا مدرسة العربية والدراسات الإسلامية الشرعية ١٩٣٤م بكنو، والشيخ أحمد مصطفى أويلنجى المشهور بألفا زاكي (١٨٩٧-١٩٦٨م) ١٩٢٠م بلاغوس، والشيخ كمال الدين الأدبي بإلورن(١٩٠٥-٢٠٠٥م) ١٩٤٥م، والشيخ آدم عبد الله الإلوري(١٩١٧-١٩٩٢م) أعلم وأبرز علماء غرب أفريقيا في القرن العشرين علما وأدبا وتأديبا ونشرا للتراث العربي في ربوع العالم الذي أسس مركز التعليم العربي الإسلامي أغيغي ١٩٥٢م.

والآن لقد نال المسلمون حقوقهم من الحكومة الفدرالية اختيار المناهج والمواد التي تدرس باللغة العربية مما يتضمن جميع المواد الموجودة في المرحلة الثانوية، وكانت

شهادة الناجحين منها مقبولة للاشتغال في الأعمال الحكومية وغيرها وكما هي مقبولة للالتحاق بالكليات والجامعات للتقدم في التعلم. حصلنا على هذا الاعتراف نتيجة لأعمال الزعيم أحمد بلو الشهيد رئيس الوزراء في شمال نيجيريا أيام الديمقرطية الأولى في نيجيريا الذي شجع تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية تحت سيطرته وحركات العلماء الحساسة شمالا وجنوبا في بناء المدارس العربية والإسلامية في البلاد، والشهادة الثانوية العربية والإسلامية تمنحها الهيئة الأهلية للغة العربية والدراسات الإسلامية NBAIS وأنا عضو منها.

وأما أبرز التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية في نيجيريا فقد كان المسلمون من البداية إلى الأمس على سلوكهم كما أمرهم الله جلت قدرته، يتعاونون على البر والتقوى؛ فمن أجل ذلك نجد النتائج من حيث تمويل الإخوان المؤمنين على سبيل تطور اللغة العربية التي بها تتبيّن حقائق التنزيل وتفهم الشريعة أصولا وفروعا يبنون المساجد والمدارس والمعاهد والكليات والجامعات في سائر بلاد المسلمين عامة وأفريقيا المسلمة خاصة.

ولكن قبل انتهاء القرن السابق وبداية القرن اللاحق به حتى الوقت الراهن اشتعلت نار الإرهاب على سفينة العولمة حيث الحكومات المسيطرة الأمريكية والأوروبية مع غيرتها المسيحية، يجعلون كل عمل خيري نحو الإسلام والمسلمين ولغة القرآن والحديث دعما للإرهاب، فنتيجة تلك الخطورة أن التقهقر والرجعية تحلفان الحركات في تطوير تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في هذه الديار.

وعلى وجه المثال أنا وبعض الإخوة الشباب المسلمين العاملين أتينا فكرة بإذن الله فكرة إنشاء جامعة إسلامية خاصة؛ حيث تنال اللغة العربية والدراسات الإسلامية نصيب الأسد في منهجها واتجاهها، وتقع هذه الجامعة في مدينة إيوو ولاية أوشن في أوساط جنوب نيجيريا الغربية. ولقد وصلت مباني للكليات والفصول والمسجد

وسكن الطلاب والطالبات إلى ستين في المائة تقريبا؛ ولكن الفتنة الاقتصادية التي دامت لدى الحكومة النيجيرية وأفرادها سبب وقوف العمل على المشروع وعدد الطلاب والطالبات الراغبين الإلحاق بالجامعات يزداد عاما تلو آخر، ولولا الخوف من جواسيس الإرهاب لوجدنا من يدعّم هذا العمل الخيري للجيل الناشئ في المستقبل العاجل بإذن الله؛ لعل الله يجعل للمسلمين الأثرياء في العالم الإسلامي يلفتون أنظارهم إلى هذا المشروع حتى يكتب الله له النجاح.

وبإذن الله وبعونه أصبح مستقبل تعلم اللغة العربية في نيجيريا زاهرا حيث تشهد لها حركات حساسة من جهة التعليم والتثقيف وإسهامات مدرسي اللغة العربية وطلابها في عدة مؤتمرات وندوات وحلقات علمية متخصصة في أنحاء العالم الأكاديمي العربي كما ينظمون نفس الشيء في الجامعات النيجيرية و كلياتها التربوية يساهمون معهم زملاؤهم من جميع البلاد حيث توقر اللغة العربية. فبذلك التعاون وقع إصدار المجلات العربية المحكمة تنشر بحوثا علمية حول اللغة العربية وبالعربية؛ وذلك في نيجيريا وخارجها. والطلاب أحرار أن يكتبوا بحوثهم في جميع المراحل الجامعية إما للحصول على درجة الليسانس أو الماجستير أو الدكتوراه بلغة عربية سليمة. وبدأنا ندرس الشعر العربي الإسلامي من جديد إذا أمعنا النظر في الدواوين المنشودة من أقلام أبناء يوربا خاصة ونيجيريا عامة وأدوار الآخرين في ترجمات التراث العربي إلى الانجليزي والعكس من ذلك وكيف تفشو في البلاد مؤلفات في المسرحية هذه الأيام وقول الشعر العربي في كل مناسبة دينية أو اجتماعية والمناظرات الجارية فطرة بين الطلاب والطالبات باللغة العربية وسعادتهم على استعمالها في السيارات والأسواق والبيوت والدهاليز.

وأقترح في سبيل تعليم اللغة العربية في نيجيريا أن يعود الإخوان الأكفاء في الثروة إلى نيجيريا لتدعيم تعلم اللغة العربية وانتشار الإسلام كما لم يزل المدعمون المسيحيون

ينفقون كل غال ونفيس في سيطرة لغتهم وانتشار دينهم وثقافتهم. فجامعة عناية الله بمدينة إيوو المنتظرة المذكورة أعلاه بحاجة ملحة إلى نوعية هذه المساعدة. وكذلك علمنا أن هناك أرضا بمدينة بيجى بالقرب من كنو عاصمة ولاية كنو في شمال نيجيريا الغربي منحها الحاكم الأسبق الزعيم إبراهيم شكراه لإنشاء جامعة إسلامية خاصة، أدركت ذلك إذ كنت رئيس اللجنة المكوّنة في تدبير الجامعة وتنسيقها للقبول لدى المفوضة النيجيرية للجامعات، فإنه لما يساعد تطوير تعليم اللغة العربية في هذه البقاع من الأرض بالكثرة نيل التدعيم الماديّ من الذين يهمهم أمر الدين واللغة والثقافة والاجتماعية، وعلى الله قصد السبيل.

وختاماً لقد بدأت تعلم اللغة العربية ابتغاء وجه الله الكريم وقد أحسن الله سبحانه وتعالى بي إذ أتاح لي فرصة علم اللغة الانجليزية بالرغم بأني لم أدرس تلك اللغة في المرحلة الثانوية بل حصلت عليها بصناعة النفس، فلا مفرّ من فهم تلك اللغة إلى جانب اللغة العربية بدون العكوف عليها وليس بإفراغ معظم الأوقات عليها حتى تأكل العربية كما تأكل النار الحطب؛ لأنها لغة الدفاع عن اللغة العربية وبيان خصائصها ولغة نيل الحقوق من المواطنين الظالمين منهم.



حياتي مع اللغة العربية

د. عبد الكريم ديوباتي – جمهورية غينيا كوناكري

وزير الشؤون الإسلامية، والأمين العام للشؤون الدينية سابقاً،
ورئيس مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة –فرع غينيا.

- حصل على الدكتوراه من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.
- عمل سفيراً في الرياض، ومعتمداً لدى دول مجلس التعاون الخليجي، ومفوضاً لدى منظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي بجدة عام ١٩٩٨م – ٢٠٠٤م.
- عمل سفيراً في طهران ومعتمداً لدى دول أفغانستان، طاجكستان، باكستان، تركمنستان، أوزبكستان عام ٢٠٠٨ – ٢٠١٠ م.

الحمد لله مسبغ النعم، والصلاة والسلام على الرسول المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

فـقـد كانت الدنيا كلها في ظلام دامس، البقاءُ فيها للأقوى، والحـق فيها لصاحب المنعة، يحكمها قانون الغابة، فشاء الله - تعالى - تغيير الأحوال، وأن يبدل الخوفَ أمنا، والاضطـراب استـقـرارا، حتى يتمكن البشرُ من الوفاء بمتطلبات استخلافهم على هدى من الله وبصيرة، فبعث الله الأنبياء والرسل، وأنزل معهم الكتب يستقون منها الشرائع، وجاء الإسلام الخاتم لهذه الرسالات الربانية بالقرآن الكريم دستورا لهذا الدين، وجعل اللغة العربية وعاءً حاضنا لتعاليم دين الله المرتضى، واستجمعت هذه اللغة أساليب تعبيرية أخاذة ساحرة لم يتوافر مثلها لغيرها من لغات المعمورة.

فانطلقت اللغة العربية نحو الآفاق تنشر رسالةَ الإسلام، ولقد حل هذا الدين في بعض مناطق إفريقيا منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري، فدخل فيه السكان الأصليون أفواجا وجماعات؛ لما لمسوه فيه من أخلاق عظيمة، ومثالية في المعاملة، مع صدق السريرة، وذلك في تعاملاتهم مع التـجار والعـلماء المهاجـريـن إلى أطراف جنوب الصحراء الغربية، دعـاةً إلى الإسلام على هـدى وبصيـرة، فـتأسست المدارس النموذجية الملائمة لتلك البيئات في تلكم العصور، وظلت هذه الحلقاتُ والمراكز التعليمية تشهد إقبالا متزايداً جيلا بعـد جيل؛ تجسيداً لنهم العوام والخواص وشوقهم إلى معرفة دينهم، والإحاطة بعلومه، وما كان ليتسنى لهم ذلك إلا من خلال تعلم اللغة العربية، والتشرب من روافد آدابها، مع دوام النهل من معين معارفها، واتخاذها وسيلة إلى الثقة في الدين والتمكين في علوم الشـريعة؛ ابتغاء مرضاة الله، وأداءً لواجب التبليغ، فيا لهذه المنـى من مقاصد سامية، وأهداف متسمة بالنبل تكسب صاحبها سـعادة الدارين، وهذه غاية أمل المؤمـن الكيس.

وكان أسلاف الباحث يستحضرون في ذاكرتهم قصة نبي الله زكرياء وهو يناجي

ربه: ﴿رب إني خفت الموالي من ورائي﴾؛ لذا كانوا يهرولون بصغارهم إلى الكتاتيب لتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة، وهكذا بدأ الكاتب رحلته الدراسية.

ففي صباه تتلمذ على المشايخ في الكُتَّابِ، حيث كان التدريس بالكتابة على الألواح الخشبية (التعليم العتيق)، ثم أُلحق بالدراسة النظامية سلك التعليم العربي عن طريق المناهج القديمة، والتي كانت تأخذ بالإصلاحات التعليمية بالتدرج قدر المستطاع.

وكانت البداية صعبة تستوجب مصابرة وتحملا، فبيئة الدراسة في بلاد الكاتب لا تنتشر فيها اللغة العربية على نطاق واسع، وانما محيط استخدامها محدود بقاعات الدروس.

وقد كان قيد الكاتب بكتّاب القرية ترجمةً عن حب ذويه للإسلام على غرار كثيرين من أرباب الأسر والعائلات التي كانت تأمل أن يكون صغيرهم الناشئ ذا شأن رفيع في هذا الدين القيم، الصالح في كل عصر ومصر؛ لأنه دين الفطرة السوية، لا يشذ عن امتثال تعاليمه إلا غير الأسوياء، وكان نظام الاستكتاب آنذاك يستوجب إلحاق النشء بدار المعلم وإن نأت به الديار، وقاسى هنالك الأمرّين: ألم الفراق والحنين إلى الأهل، وألم التضور من الجوع على الرغم من وفرة الإمكانيات المادية عند أهالي البعض، والتغطية الشاملة لمتطلبات تتلمذهم من تموينات دورية، إلاّ أن قلة ذات اليد لدى أهالي بعض المنتسبين يجعلهم عالةً على ذوي الكفاية. لِمَ لاَ؟ ! وطعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يشبع جوع الثلاثة، وفق المنظور الشرعي يقول مثل سوداني: (بجاه الملوك نلوك).

وفور وصول الكاتب إلى دار المعلم عهد به الأخير إلى عريف يتولى كتابة لوحه، ويشرف على تصحيح قراءته ومن على شاكلته من المستجدين الصغار، وكان التسميع والاستظهار هما وسيلتي التبيّن لمدى استيعاب الدارس لما كان قد دُوِّنَ على

لوحه الخشبي.

أما عن أوقات الدراسة فقد كانت موزعة إلى فترتين:

أ- صباحاً عقب صلاة الصبح إلى الاسفار.

ب- وليلا من بعد صلاة المغرب إلى ما بعد صلاة العشاء.

وكان الجزاء المدرسي في الكتّاب هو عقوبة البلداء إلى وقت متأخر إلى أن يحفظوا مضامين حصصهم أو استنساخهم مضامين الألواح مرات عدة، ومن أَعَيَتْ معه الحِيَلُ فله العصا؛ لأنه ممّن عصى.

وكانوا يقرأون في ضوء النيران المتأججة بفعل الحطب الموقد لهذا الغرض، والذي يجمعونه من البراري والغابات، لكل طالب رُزمة.

كما كانت جداول أنشطة الأيام صباحية ومسائية:

أ- في الصباح فور الانتهاء من الألواح يتجهون إلى الحقول من غير فطور، حيث يظلون للحراسة وتنقية الزرع من الأعشاب الضارة، ومنع الحيوانات البرية من إلحاق التلف بالزرع، أو طرد الطيور آكلات الحبوب.

ب- بعد الصلاة الظهر يتناوبون على رعي الغنم [المواشي]، حيث يجمعون إلى جانب الرعي حطب القراءة، ولا يغيب عنا ما كان لبعض الأنبياء من شأن مع رعي الأغنام، فقد زاوله نبينا لأهل مكة لقاء قراريط، وداود عندما جاءه طالوت وجده يحمل على كتفه خروفا يجتاز به النهر، وموسى رعى الغنم لشعيب -عليهم السلام-.

أما عن الفطور فمنهم من يتناول النباتات البرية، وأحيانا ببعض الحيوانات البرية التي يصطادونها بواسطة كلاب الصيد المعلمة، أو الاستعانة بالفخاخ المنصوبة من ممراتها، ومن هذه الحيوانات: الأرانب، واليرابيع، والتيوس البراري، والقنافذ، والطيور.

وكانوا يستعملون شيئا من الملح والتوابل، وإذا حالفهم الحظ في يومهم هذا

عادوا محملين ببقايا فريستهم هدية لأولاد المعلم أو أزواجه، وكان من عادة أصحاب الكتاتيب أن يعهدوا بكل ملتحق صغير إلى إحدى أزواجه وصية عليه، ويكون تحت يدها ورهن إشارتها فيما يعنُّ لها من مأموريات تستنهضه لتنفيذها عند اقتضاء الحاجة لذلك.

وأما العشاء - وهو الوجبة الوحيدة في الأربع والعشرين ساعة على نفقة المعلم الكُتّابي، ولا يكاد يسد رمقهم- فإنهم يتناولونه قبل القراءة الليلية، أو عقب الفراغ منها، ومن فاته هذا الموعد اليتيم المترقب بفارغ الصبر بات على الضوء لا يغمض له جفن من شدة الجوع، وكانوا يتحلقون دائريا حون الصحون الحاوية للعشاء، تحت المراقبة الصارمة للعريف الذي يفرض نفسه رئيساً على مجموعته الصغيرة، يستعرض لقيماتهم، ويستنقصها كيفما يشاء، وأحيانا قد يدفع التلميذ الصغير جزءا من عشائه دَينا للعريف نظير تلقينه درسا فائتا عَسُرَ عليه حفظه، وأحيانا كانوا ينفضُّون من حول المائدة جياعا متخاصمين.

وبسبب هذه الظروف القاسية في الكتاتيب كان ينتهي المطاف ببعض المعسرين إلى ترك الكتاب (الهدر الكتاتيب) ولقد نجى الله الكاتب من ذلك المصير، وتُوّج مقامه هنالك بالنجاح.

وبعد أن أنهى الكاتب مرحلة الكُتَّاب، وقام والده بإخلاء طرفه بدفع وسداد المتعارف عليه حسب العادة، والاحتفاء العظيم بهذه المناسبة المنيفة، اصطحبه أبوه إلى مدينة كبرى؛ ليسجله في مدرستها العربية.

وتجدر الإشارة إلى أن البيئة الأولى التي احتكَّ بها الكاتب لم تك ملائمة للتحدث بالعربية؛ لرواج اللغات المحلية فيها، وحتى صاحب الكُتَّابِ لم يك مجيدًا للعربية تحدثا، وإنما كان يشرح بعض كتب الفقه، ويفسر الحديث والقرآن الكريم بطلاقة باللغة الأم، وأحيانا بلغات أخرى محلية.

أما في المدرسة فقد لاحت فيها بوادر تداول العربية، وإن كانت محصورة في البيئة المدرسية، ولقد شجعه ذلك على الإمساك بدفة التخاطب مع أقرانه ومدرسيه الذين كانوا يحبذون هذه المبادرات الشجاعة، وهذا سبب إجادته اللغة العربية نسبيًّا في المرحلة الابتدائية، على الرغم من كون مؤسساتنا التعليمية وقتذاك لا تتوفر على برامج ولا مقررات رسمية، بل كل ذلك كان متروكاً لتقديرات المعلم، فكل ما رآه حسنا مناسبا للمستوى ألقاه على تلامذته، وفي الغالب كان يحالفهم التوفيق في اختياراتهم تحت هيمنة العزلة والعجز عن توحيد المناهج، وكان ذلك سرَّ إعجاب مدرسينا العرب بنا بعد التحاقنا بمختلف الجامعات في الدول العربية، وتخرجنا كلنا أو جلنا في كلياتهم بامتياز، ولله الحمد أن جعلنا منافحين عن هذه اللغة.

ولإتقان اللغة العربية آثار وبصمات خيرة على حياة الباحث الشخصية والوظيفية، فشخصياً استشعر الرضا عن نفسه، وأحس بالتوازن والطمأنينة الروحية في كل ما يأتي أو يذر؛ لكـونه لا يصدر عملا إلا عن توجس من ارتياده، واقتناع بخيراته.

وأما وظيـفـيا فبفضل إتقان اللغة العربية تحدثا وكتابة تقلبتُ بين مناصب قيادية كثيرة في سلك التعليم العربي، أسماها مفتشية التعليم العربي الإسلامي، وقد قلدت زمام تسييرها سنين عدة بين عامي ١٩٨٨/ ١٩٩٨م.

وأما على الصعيد الـخـارجـي فدبلوماسياً كان الكاتب لهذه السطور أول سفير غيني متخرج في جامعة عربية، وهي الجامعة الإسلامية في المديـنـة المنورة، مـعـتـمـدا لـدى حكومة المملكة العربية السعودية، ولقد شهدت علاقات البلدين ازدهارا متعدد المجالات إبان مزاولـتـه مهام الـسفير بالبلاد المقدسـة والأقطار الواقعة في حيز امتداد نفوذه، أعني دول مجلس الـتـعاون الخليجي، ولنجاحه العظيم في دعم أواصر المودة والشراكة بين غينيا والمملكة العربية السعودية وهذه الدول، وارتأت جهات حكومية إصدار قــرار بتنصيبه وزيراً للشؤون الإسلامية في غينيا،

وكانت هــذه الهيـئـة أمـانـة عـامـة قـبل ذلــك، وهـكــذا كـان الكـاتـب مفتاحاً لإيصال دارسي اللغة العربية إلى ولوج السفارات والتمثيليات الدبلومـاسية للعديد من دارسي العربية، والناشطين في مراكـز قـيادية عـليا، تشرئب إليهم الاعناق، كالأستاذ محمود نبهاني شريف سفير في المملكة العربية السعودية، والأستاذ قطب سانو وزير مستشار العلاقات الدبلوماسية، والأستاذ الحسن كابا مستشار وزير الوظائف العمومية، والأستاذ علي جمال بنجورا الأمين العام للشؤون الدينية حاليا، والأستاذ عمر باري من كبار الموظفين، وهذا على سبـيـل المـثـال لا الحصر من موظفين حكوميين، أو لدى هيئات دولية.

وعليه فمشاعر منسوبي هذا التعليم هي مشاعر الفخر والاعتزاز بالبيئات التي يعيشون فيها أن اشتملوا على سلوكيات وآداب الإسلام، ولمستقبل تعليم اللغة العربية في البلد المحرر من خلال تجربته أمل واعد مستبشر إذا عملنا متعاونـيـن على إزالة العوائق، وإقالة الحواجز الموضوعة في الطريق.

وإلى الله أضرع أن يجعل مثوبة ذلك في ميزان حسنات كل من ساهم في تعليمنا في الصغر والكبر؛ لأن إخلاصهم وتفانيهم في العطاء والبذل كان سبباً في أن قيَّضَ الله منا من رفع هامة هذا الدين في محافل متعددة، ومكننا كذلك من التنقل في وظائف قيادية متعددة، نرفل بسببها في نعم الله وآلائه، ونسأله-تعالى- إتمامها علينا، وتوفيقنا لشكره حق الشكر، واستخدامنا في مرضاته وطاعتنا له في المنشط والمكره مقيمين وظاعنين.

وأما نظرة المجتمع للغة العربية فهي مما يزيد الطين بلة، حيث كان الناس في البداية ينظرون إلى اللغة العربية نظرة استهزاء؛ جراء مكايد الاستعمار والموالين لهم، وكانوا يكيلون التهـم للمنـتسبين إلى اللغة العربية بأنهم عديمو النـفع لمجتمعاتهم، ويحصرون أدوارهم في الإمامة بالمساجد لا غير، مستقلين حظهم في بقية مجالات

الاندماج الاجتماعي بإيجاب.

لكن الباحث ومن على شاكلته كانوا يأبون إلا أن يكون لهم شأن، ولهذا السلك التعليمي مردود إيجابي، الأمر الذي دفعهم إلى الادِّثار بالصبر، والتحلي بالعزم، فصاروا نشطاء ذوي استجابات واعدة في جميع المراحل التعليمية التي كانوا يخطون رحالهم فيها، فيتخطونها بنجاح باهر متميز.

وعليه غدت أنظار المجتمع إليهم تتغير من الازدراء إلى الاعتبار والتوقير، فاللغة العربية ليست وسيلة تواصل فحسب، لكنها فضلا عن ذلك لغة الدين الإسلامي الذي يدين به ٩٥٪ من سكان غينيا.

وما فتئ أعداء هذه اللغة يتحينون الفرص للانقضاض عليها، وإحالة تدريسها إلى خبر كان، فليموتوا بغيظهم، إن الله عليم بذات الصدور.

فهي اليوم تحتل المرتبة اللاحقة بعد الفرنسية في الطبقات المثقفة، والأولى بالنظر إلى كون الأغلبية الساحقة تدين بالإسلام، ولغته العربية وفي شعيرة الصلاة المقامة خمس مرات لكل مسلم ومسلمة كل يوم محل احتكاك لهم باللغة العربية.

ولما لها من حضور مشاهد في مستويات التعليم النظامي عامة، من الأساسي، مرورا بالإعدادي والثانوي، وصولا إلى الجامعة، مستوى التركيز الأول ثم الثاني، حتى الدكتوراه مستوى دراسات التخصص الدقيق.

ومع كل هذه الإنجازات الواعدة فهناك تحديات تواجه تعليم العربية في بلد الكاتب، أبرزها:

أ- قلة مؤسسات التعليم العربي.

ب- غياب الكتب المدرسية.

ج- انعدام مشروع التكوين المستمر لمدرسي هذا القطاع.

د- فقدان العناية من لدن الجهات المعنية بتوفير الدعم اللازم للنهوض باللغة

العربية؛ لتطوير طرق التدريس في هذه المرافق داخليًّا وخارجيًّا.

وريثما يتم التغلب على هذه التحديات المعرقلة فإن تعليم اللغة العربية يعيش حالة اضطراب يصعب تبين المواقف معها لرسم خطة محكمة للخروج به من عنق الزجاجة، بتطوير آليات التعليم في مؤسساته، وتوفير الوسائل المتطورة المواكبة لروح العصر، فيتحقق النهوض بالقطاع، وانتشاله من حضيض التقهقر والركود إلى مصاف التألق والإشعاع، وذلك من خلال إكسابه مقومات الديمومة المرنة والقابلة للتعايش في مواجهة المحاولات المستمرة لتقليص مساحة امتداد اللغة العربية على الصعيد العالمي، بهدف دفعها إلى انخفاض مرتبتها، وتدني حصيلتها، فإن لِلُّغَةَ العربية من مقومات الانتشار السريع، والاستحواذ على النفوس ما لا يتمتع به غيرها من سائر اللغات، ومما هو جلي للعيون الآن، في ضوء تحسن الصورة الذهنية اليوم عن وضع التعليم العربي في بلاد الكاتب؛ لما لمثقفي هذا القطاع من حظوة واعتبار عند العامة والخاصة جراء الاندماج الإيجابي والمساهمات القيمة في ميادين التنمية المستدامة والإصلاحات المتنوعة تحلية وتخلية عبر توعيات تربوية متكاملة الجوانب، وفق رؤى الدين الإسلامي المتنور، الذي جاء رحمة للعالمين أجمعين، فمن وفق من الرحمن للأخذ بتعاليمه والتمسك بإرشاداته نال الحظ الوافر في الحال والمآل.

وإنّ من أمارات فرض اللغة العربية نفسها على الساحة الغينية ما يأتي:

- استجلاب رؤوس الأموال العربية لاستثمارها في شتى أوجه المشاريع التنموية المستدامة، فيا حبذا لو استغلت هذه السوانح في خلق فرص عمل لمنسوبي هذا التعليم.

ولا يكون من قبيل اجترار اللفظ عن الحقيقة المؤسفة واللاذعة لموقف بعض العرب من لغتهم الأم مع ما ميزها الله به من خصائص ومقومات التطور وثروات

تعبيرية؛ لازدرائهم بدارسي هذه اللغة التي يعتز بها كل مسلم يخلص المحبة لله ولرسوله، فتجد سفهاءهم ببرود ولامبالاة، وأحيانا يعقّبون بصدق الله العظيم، بينما تراهم يبشون في وجه من يحيونهم بعبارة: Bonjourno, Good morning, Bonjour ويقبلونهم على الخدين والجبهة وحتى الشفاه؛ تعبيرا عن الغبطة والسرور.

ولتصحيح هذا الوضع المتردي يجب رد اعتبار هذه اللغة، وإيلاؤها ما ينبغي لها من اهتمام ورعاية؛ بالسهر على توفير وصياغة برامج ذات مُدخلات من شأنها إصلاح هذا القطاع، من خلال رسم أهداف وخارطة طريق تستحضر جميع من يلزم لمضاعفة الإقبال على هذه اللغة، سواء أكان ذلك لأهداف وظيفية مهنية، أو لأغراض تثقيفية علمية، وذلك عن طريق تعزيز الروابط والمعاهدات العلمية والثقافية بين العرب ودولنا، على أن تتمظهر مكاسب هذه الاتفاقيات فيما يأتي:

١- إنشاء مراكز ثقافية عربية في البلدان الصديقة.

٢- تشييد مكتبات عربية في هذه الدول.

٣- بناء مزيد من المدارس العربية، وتزويدها بالأثاث المدرسي المتطور؛ لمواكبة روح العصر، مع احترام سياسة وفلسفة المنظومات التربوية في الدول الحليفة، وخصوصيتها بما لا يكون فيه تعارض بينها وبين الإسلام، ولا يُنمُّ معها عن محاولة طمس الهوية.

٤- دعم مشاريع تأليف كتب مدرسية بالعربية تلائم بيئات الدارسين في مختلف المستويات والمراحل.

٥- متابعة وتقييم محطات تنفيذ هذه المشاريع.

٦- استقدام بعض منسوبي هذا القطاع على منح دراسية إلى المؤسسات والجامعات العربية؛ للاستئناس بخبراتها في مجال تطوير وإشاعة ونشر اللغة العربية.

٧- تنظيم دورات تدريبية مستمرة لمعلمي اللغة العربية؛ لتدارك ما يعتريهم من نقص حيالَ النهوض بهذا التعليم، ونفض ما علق به من تُهم الجمود وعدم مواكبة التكنولوجيا، وإفادتهم من علوم التربية المتسارعة الخطى، الأمر الذي يمكن معه مسايرة العولمة؛ لكن من منطلق منظور إسلامي مقرٍّ بمنطقية العمل للحظوة بخير الدارين ونعيم الحياتين.

هذا والحمد لله بدءاً وخاتمة؛ إذ بنعمته تتم الصالحات وتتوالى.

٨- أن نضع نصب أعيننا مكايد أعداء الإسلام، والتيقظ لما يحيكون في جنح الظلام من مؤامرات ناقمة علينا، ولو ابتسمت لنا شفاههم، وكشفوا لنا عن مهادنتهم؛ للاستغفال بقصد التغلغل في احتيال متقن التدبير عبر الثغور التي نرابط عندها، فالحذرَ الحذرَ، والانتباهَ والتيقظ، حتى لا يؤتينّ هذا الدينُ من ثغر أحد من المنتسبين إليه، فالرباطَ والسهر! ونحن أهل الحسنيين كلتيهما؛ شريطة إخلاصنا لله، وإتقاننا للعمل، والمصابرة عليه، فليست سبل الحياة ومنعطفاتها بمزدانة بالورود.

٩- دمج المؤسسات التعليمية بمراحلها المختلفة في علاقات زمالة وشراكة لمد جسور تبادل الخبرات فيما بينها.

١٠- تمكين الوافدين من الالتحاق بالكليات العلمية والتكنولوجية إلى جانب دراساتهم الشرعية؛ ليتيسر انخراطهم ومساهمتهم في جميع المشاريع التنموية، فتعم خيراتهم وخير الناس أنفعهم للناس.

ويتيسر ذلك بالتعاون المثمر والشراكة الصادقة بين الأطراف المعنية تمويلا وتنفيذاً.

اللغة العربية في ماليزيا : تجربتي معها

الأستاذ الدكتور عبد الله محمد زين - ماليزيا

مستشار الشؤون الإسلامية بمكتب رئيس الوزراء الماليزي،
ووزير الشؤون الإسلامية سابقاً.

- حصل على الدكتوراه من جامعة كينت في كانتربري (Canterbury) بإنجلترا في عام ١٩٨٦م.
- محاضر في اللغة العربية، وفي المواد الدينية من عام ١٩٧٧-١٩٩٣م.
- عميد كلية الدراسات الإسلامية خلال الفترة ١٩٩٨-١٩٩٩م.
- ونائب لمدير جامعة العلوم الإسلامية الماليزية في الفترة ٢٠٠١-٢٠٠٤م.
- عضو البرلمان لمنطقة بسوت (Besut) بولاية ترنجانو من عام ٢٠٠٤-٢٠١٣م.
- عيّن وزيراً للشؤون الإسلامية، ورئيساً اللجنة الدينية لحزب أمنو (UMNO) من عام ٢٠٠٤- ٢٠٠٩م.

كانت أول خطوة علمية يخطوها عبدالله هي التحاقه بمدرسة الاتفاقية الابتدائية الدينية، درس فيها أسس الدين الإسلامي، واللغة العربية، إلى جانب المواد الأخرى التي كانت تُدرَّس في أي مدرسة وطنية، بعدها انتقل إلى مدرسة السلطان زين العابدين الثانوية الدينية العالية بمدينة كوالا ترنجانو ليتخرج منها، وينال شهادته الثانوية.

لم يخطر ببال عبدالله أنه في يوم من الأيام سيدرس بجوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان حلماً بالنسبة له، يتمناه أن يتحقق، وذلك لبعد المسافة بين ماليزيا والمملكة العربية السعودية. لكن الله سبحانه وتعالى أكرمه ونعَّمه، وحقق له حلمه، ففي عام ١٩٦٨م، اِلتحق عبد الله بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فاجتهد فيها، وبذل ما بوسعه ليغتنم معارف أساتذة الجامعة وعلومهم في الدعوة وأصول الدين، ويستقي من بحر اللغة العربية كل ما طابت له نفسه استماعاً وقراءة ومحادثة وكتابة، وما هي إلّا سنوات معدودة قليلة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ونرى عبدالله محمد زين يتخرَّج منها حائزاً على شهادة الإجازة العالية في الدعوة وأصول الدين (مع مرتبة الشرف).

لم يقف الحال بهذا الشاب الطموح عند أبواب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ولم يكتفِ بشهادة الإجازة العالية (أو البكالوريوس) ليعود بها إلى وطنه وينهي القصة، بل قرَّر أن يواصل دراسته بجامعة الأزهر بالقاهرة، ففي المدينة المنورة قرر أن يستقي من علوم الدعوة وأصول الدين، بيْد أنه عندما عزم على المسير إلى القاهرة، قرر أن يتَّجه نحو علوم الشريعة الإسلامية، لتكتمل عنده مصادر الفقه والإفتاء وعلوم الدين، وبالفعل عمل فيما عزم عليه وخطط من أجله، وسار في دروب الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر لمدة سنة واحدة، ليتخرج منها حاملاً في يده شهادة الليسانس في الشريعة الإسلامية (مع مرتبة الشرف).

زادت طموحات عبدالله العلمية، وكيف لا، فالدرب الذي سار عليه لم يكن سهلاً، وتخطِّيه لنيل العلوم لم يكن مهلاً. فجاد فرسه في الأزهر الشريف ليكمل دراسته فيه وينال شهادة الماجستر في الدعوة والإرشاد وذلك في عام ١٩٧٣-١٩٧٤م. وعلى السَّبقِ نفسه، انتقل إلى جامعة عين شمس بالقاهرة لينال شهادة الدبلوم في التربية عام ١٩٧٥م. بعدها عاد إلى وطنه ليخدم فيها العلم وطلابه، لكنه بعد عشر سنوات قرر أن يواصل دراسته في جامعة كينت (KENT) في كانتربري (Canterbury) بإنجلترا في عام ١٩٨٦م، فمضى في رحاب العلم هناك أربع سنوات، حتى تخرَّج منها في عام ١٩٩٠م بشهادة الدكتوراه في الدعوة والتصوف.

وتعد اللغة العربية من أقدم اللغات على وجه الأرض، كما تعتبر هذه اللغة الشريفة من أكثر اللغات تحدثاً ونطقاً، ومن أكثر اللغات انتشاراً في العالم، وكيف لا وهي لغة عقيدة ودين، وحضارة وفكر، وقد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة ليشرفها ويُعْلي مكانتها إلى يوم الدين، إلى جانب هذا، فإن العربية لها باع طويل في مجالات الحياة المختلفة سواء كانت ثقافياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً، فالمجتمع الدولي يقدِّر هذه اللغة حق تقدير، ويجعلها نافذة يطل المرء منها إلى الحضارة الإنسانية وثقافتها.

وعندما نتطرق إلى الحديث عن اللغة العربية في ماليزيا، فإن المجتمع الماليزي بأسره، بسلاطينها وملوكها وحكومتها وشعبها، يجعلون لها مكانة خاصة، ومنزلة عالية، فهي لغة الدين الذي تعتنقها الدولة، وقد اختصَّت هذه المكانة عند الماليزيين منذ القديم حين عبر التجار العرب المسلمون آلاف الأميال في دعوة العالمين إلى الإسلام، فأول وصول لهم إلى ماليزيا كان في القرن الخامس الهجري عندما رَسَتْ بواخرهم على ساحل ولاية ملقا (Melaka)، هذه الولاية التي كانت تعتبر إمبراطورية المنطقة في ذلك العصر، فقد كانت (ملقا) تسيطر على السواحل الغربية

لشبه جزيرة الملايو (شبه جزيرة ماليزيا) وسواحل سومطرة المواجهة لمضيق ملقا (Melaka Strait)، ولكن عندما جاء الإسلام إلى أراضي هذا الأرخبيل، لم يتوانَ سلاطين ملقا في قبول هذا الدين واعتناقه، فدخلوا في الإسلام، وقاموا بأنفسهم لدعوة الشعب إلى الاعتناق بهذا الدين الذي دخل قلوبهم ورضوا به من أوَّل وهلة، فكانت هذه هي نقطة البداية لدخول اللغة العربية إلى ماليزيا، وتعليمها، لأنها لغة دينهم الجديد، ولا تتم العبادات إلا بها.

بدأت الكتابة بالحروف العربية فى القرن الثالث عشر الميلادي، وبدأت كتابة اللغة الملايوية (الماليزية) بالحروف العربية وأطلق عليها (جاوى) أي كتابة اللغة الملايوية (الماليزية) بالحروف العربية مع زيادة بعض الحروف الجديدة فيها مثل» ݢ» (ga) الجيم المصرية، «ڽ « (nya)، « چ» (cha)، «ڠ» (nga)، لتكون موائمة لمتطلبات اللغة الملايوية (الماليزية)، وعلى إثر هذه النهضة الابتدائية للغة الماليزية، والتي صاحبتها تواجد اللغة العربية تحت مظلة واحدة، أقبل العلماء الملايويون بماليزيا خاصة، وفى منطقة جنوب شرق آسيا عامة، على تعلم اللغة العربية، فاجتهدوا في الإجادة فيها ليعلموها أبناءهم وأبناء شعوبهم، بل إنهم أرسلوا أبناءهم ليحتذوا بنهجهم، ويقتدوا بدربهم. من جهة أخرى، قامت الحكومة لتلبي طلب شعبها، وتشاركهم جهودهم واجتهادهم، فأسست المدارس والمراكز التعليمية لتعليم اللغة العربية. وما أن تمر الأيام والشهور إلّا ونرى الناس، من كل الفئات والطبقات، يقبلون بلهفة على تعلم اللغة العربية بدافع ذاتي يبتغون به وجه الله سبحانه وتعالى.

أدَّت هذه الجهود والمثابرة التي أظهرتها الحكومة على شعبها إلى فتح بوابة السّبْق لمن يرغب في طلب علوم العربية أو مواصلة الدراسة في جامعات الدول العربية ومؤسساتها التعليمية، فتسابق أبناء الشعب الملايوي في حمل أمتعتهم على أكتافهم والرحيل في طلب العلم. فخرجوا أفواجاً إلى مختلف الدول العربية للالتحاق

بجامعاتها، فمنهم من ذهب إلى الأزهر الشريف، ليستقي من علوم شيوخه وعلمائه، ومنهم من طابت له نفسه أن يدرس بالقرب من أحد الحرمين إما مكة المكرمة أو المدينة المنورة، وهناك من نال حظاً في إحدى جامعات الأردن أو السودان، بل وصل أبناء ماليزيا إلى أقصى غرب أفريقيا طلباً للغة العربية، فطلبوا علوم اللغة العربية، ومنهم من أطال في طلبها، لكنهم في الأخير عادوا إلى أوطانهم غانمين ومبشرين ومستبشرين، خدماً للعربية ولطلابها. عادوا أساتذة في الجامعات المحلية، وفي القيادات الحكومية، وأيضاً في مختلف مؤسسات الدولة، ولا تزال هذه البعثات مستمرة إلى يومنا الحالي.

وأما مشواري في تعلم اللغة العربية حتى الاتقان فقد كانت أول خطوة أخطوها في سبيل العلم وطلبه تلك التي دخلت بها المدرسة الابتدائية الوطنية بادغ لواس (Padang Luas) بولاية ترنجانو عام ١٩٥٤م، مكثت فيها ست سنوات، أي حتى عام ١٩٥٨م، وتلقيت علومها من الأول الابتدائي حتى السادس الابتدائي، بيْد أن هذه السنوات كانت سنوات تعليم باللغة الملايوية، لم أدرس فيها اللغة العربية. ولكن شاء القدر أن انتقل إلى مدرسة الاتفاقية الابتدائية العربية الدينية، بمنطقة جرتيه (Jerteh) بولاية ترنجانو أيضاً، وهناك وجدت اللغة العربية تستقبلني على موعد لم يسبق لنا أنْ تواعدنا، ففي هذه المدرسة توجد مواد ومقررات باللغة العربية، درستها وتعلَّمتها لمدة أربع سنوات، ١٩٥٩-١٩٦٢م، من هنا بدأت اللغة العربية تأخذ حيزاً كبيراً في خاطري، وبدأتْ قصَّتي معها، فقد كنت أحس بحلاوة هذا اللغة الجميلة عندما تبدأ عيني بقراءة كلماتها وجملها، أو تحاول يدي كتابتها، أو حتى حين تسمع أذني بعض مقالاتها، مع أنني كنت لا أسمع العربية إلّا في النادر، ومع ذلك كان ينتابني إحساس بالرغبة الحقيقية في اكتساب هذه اللغة كلاماً وقراءة وكتابة، فكانت هذه هي منطلق خبرتي مع اللغة العربية واكتسابه، والتي سأفنِّد القول عنها

في السطور الآتية.

انتقلت بعد مدرسة الاتفاقية الابتدائية العربية الدينية إلى مدرسة السلطان زين العابدين الثانوية الدينية العربية العالية بمدينة كوالاترنجانو، وواصلت رحلتي العلمية العربية فيها فى عام ١٩٦٣حتى ١٩٦٦م. هنا، وفي هذه المدرسة المباركة اِزداد حبي للعربية، واتسعت رغبتي في اكتسابها والتمكُّن منها، فعزمت على أن أدرسها وأدرسها حتى لو اضطررت أن أهاجر إليها في بلدانها، وكان ربي كريماً علي، فقد أكرمني وحقق لي أملي، ففي عام ١٩٦٨م جاءني الابتعاث إلى المدينة المنورة لألتحق بالجامعة الإسلامية فيها، وها هي أولى خطواتي في المرحلة الجامعية.

درست الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على أيدي كبار أساتذتها وعلمائها، واجتهدت معهم لمدة أربع سنوات، ما أفتر من فيض علومهم وآرائهم، وما أشبع من كلامهم وأحاديثهم، حتى تخرجت منها حاملاً في يدي الإجازة العالية في الدعوة وأصول الدين (مع مرتبة الشرف) عام ١٩٧٢م، وفي السنة نفسها، التحقت مباشرة بجامعة الأزهر بالقاهرة لأواصل دراستي في الشريعة الإسلامية، وحصلت على شهادة الليسانس في الشريعة الإسلامية (مع مرتبة الشرف).

لقد كانت هذه السنوات الخمس مفتاح خير لي، فتحت به للغة العربية أبواب عقلي وفكري، وأبواب وجداني ومشاعري، لأملأ بها روحي وكياني، فعزمت بكل ما بوسعي من قوة وجهد واجتهاد أن أكسبها وأكتسبها، فلم أتردد لحظة واحدة في مواصلة دراستي باللغة العربية، مع أني تخصصت في العلوم الدينية من دعوة وأصول الدين والشريعة الإسلامية، بيْد أنني طلبت هذه العلوم كلها باللغة العربية، وقد كان بوسعي أن أطلبها باللغة الماليزية. لكن حبي للغة العربية، وانجذابي لها، كان أقوى من أن أفكر في التنحّي عنها، أو يجول في خاطري أنها لغة صعبة ومعقَّدة. من أجل هذا، واصلت دراستي في مرحلة الماجستير في الأزهر الشريف، وطلبت منه العلوم في

الدعوة والإرشاد، وباللغة العربية.

وكان وعد ربي حقا، ولكل امرئ ما كسبت يداه. نعم، لقد طلبت العلم والدين والعقيدة، طلبتها جميعها باللغة العربية، طلبتها من حرم المدينة المنورة، ثم من حرم الأزهر الشريف، طلبتها بكل ما تحمله الكلمة من معنى الإخلاص والحب، وبذلت فيها ما طاب لي خاطري، فوفقني الله سبحانه وتعالى في عام ١٩٧٤م حائزاً وفائزاً وفخوراً بشهادة الماجستير في الدعوة والإرشاد.

لم تفتر همتي عن اللغة العربية بعد هذا الجهد الجهيد، بل ازداد تعلقي بها وبطبيعتها، فاتجهت إلى جامعة عين شمس - من القاهرة إلى القاهرة أيضاً - لأدرس فيها دبلوم التربية، وصِرْتُ إلى ما صرتُ إليه، وحصلت على الدبلوم بعد سنة واحدة من الدراسة، ثم عدْتُ إلى وطني، ومن ثم التحقت بالميدان العملي، لأخدم وطني وشعبي وأمة الإسلام هناك بما أكرمني ربي من علم نافع مبارك للدنيا والآخرة، وفي خلال عشر سنوات من الخدمة في المجال التعليمي، اشتاقت نفسي إلى الكتب والدراسة والمكتبة والبحث والقراءة، عندئذ، لـم أتردد في تلبية ما طلبته نفسي ومشاعري من طلب العلم والاستمرار في طلبه، فقررت أن أكمل دراستي إلى مرحلة الدكتوراه، فجاءني العزم والإصرار، وشد الرحال، إلى جامعة كِنْتْ (Kent) في كانْتِبْري (Canterbury) إنجلترا، وبدأت أقلامي وكراريسي عملها في عام ١٩٨٦م، واشتغلت وأشغلت نفسي بالعلم وطلبه، قارئاً وباحثاً وكاتباً، أصبح وأمسي من كتاب إلى كتاب، حتى وفقني الله في عام ١٩٩٠م، لأنال شهادة الدكتوراه في الدعوة والتصوف.

لقد أحببت اللغة العربية من صغري، وسعيت جاهداً مجتهداً لأصبح أهلاً لها، فكل ما ذكرته في السطور السابقة كانت حياتي العلمية مع حبيبتي اللغة العربية، ولكن، ماهي حياتي العملية معها؟ هل كان لها دور في حياتي العملية؟ هل كانت

تصاحبني في مهماتي ومسؤولياتي؟ أم تركتها بين دفوف المؤلفات ورفوف المكتبات؟

والحقيقة أنّ اللغة العربية لم تفارقني أبداً، حتى في عملي كنت أصطحبها، فبعد رجوعي من القاهرة، من جامعة عين شمس عام ١٩٧٥م، التحقت بهيئة تدريس اللغة العربية، والمواد الدينية. اشتغلت في هذه الوظيفة في المعهد الإسلامي بمدينة كلانغ (Klang) بولاية سلانجور ما بين الفترة ١٩٧٦-١٩٧٧م، بعدها انتقلت إلى الجامعة الوطنية الماليزية، واشتغلت فيها محاضراً في اللغة العربية، وفي المواد الدينية من عام ١٩٧٧-١٩٩٣، وكانت هذه الفترة هي المحرك الذي دفعني إلى مواصلة دراستي وحصولي على الدكتوراه، فقد كنت أتلذَّذُ بحلاوتها وأنا ألقي محاضراتي للطلبة، وما وجدت نفسي إلّا وأنا عازم على طلب العلم وتعليمه باللغة العربية.

اشتغلت وعُيِّنْتُ بكذا منصب وأنا في الجامعة الوطنية الماليزية، فخدمتي فيها أخذت عدة عقود، بدأت فيها محاضراً، ثم رئيساً لقسم دراسات الدعوة والقيادة في ١٩٩١-١٩٩٧م، وفي هذه الفترة حصلت على أستاذ مشارك، وكان ذلك في عام ١٩٩٣م، ثم جلست على كرسي عمادة كلية الدراسات الإسلامية خلال الفترة ١٩٩٨-١٩٩٩ ميلادية، وفي عام٢٠٠٠م، حصلت على الأستاذية.

وانتدبت في السنة نفسها لإنشاء كلية جامعة العلوم الإسلامية الماليزية(Kolej Universiti Islam Malaysia)، والتي تعرف الآن بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM)، وعلى إثر إنشاء الجامعة المذكورة، تمَّ تعييني أستاذاً ونائباً لمدير الجامعة في الفترة ٢٠٠١-٢٠٠٤م.

اتَّجهت قبلتي في عام ٢٠٠٤م إلى المجال السياسي، فكان لي حظٌ في بعض المقاعد المهمة، حيث جلست على مقعد عضو البرلمان لمنطقة بسوت (Besut) بولاية ترنجانو من عام ٢٠٠٤-٢٠٠٨م، وهي الفترة الأولى، ثم على المقعد نفسه للفترة الثانية ٢٠٠٩-٢٠١٣م، وخلال الفترة الأولى جاء تعييني وزيراً للشئون الإسلامية،

ثم جاء تعييني في عضوية المجلس الأعلى لحزب أمنو (UMNO) وتولَّيْت منصب الرئاسة للجنة الدينية للحزب نفسه فرع ولاية ترنجانو من عام ٢٠٠٤- ٢٠٠٩م.

أمّا الآن فشغلي الشاغل هو مستشارٌ لمعالي رئيس الوزراء الماليزي في الشؤون الإسلامية، فقد بدأ عملي في هذا المنصب منذ عام ٢٠٠٩م، وحتى الآن، وفي الوقت نفسه فإنني أمثل رئيس المركز الماليزي للوسطية، حيث تم تعييني لهذه المهمة من بداية شهر ديسمبر ٢٠١٢م، ولا أزال أترأسه ليومنا هذا.

ولا شك أن معظم الناطقين بغير العربية – إن لم يكن كلهم – يواجهون صعوبات في تعلم اللغة العربية كلاماً وقراءة وكتابة، بل نجدهم يصرحون بصوت واحد بأن اللغة العربية صعبة، وقواعدها معقدة، وهذه حقيقة وجدتها في ماليزيا، ورأيتها، وعاشرتها خلال طول فترة التعليم من الابتدائية حتى الثانوية. ولعل أبرز الأسباب التي جعلت الطلبة يستصعبون اللغة العربية ما يلي:

١- اختلاف خلفية الطلبة، والفروق الفردية فيما بينهم في معرفتهم عن اللغة العربية تعلماً وتعليماً، وهذا الاختلاف كنت ألاحظه بوضوح بين الطلبة الذين يأتون من القرى والأرياف البعيدة وبين المدن، فشتّان بيت الفريقين من حيث البيئة المدرسية، والتسهيلات المعدة في مدارسهم، وكذلك من حيث كفاءة المعلمين وخبراتهم.

٢- ضعف كفاءة المدرسين الذين يدرسون اللغة العربية من حيث تمكنهم من اللغة العربية، وديناميكياتهم في توصيل اللغة بالصورة الصحيحة، بالإضافة إلى قلة خبراتهم في تعليم العربية، فمعظمهم – في ذلك الوقت – يدرِّس اللغة العربية باللغة الماليزية، وحبذا إن وجدنا مدرساً أو اثنين يتحدثون باللغة العربية، فستجد منه لغة عربية باللهجة المحلية، ولبضع دقائق من الحصة.

٣- جمود المناهج الدراسية التي كانت تستخدم. فقد كانت مناهجنا في ذلك

الوقت قديمة، قد غطاها الغبار منذ عقود ماضية، فهي بهذه الصورة لن تخلق حوافز وتشجيعات لدى الطلبة لقبولها أو حتى استقبالها، فهي مناهج غير ملائمة ولا تساير الطلبة في ذلك العصر، وهذا الركود الحاصل في المناهج دليل وافٍ على عدم وجود أبحاث جدية ودراسات عميقة مفصلة لتطوير مناهج مقررات اللغة العربية، وتنمية عملية التعليم والتعلم.

هناك أسباب أخرى، غير أنني أرى أن هذه الأسباب التي ذكرتها آنفاً هي التي جعلتني أبتكر لنفسي ديناميكية معينة في اكتساب اللغة العربية، إلى جانب أنني أحببت هذه اللغة الشريفة من طوع نفسي، ولعلي أبدأ من هذه النقطة لأفنّد القول عن تجربتي في اجتياز العقبات التي واجهتها أثناء تعلمي اللغة العربية، فقد ابتكرت لنفسي أحياناً منهجاً يلائمني اتّخذه في اكتسابي هذه اللغة الشريفة، وأحياناً آخراً أُصغي لنصائح أساتذتي وأصدقائي العرب، وفيما يلي تجاربي ومنهجي مع حبيبتي اللغة العربية.

أولاً: منهجي في فهم القواعد العربية واستيعابها.

كثير من زملائي في الفصل لا يفهمون قواعد اللغة العربية، فهم يرونها كثيرة ومعقَّدة وتختلف كثيراً عن قواعد لغتنا الماليزية، فهناك الفاعل المرفوع أحياناً بالضمة، وأحياناً بالواو، ثم ما يأتي مرفوعاً بالألف، وكذلك المفعول به، أو الحال أو التمييز، ومتى نستخدم الماضي والمضارع والأمر وغيرها، فالطلبة يتخوَّفون من الإعراب واشتقاق الكلمة من كلمة إلى أخرى ومن فعل إلى اسم إلى اسم فاعل إلى اسم مفعول وهلم جرا.

وقد كنت في بادئ الأمر أرى ما كانوا يروْنه، لكنني أدركت أن القضية تحتاج إلى قوة حفظ، وجديَّة في التطبيق، ومراجعة المعلم باستمرار، وفوق كل هذا، لابدّ من التخلُّص أولاً من شعور التخوُّف من الخطأ والخجل منه، فكنت أحفظ القواعد عن ظهر قلب، وأطبقها في كلامي البسيط، وأراجع معلمي لتصحيحي إن وَجدَ في

الخطأ، وكنت لا أخجل من طلب العلم، ولا أخجل من الخطأ عندما أتكلم باللغة العربية، بل كنت أُصغي لمن يقول لي: (هذا خطأ، والمفروض أن تقول كذا وكذا)، ولعل جُرْأتي أمام أصدقائي وزملائي، ورغبتي في اكتساب الكلام باللغة العربية بأي طريقة، جعلتني لا أخاف من التحدّث بالعربية مع أي شخص.

ثانياً: منهجي في كسب الثروة اللغوية:

لا يوجد من ينكر أن اللغة العربية لغة ثرية في مفرداتها، فكثرة الكلمات ومرادفتها ومترادفاتها تجعل الطالب الناطق بغير العربية، هذا الذي لا يعرف شيئاً عنها، يستصعب هذه اللغة، بل يبتعد عنها، ولا يستسيغها، والكثير من زملائي في الفصل كانوا ضعفاء في نطق بعض الكلمات العربية التي تُكْتَبُ برسم واحد مع اختلاف التشكيل مثل كلمة (خَلْقٌ - خُلُقٌ)، فيظنون أن الكلمتين بمعنى واحد، وهذا طبعاً مثال واحد من أمثلة لا حصر لها، لكنني لم أقف كما وقفوا عنده، بل أخذت قاموس المربي وحفظته، واستخدمت الكلمات التي أحفظها في جمل متعددة وبظروف مختلفة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فهذه الطريقة أكسبتني مفردات كثيرة، وعلَّمتني كيفية البحث عن معاني الكلمات في القاموس، بالإضافة إلى استخدام الكلام في جمل مفيدة بسيطة، وسِرْتُ على هذا المنهج طوال فترة تعلمي للغة العربية دون فتور ولا ملل. وللإحاطة، فإن معظم الطلبة لا يعرفون كيفية استخدام القاموس وكشف معاني الكلمة الواحدة، فإذا سألت أحدهم عن الفرق بين (خَلْقٌ - خُلُقٌ) - على سبيل المثال - لعلك لن تجد فيهم من يستطيع توضيحها وتبيان معانيها.

وكانت المدارس تفتقر إلى الجرائد والمجلات باللغة العربية، فلم تكن هذه الوسائل المساعدة لتعلم اللغة العربية متوفرة في ذلك الوقت، فتجد الطالب محبوساً في كتاب المقرر، لا جرائد تعينه على تزويد مفرداته، ولا قصص شعبية تمتِّعه في قراءاته، وهذه أيضاً كانت عقبة أمام الطلاب في تعلم اللغة العربية.

ثالثاً : منهجي في تقوية مهارة الكتابة وفهم الأساليب:

ربما كان لدى بعض الطلبة كلمات ومفردات لغوية كافية إلى حدٍ ما، لكن عقبة تكوين الجملة المفيدة لاتزال تقف أمامهم، وأغلب الظن في تحليل هذه القضية هو قلة معلوماتهم عن أسلوب التعبير، وكذلك ضعفهم في فهم قواعد اللغة العربية كما أسلفنا الإشارة إليه في موضع سابق. أضف إلى هذا، قلة الوسائل المعينة للقراءة من جرائد ومجلات وقصص شعبية قصيرة، فهذه كلها عناصر تقودهم إلى الوراء، وليس إلى الأمام، فتجد في جُمَلِهم تداخل الكلمات بعضها في بعض تكاد لا تفهم ما يريد قوله، ذلك لأنهم يحاولون تكوين الجملة العربية تبعاً للجملة الماليزية التي تدور في أذهانهم. وبقول آخر، إنهم يفكرون باللغة الماليزية ويكوِّنونها بالماليزية أيضاً، ثم يترجمونها إلى اللغة العربية، فيخرج الكلام منهم متشعِّباً، هيهات هيهات أن تفهم منها المضمون، إلاّ إذا أرجعتها إلى الماليزية من جديد.

وقد أدركت هذه القضية من بداية تعلم اللغة العربية، وعرفت أن منهج التعرف على أسلوب التعبير لا يتأتّى إلّا بالقراءة المستديمة المركَّزة، ثم تطبيق الأسلوب المقروء في عدة مواقف، فكنت أبحث عن أي قصة أو كتاب أو مادة باللغة العربية، ولا أستسلم لقلة الجرائد والقصص وأقف مكتوف الأيدي، بل كنت أبحث عن الكتب والقصص والمجلات العربية أينما كانت، فأقرأ منها، وأعيد القراءة، وأنقل ما أستجيده من أسلوب وأحفظه، ثم أقوم بتطبيقه وممارسته في كتاباتي المتواضعة.

أخذْتُ أطوِّر نفسي بمنهجي وطريقتي المتواضعة هذه في مرحلة الدراسة الثانوية إلى أن التحقت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. هنا، وفي هذه الجامعة المباركة، تعرفت على صديق عربي كان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تقدُّم أسلوبي في الكتابة والإنشاء، وكوَّنا مجموعة صغيرة من بعض الأصدقاء الآخرين، فأفدت منهم الكثير في تصحيح ما يبدو في كتاباتي من أخطاء، وكانوا يسقونني من أساليبهم،

فكنت أحفظها وأستخدمها بمختلف المقامات والحالات.

إلى جانب هؤلاء الأصدقاء، فإن أساتذتي لم يبخلوا عليّ في إرشادي وتعليمي أساليب الكتابة والإنشاء، فكلٌ على شاكلته، وكنت أقطف كل شكل ولون من أساليب التعبير دون أن استثني شيئاً منهم، كما أن توفُّر الكتب والقصص الشعبية القصيرة والبسيطة، والجرائد والمجلات لعبت دوراً في تنمية مهارتي الأسلوبية في التعبير والإنشاء.

رابعاً: منهجي في تقوية مهارة القراءة، وبالشكل الصحيح:

منذ التحاقي بالمدرسة الابتدائية، ودخولي فصل أي مادة تدرَّس باللغة العربية، وأنا ألاحظ ضعف الطلبة في قراءة موضوعات باللغة العربية من الابتدائية حتى الثانوية، وهذا شيء حتمي لدى قوم لا يملك في لغته حرف الضاد ولا الحاء ولا الذال ولا القاف ولا الصاد ولا العين، ولا أقول أن هذا الضعف موجود في الطلبة فحسب، بل حتى إن بعض المعلمين يظهر فيهم الضعف في القراءة العربية بالشكل الصحيح، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على قلة ممارسة القراءة ونطق الحروف العربية من مخرجها الصحيح، ولا استثني نفسي منهم في هذه القضية، لكنني أخرجت نفسي من هذه المحنة، واجتهدت في تمرين لساني وتدريبه على نطق الحروف العربية من مخارجها الصحيحة، وكان هذا في المدرسة الثانوية العالية، فقد كنت في هذا المعهد أمارس القراءة جهراً باستمرار حتى يتبيَّن لي الخيط الأبيض من الخيط الأسود من قراءتي أهي على تنغيمات الناطقين بالعربية أم أن هناك قصر ونقص، حتى في الفصل كنت أتطوع بالقراءة جهراً كي يصحح لي المعلم ما يصدر عني من خطأ أو شذوذ في نطق الكلمات.

طوَّرت نفسي في القراءة الصحيحة أكثر فأكثر عندما التحقت بالجامعات العربية في المدينة المنورة ثم القاهرة، فتعلَّمت الوقف في الكلام، وكنت أعني بالقراءة

جهراً وأنا مع أصدقائي العرب ليستمعوا إلي ويصحِّحوا أخطائي، كما لعبت إذاعة صوت العرب في سنوات السبعينات دوراً كبيراً في تطوير طريقة محادثتي ومحاوراتي الكلامية. والحق أقول، إن هذه الإذاعة أفادتني كثيراً في القراءة الصحيحة والنطق الصحيح، فكنت أشغل نفسي في أوقات فراغي بالاستماع إلى هذه الإذاعة، وأذكر مقولة الرئيس أنور السادات أثناء أيام حرب أكتوبر حين قال: (لقد قاتَلْنا، وأمامنا قتال شديد، ولكنَّ قتالنا وسلاحنا ليس هو سلاح وقتال العدوان بل هو سلاح وقتال الحق والحرية)، وما زالت هذه المقولة تتردد على أذني إلى هذا اليوم، وكأنني سمعتها بالأمس.

سِرْتُ على هذا النهج إلى هذا الحين، فالقراءة العربية الصحيحة لن تستديم استقامتها لغير الناطقين بغيرها إذا ذهبت ممارستهم لها، فما زلت أمارس القراءة الجهرية، وما زلت أستمع إلى الإذاعات العربية، فالعصر الراهن هو عصر التكنولوجيا وتقريب البعيد.

وأما أبرز الصعوبات التي واجهتها أثناء تعلمي اللغة العربية فقد كان مسقط رأسي في مدينة بقرية ألور سليسيغ (Alor Selising) بمنطقة بسوت (Besut)، وكان تعليمي في هذه المنطقة، فالتحقت بمدرسة القرية، وهي بطبيعة الحال ليست مدرسة فيها بيئة عربية، ولا يوجد فيها عربٌ أصلا، فعدم وجود البيئة العربية في حرم التعلم والتعليم أدَّى إلى عرقلة الكثير من حوافز التشجيع لاكتساب اللغة العربية بالنسبة لي، والذي زاد الطينة بلَّة، نهج المعلمين في تدريس اللغة العربية، فمعظم المعلمين لا يستخدمون اللغة العربية في المحادثة والمناقشة والحوار معنا نحن الطلبة، بل يتكلمون بالماليزية، ويشرحون بالماليزية، ولا توجد أية فرصة لنا أن نتكلم أو نستمع إلى اللغة العربية سواء منهم أو فيما بيننا نحن الطلبة، وهذه القضية تعتبر من أصعب القضايا التي واجهتها أثناء تعلمي اللغة العربية والتي أَثَّرَتْ على فهمي

واستيعابي لها، وقد ظهر هذا الأثر الفاضح عليَّ عندما وصلت مدينة جدة في أول خطواتي إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فعند وقوفي على شباك الجوازات للختم على تأشيرة دخولي إلى المملكة العربية السعودية، سألني المسؤول: (اِنْتَ ماليزي؟ مِنْ فِينْ جَيْ؟...)، لم أسْتطِعْ أن أجيب عنه، لأنني لـم أفهم عليه ولا حتى كلمة واحدة، وظننتُ أنه يتكلم بسرعة، وكان خلفي رجل طيِّب أوضح لي ما سألني المسؤول، فعرفت المقصود وحاولت أن أجيب عن أسئلته بلغتي المتواضعة. فهذه الحادثة أثبتت لي أن ما تعلَّمته طوال السنوات التسع في المدارس لم يكن جديراً حتى بمجرَّد الوقوف أمام مسؤول الجوازات بأسئلة روتينية بسيطة، مما جعلني أعزم على أن أبذل ما بوسعي من جهد وطاقة في تعلم هذه اللغة الشريفة واكتسابها بالطريقة والمعنى الصحيح.

هناك عائق ثانٍ مهم كان يلاحقني وأنا أتعلم اللغة العربية وهو قلة الكتب العربية وقصصها في مكتبات المدرسة، كذلك وسائل القراءة باللغة العربية كانت قليلة أو شبه معدومة لصعوبة الحصول عليها كالجرائد والمجلات العربية، فما كان باليد حيلة سوى أن أجتهد بنفسي، وأبحث بطريقتي عن مصادر القراءة والمطالعة، فإذا وجدت ما طابت عيني لقراءته، لم أتوانَ في الإفادة منه بقدر المستطاع.

الأمر الثالث الذي أود أن أطرحه في هذه السطور هو عدم وجود معلمين في مدارسنا، في تلك الأيام، لهم القدرة الكافية على تعليم اللغة العربية، ولم أدرك هذه القضية إلى أن وصلت إلى الجامعات العربية، وخاصة عندما كنت أحضِّر في الماجستير، فعندما كنت أدرس في المرحلة الجامعية كان أستاذنا يحثنا على المذاكرة الجماعية، والمراجعة مع بعضنا البعض، فتعمُّ الفائدة على الجميع، ويفيد الصديق صديقه إلى جانب التواصل والتحدُّث والنقاش باللغة العربية، وهذه الطريقة كانت معدومة وأنا في المرحلة الثانوية، فلم يكن هناك أي نوع من الأخذ والعطاء، والمذاكرة والاطلاع بين الطلبة باللغة العربية.

ولقد حظيت اللغة العربية بمكانة مرموقة في المجتمع الماليزي المسلم، ومازالت هذه المكانة باقية على نفس المقدار والتقدير والاحترام، فهي لغة الإسلام والقرآن، والمجتمع الماليزي المسلم يؤمن بأنها لغة أهل الجنة التي يسألون الله عز وجل أن يكونوا من أهلها. فالأسرة المسلمة في ماليزيا تهتم حقاً بتعليم أبنائها اللغة العربية وهم في نعومة أظفارهم، وذلك لقراءة القرآن، فنجد أن معظم الأسرة المسلمة قديما وحديثا يرسلون أطفالهم إلى الروضات الدينية التي تُدَرَّسُ فيها اللغة العربية لتمكينهم من اكتساب قراءة القرآن بالصورة الصحيحة المرغوبة، إلى جانب تعليمهم كيفية أداء الصلاة .

من هذا المنطلق اهتمت وزارة التربية والتعليم الماليزية بالتربية الدينية وتعليم اللغة العربية، فجعلتهما تحت مظلة واحدة لا يستغني أحدهما عن الآخر، فهما وجهان لعملة واحدة، فأخضعتهما تحت بنود نظام التربية الوطنية في مناهجها التعليمية. وفي الحديث عن اللغة العربية، أخذت الوزارة تبحث باستمرار، ومن فترة لأخرى عن كل ما من شأنه تطوير تعليم وتعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بحيث يتماشى منهج التعليم والتعلم لهذه اللغة الشريفة مع الاتجاهات التربوية الحديثة، فيكون المنهج المقرر موائماً لأوضاع الطلبة والبيئة التي هم فيها، والعصر الذي يعيشون فيه.

ومن الصعيد العملي التطبيقي، قامت الوزارة بوضع خطة علمية دقيقة ترسم للمتخصصين والكوادر مدارج إعداد وإقامة مناهج تدريس اللغة العربية من المرحلة الابتدائية إلى المتوسطة فالثانوية، بحيث يكون المنهج المبني مرتبطاً بمستوى فكر الطالب تصاعدياً في المراحل الدراسية الثلاث تحبيباً وترغيباً له في اللغة العربية واكتسابها. ويجدر بي، وأنا بصدد الحديث عن دور الحكومة تجاه تنمية مناهج تعليم وتعلم اللغة العربية، أن أشير إلى برنامج (J-QAF) الذي أقرَّتْه الحكومة في عام ٢٠٠٥م تدريسه من الصف الأول الابتدائي، وهذه الحروف الإنجليزية الأربعة

تعني بالعربية (القرآن والعربية والعبادات وتعلم الخط العربي)، فحرف (J) يعني الخط الجاوي، وهو الخط الملايوي المعمول به، والمستخدم قبل دخول الاحتلال، والذي استنبط في رسمه من رسم الخط العربي، أما حرف (Q) فمعناه القرآن الكريم، والحرف (A) معناه اللغة العربية، ثم يأتي الحرف (F) ومعناه فرض عين، وهي مع بعضها البعض تعطي للبرنامج معنى إسلامياً جميلاً (القرآن والعربية والعبادات وتعلم الخط العربي)، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على حرص الحكومة، وجديتها في تعليم الطلبة أسس الدين والعبادات، وإحياء اللغة العربية وتحبيبها فيهم من المرحلة الابتدائية، فاللغة العربية في هذه المرحلة تأتي إلى الطالب في طبق من التحبيب والترغيب والإغراء ليأخذ منه ما استطاع أن يأخذ، ليبتعد عن الخوف في مأخذه، وعن الخجل في عطاءه، فتجد الكلمات والعبارات والجمل المختارة في هذه المرحلة كلها كلمات سهلة ومتداولة مثل: (صباح الخير، هيا بسرعة، من فضلك، أحب المدرسة، مع السلامة.. وهلم جرا)، فيتلذذ بها الطالب ويستسيغها، فيستخدمها في حياته اليومية مع والديه، وأصدقائه، ومعلميه، وحتى مع من في الشارع والسوق. فهو منهج سهل ميسَّر ومضياف، يستقبل الطالب من الصف الأول، ويرحب به، ثم يـحبِّبه في العربية، ويحثه على استخدامها في يومياته، ويدوم الطالب على هذا المنوال ست سنوات، بعدها ينتقل إلى المرحلة الاعدادية، فالثانوية، وفي هذه المرحلة يأتي منهج اللغة العربية أكثر نضوجاً، موائماً لنضوج فكر الطالب وعلاقته الاجتماعية، لذا أُعِدَّ منهج اللغة العربية في هاتين المرحلتين على تدريس اللغة العربية الاتصالية، فيبدأ الطالب يتوسع في محاوراته ومناقشاته باللغة العربية، فيألف تدريجياً على الكلام بالعربية، وترتقي عنده بقية المهارات اللغوية الأخرى.

ويواجه تعليم اللغة العربية في ماليزيا تحديات كبيرة تتمثل في الآتي:

١. قلة الكتاب المنهجي المناصب.

٢.قلة وجود المعلم المدرب.

٣.محدودية التنوع في طرق التدريس والتقنيات التربوية المعاصرة المستخدمة في تدريس المهارات اللغوية.

٤.محدودية وجود بيئة لغوية تساعد الطالب على اكتساب مهارات اللغة العربية خاصة المهارات التواصلية، والقدرة على استخدام اللغة العربية في المحادثة اليومية.

٥.قلة المعاجم المناسبة في بيئة الدارسة.

٦.قلة المواد التعليمية المصاحبة لمناهج تعليم اللغة العربية مثل: القصص والروايات التعليمية.

٧.قلة المواد التعليمية المسموعة من خلال وسائل الإعلام التربوي المتخصصة في مجال تعليم اللغة العربية.

وقلة هذه المقومات التعليمية، ومحدودية وجودها في الأوساط التعليمية تعرقل حركة التجربة الماليزية الواحدة في تبني اللغة العربية، ومن ثَمَّ فإن منهج التعلم والتعليم سيتجمَّد ويبقى الحال على ما هو عليه، وهذا سيستدعي استقطاب طاقات من أهل الخبرة والكادرية في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من الوطن العربي لتنسيق عمل جماعي لإنجاح تجربة ماليزيا.

وأما مستقبل تعليم اللغة العربية في ماليزيا فهي تمتلك دولة ماليزيا رؤية مستقبلية واضحة للنهضة والتنمية يمتد مرصاده إلى عام ٢٠٥٠م، كما تمتلك خطة استراتيجية طموحة في التعليم بدأت منذ سنة ٢٠١٣م وتنتهي سنة ٢٠٢٥م، فمشروع تطوير اللغة العربية من المقومات الأساسية لبناء استراتيجية التنمية الشاملة ببعدها الإسلامي.

وتنفق الحكومة الماليزية أكثر من ٢٠٪ من ميزانيتها القومية على التعليم لقناعتها بأن التعليم هو أساس الازدهار الشخصي والنمو الاقتصادي والتلاحم الاجتماعي،

حيث تتحقق التنمية الشاملة بحيازة المعرفة وانتاجها واستثمارها .

وفي هذا الصدد، فإن الحكومة الماليزية تتبنّى برنامج (J-QAF) الذي من ومقوماته اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، وتنتشر مؤسسات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في جميع ولايات ماليزيا، على مستوى القطاعين: الحكومي والأهلي في جميع المراحل الدراسية من السنة الأولى إلى الدراسات العليا، بيْد أن هذه المؤسسات التعليمية تفتقر إلى الخبراء، والمستشارين، والمدربين، المحترفين في مجال تعليم اللغة العربية.

من جهة أخرى، فإن النهضة الاقتصادية والتكنولوجية التي تشهدها ماليزيا تلعب دوراً كبيراً في توسيع آفاق اللغة العربية فيها، فماليزيا تتمتع بعلاقة طيبة وحميمة بالمملكة العربية السعودية، بل مع بقية دول العالم العربي والإسلامي، فهذه العلاقة تخدم الخبرة الماليزية في تعليم اللغة العربية أن تنطلق أينما شاءت إلى بقية مؤسسات تعليم اللغة العربية في دول العالم دون أن يستوقفها عائق.

من هذه الرؤية المستقبلية التي رسمتها الحكومة الماليزية لمشوارها نحو تنمية اللغة العربية ونهضتها في جميع المجالات، يتضح لنا أن ماليزيا تهدف إلى أن تكون مركزاً رائداً في مجال تطوير اللغة العربية على المستوى الأول في آسيا دون منافس.

وقامت بعض المؤسسات التعليمية لتعليم اللغة العربية في ماليزيا على تطوير اللغة العربية على المستوى المحلي والإقليمي، وطرحت هذه المؤسسات الكثير من المقترحات للنهوض باللغة العربية، كان من أبرزها ما يلي:

أولاً: على مؤسسات تعليم اللغة العربية أن تجعل اللغة العربية هي المطلب الأساسي في جميع برامجها الأكاديمية ، فاللغة العربية في هذه المؤسسات هي اللغة الرئسية العملية في التعليم والتعلم لجميع برامجها.

ثانياً: تنشيط عملية نشر الكتب الأكاديمية وكتب المفردات والمجلات اللغة

العربية.

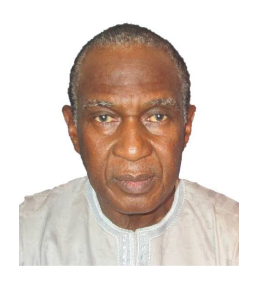
ثالثاً: تنظيم مؤتمرات على المستوى المحلي والعالمي تسعى نحو إيجاد طاولة مناقشة علمية حول قضايا تعلم وتعليم اللغة العربية.

رابعاً: إعداد برامج ودورات وأنشطة في اللغة العربية للأساتذة الطلبة.

خامساً: إعداد خبراء في تعليم اللغة العربية من الماليزيين في مجال تعليم اللغة العربية بواسطة خبراء ومتخصصين لهم الأسبقية في هذا المجال.

سادساً: تشجيع التبادل الثقافي بين الجامعات الماليزية وجامعات الدول العربية في مجال تطوير دراسات تعلم اللغة العربية.

وقد قامت بالفعل الكثير من المؤسسات العلمية، وبتشجيع من الحكومة، بتطبيق هذه المقترحات.



طريقتي في تعلم العربية

أ.عمر دكوري - بوركينافاسو

رئيس الاتحاد الإسلامي

- درس البكالوريوس في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.
- أسس ثماني مدارس في بوركينافاسو.
- أشرف على مكاتب ومؤسسات خيرية.

إن أهم الدوافع عندي إلى تعلم اللغة العربية هو الدافع الديني، حيث كنت أرى أن قراءة القرآن الكريم وفهم معانيه من واجباتي في الحياة، ثم حب اللغة العربية، حيث كنت معجبا بمن يجيد التحدث باللغة العربية بطلاقة، وكنت أتمنى أن أكون مثله في يوم من الايام.

وتعلمت اللغة العربية خلال ست سنوات في المرحلة الابتدائية، وثلاث سنوات في المرحلة الإعدادية، وثلاث سنوات في المرحلة الثانوية، وأربع سنوات في المرحلة الجامعية.

وقد تعلمت اللغة العربية في المراحل الأولى بالطريقة التركيبية في القراءة، والطريقة القياسية في قواعد اللغة العربية.

وكان التحدث باللغة العربية في الفصل واجبا على الطالب، فكان المدرس يصنع قلادة من حديد، تعلق في عنق من يتحدث باللغة المحلية من الطلاب. والطالب الذي تنتهي الحصة والقلادة في عنقه يعاقب على ذلك، إما بمنعه من الخروج في الاستراحة، أو تكليفه بعمل من الأعمال، مثل كنس الفصل. وكان الهدف من ذلك كله إجبار الطالب على استعمال اللغة العربية في التعبير عن أفكاره وآرائه؛ لأن أفضل الطرق لتعلم لغة هو ممارسة تلك اللغة.

وأما المنهج الدراسي الذي اتبعته في تعلم القراءة في الصفين: الأول والثاني الابتدائيين فهو (معلم القراءة)، الجزآن: الأول والثاني، وهما من الكتب المدرسية اللبنانية، وفي الصفوف: الثالث والرابع والخامس والسادس الابتدائية، كتاب (التلاوة العربية)، وهو من الكتب المدرسية المؤلفة في المغرب.

واتبعت في تعلم النحو كتاب (النحو الواضح)، وفي تعلم الصرف كتاب (مبادئ الصرف) في جزأين، ألفهما: توري سعد بن عمر، وهو مدير مدرسة سبيل الفلاح في سيغو مالي.

وطريقة التدريس التي تعلمت فيها اللغة العربية في بلدي هي الطريقة التركيبية في تعلم القراءة، والطريقة القياسية في تعلم النحو والصرف، وكانت أهم الوسائل التعليمية الموجودة آنذاك في مدارسنا هي السبورة، واللوح الفردي، والكتاب المدرسي.

وأما تفاعل الطلاب مع دروس اللغة العربية: فقد كانوا في المرحلتين: الابتدائية والإعدادية متفاعلين جدا مع دروس اللغة العربية بسبب الدافعَيْنِ المذكورين في البداية، حيث كان الطلاب يتنافسون في دروس اللغة العربية، كلٌّ يريد أن يكون هو الأفضل من غيره في إجادة اللغة العربية تحدثا وكتابة، فنجدهم يتسابقون في الإجابة على الأسئلة التي يلقيها المدرس في الفصل عن الدرس، كما نجدهم أثناء مذاكراتهم خارج الفصل يتبارون في معرفة المسائل النحوية والصرفية والبلاغية والأدبية، حيث يوجه أحدهم سؤالا إلى زميله في مسألة من المسائل؛ ليتحداه في هذه المسائل، ولكي لا يعجز أحدهم عن الإجابة على أسئلة زملائه فإنه يجب عليه أن يراجع الدروس جيدا، الأمر الذي يجعلهم يستوعبون المعلومات المتعلقة بدروس اللغة العربية.

إن المجتمع البوركيني كان ينظر إلى اللغة العربية على أنها لغة القرآن الكريم والدين، أي: أن الذي يتعلمها يقرأ بها القرآن الكريم، ويفهم بها الدين الإسلامي، كما كان ينظر إلى المتحدث بها على أنه غير مثقف الثقافة العالمية، ومن ثم يعتبره غير مفيد لمجتمعه؛ لأنه لا يستطيع أن يحصل على وظيفة بسبب إجادته للغة العربية، أو حصوله على شهادة في اللغة العربية تضمن له عيشا كريما.

وقد تغيرت نظرة المجتمع إلى اللغة العربية وإلى المتحدثين بها مع مرور الزمن بعد عودة الخريجين من جامعات الدول العربية، الذين تنوعت تخصصاتهم، والذين شاركوا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مما جعل الكثيرين من أفراد المجتمع يغيرون نظرتهم إلى اللغة العربية ودارسيها، حيث وجدوا أن هؤلاء يحملون

بضاعة علمية وثقافية ومهارية تمكنهم من الإسهام في تنمية الوطن.

وقد ساعد على تغيير هذه النظرة ما قامت به جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية في أواخر التسعينيات، عندما عينت ما يربو على ٣٠٠ مدرس للتدريس في مختلف المدارس العربية الإسلامية في البلد، مع صرف رواتب شهرية لهم عن طريق أحد البنوك، فكانت الظاهرة لافتة للأنظار، حيث يصطف المدرس المستعرب مع نظرائه المفرنسين لتسلم راتبه، فاكتسب بذلك تقدير الناس له، كما مكنه تحويل راتبه إلى البنك من الحصول على قروض من البنك، مما مكنه من القيام بإنجازات ضمنت له عيشا كريما.

إن أولى الصعوبات التي واجهتُها في سبيل تعلم اللغة العربية في المراحل الأولى هي الصعوبة المادية، حيث لم تكن عندي إمكانية كافية لتسديد رسوم الدراسة كما ينبغي، وعدم توافر وسيلة نقل للاقتصاد في الجهد والوقت في قطع المسافة بين المنزل والمدرسة، وعدم توافر اللوازم المدرسية التي تساعد على استيعاب الدروس وتثبيتها.

كما كانت هناك صعوبة متعلقة بطبيعة اللغة العربية؛ لكونها لغة أجنبية بالنسبة لي، مثل: نطق بعض الأصوات التي لا توجد في لغتي الأم نطقا صحيحا، والصعوبة في تطبيق بعض القواعد النحوية، مثل: المطابقة في تصريف الأفعال مع الجمع والمؤنث وغير ذلك.

ومن المواقف الطريفة التي مررت بها في سبيل تعلم اللغة العربية: أننا كنا ندرس في فصل مزدوج المستوى، أي به طلاب من الصفين: الأول والثاني الابتدائيين في حجرة واحدة، وتحت إشراف مدرس واحد، وكان المدرس يلقي الدروس للصفين بالتناوب، أي: يقدم الدرس لطلاب الصف الأول، ثم يتحول إلى طلاب الصف الثاني وهكذا، وأنا كنت في الصف الأول الابتدائي آنذاك، ولكن كنت أنتبه لدروسه عندما يتحول إلى تقديم الدروس لطلاب الصف الثاني، وفي يوم من الأيام -وهو في درسه مع طلاب

الصف الثاني- طلب من أحد الطلاب أن يقرأ مقطعا من النص المدروس، ولم يستطع الطالب قراءته قراءة صحيحة، فسأل المدرس طلاب الصف الأول: من منكم يستطيع أن يقرأ هذا المقطع؟، فرفعت يدي، وقرأت المقطع، فطلب المدرس مني أن أحمل أدواتي وأجلس مكان الطالب الذي عجز عن قراءة المقطع في الصف الثاني، وطلب من ذلك الطالب أن يحمل أدواته ويجلس مكاني في الصف الأول، وهكذا جمعت بين الصفين في عام واحد.

وإن لتعلم اللغة العربية أثراً كبيراً في حياتي الشخصية والوظيفية؛ فإنه بتعلم اللغة العربية استطعت أن أرفع عن نفسي الأمية، وأن أثقف نفسي الثقافة العالمية، ولولا الدراسة العربية لما تمكنت من أن أدرس؛ لأن عمري كان قد تجاوز سن الدارسة، فما كان بإمكاني أن التحق بالمدارس الفرنسية التي كانت تستقبل الأطفال في سن السابعة، وبهذه الثقافة استطعت أن أحظى باحترام الناس الذين أحتكُّ بهم في الحياة اليومية، حيث أتبادل معهم الأفكار والمعلومات، فيدركون قيمة ما عندي من أفكار ومعلومات، وأما من الناحية الوظيفية فمنذ أن تخرجت عملت في مجال تعليم اللغة العربية إلى يومنا هذا، وقد تعاقدت مع بعض المنظمات العربية الإسلامية التي تدعم تعليم اللغة العربية، وبذلك أجد راتباً لا بأس به يضمن لي حياة محترمة.

وإنني أشعر باعتزاز لأنني تعلمت لغةً مكَّنتني من اكتساب معلومات ومعارف ومهارات في مجالات شتى، وبها ضمنت لنفسي وظيفة تمكنني من أن أحيا حياة محترمة، كما أشعر أن لِلُّغةِ العربية مستقبلًا مشرقًا إذا لقيت من أهلها عناية صادقة، بفتح آفاق مشاريع استثمارية يعمل فيها متعلمو اللغة العربية.

وإن تعلم اللغة العربية بالمقارنة بتعلم اللغة العربية في بوركينافاسو أصعب، وذلك أن اللغة ظاهرة اجتماعية تحتاج إلى الممارسة، ومتعلم اللغة العربية في بوركينافاسو لا يجد مجالاً واسعاً لممارسة ما تعلمه في المدرسة؛ إذ لا يجد من يتحدث

معه باللغة العربية إلا في المدرسة، وهذا الأمر يحدُّ من إجادته لهذه اللغة، بخلاف اللغة الفرنسية التي يتكلم بها كثير من سكان البلد، في الأماكن العامة، وفي وسائل الإعلام المختلفة، الأمر الذي يجعل متعلم اللغة الفرنسية يستعملها باستمرار، فيمكنه ذلك من إتقانها بسهولة.

وأما واقع تعليم اللغة العربية في بوركينافاسو فقد تحوَّلَ من الحسن إلى الأحسن، وتقدم خطواتٍ إلى الأمام، إلى أن انتشر وتطور تطورا ملموسا في جميع جوانبها؛ سواء في جانب المباني، أو البرامج، أو الوسائل، ويؤدي دورا بارزا في الحياة الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية، الأمر الذي جعل الحكومة تعترف به، وتتولى تنظيم أموره.

ورغم كل ما شهده تعليم اللغة العربية، من تقدم وتطور، فإنه يشكو من مشاكل عدة، منها: قلة الإمكانيات المادية، التي تعتبر عصب حياة أي مؤسسة تعليمية، وهذا المشكل له انعكاس سلبي على بقية مكونات النظام التعليمي، من حيث اكتظاظ الفصول بالتلاميذ، وقلة رواتب المدرسين، وعدم توافر الوسائل الحديثة، ومنها: عدم توحيد البرامج التعليمية، وعدم ملاءمتها للواقع الاجتماعي، ومنها: عدم توافر المدرسين والخبراء المدربين تدريبا تربويا حديثا؛ لمسايرة فنون التعليم الحديثة، التي تتطور بشكل مستمر.

لقد أحس المسئولون عن تعليم اللغة العربية والحكومة بخطورة هذه المشاكل، لعلمهم أن تعليم اللغة العربية عملية تربوية تعليمية مهمة وخطيرة في الوقت نفسه؛ لأن التربية والتعليم هما السبيل الوحيد لبناء المجتمع، وإصلاحه، وتطويره وتنميته، وإعداد أجيال المستقبل، فأي خطأ فيه يؤدي إلى نتائج سلبية في المجتمع، وبما أن العملية التربوية التعليمية عملية متراكبة وشاملة، تتطلب مساهمة كل فئات المجتمع وعناصره، وتتطلب كذلك بناءها على واقع المجتمع، سعى المسؤولون عن تعليم اللغة العربية

والحكومة متكاتفين منذ سنوات إلى إيجاد حلول مناسبة لهذه المشاكل، فكوَّنت الحكومة بالتعاون مع مسؤولي تعليم اللغة العربية لجنة سموها: اللجنة الوطنية لقوانين وبرامج التعليم العربي.

إن مراكز تعليم اللغة العربية في بوركينافاسو تعددت، ما بين مدارس ومساجد ومنازل، فإن المدارس العربية الإسلامية الخاصة فد انتشرت في المدن وضواحيها والقرى، وحسب إحصائيات وزارة التربية الوطنية ومحو الأمية توجد في بوركينافاسو ١٦٨٢ مدرسة عربية إسلامية خاصة ابتدائية من جملة ٢٥٤٠ مدرسة ابتدائية خاصة في البلاد، وذلك بنسبة ٤٥،٥٤ في المائة، كما أن هناك عددا كبيرا من المعاهد الإعدادية والثانوية، وتوجد ثلاث جامعات عربية خاصة.

وإضافة إلى هذه المدارس الخاصة بتعليم اللغة العربية نجد مدارس عليا وجامعات فرنسية تتبنى تعليم اللغة العربية مادةً اختياريةً، وذلك لرغبة الكثيرين من طلابها: مسلمين وغير مسلمين في تعلم اللغة العربية.

وإلى جانب هذا التعليم النظامي في المدارس نجد دروسا تنظم في بعض المدارس والمساجد لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية لصالح طلاب يدرسون في المدارس الفرنسية البحتة، وذلك في أيام فراغهم، ودروسا تنظم كذلك في مدارس في الفترة المسائية لتعليم الكبار اللغة العربية والتربية الإسلامية، ودروسا تنظم كذلك في المساجد لتعليم النساء اللغة العربية والتربية الإسلامية.

وإن تحديات تعليم اللغة العربية في بوركينافاسو كثيرة ومتنوعة، نجدها في مستويات متعددة، كالمباني والمناهج والوسائل التعليمية التعلمية والمدرسين والمؤسسين والطلاب.

ففي مستوى المباني: نلاحظ أن معظم المدارس العربية تفتقر إلى فصول دراسية تتوافر فيها المواصفات المطلوبة، مما يكون فيه تأثير سلبي على تحصيل الطالب؟.

وفي مستوى المناهج التعليمية: نجد أن المناهج غير مناسبة لبيئة الطالب؛ لأنها مستوردة من الدول العربية، ولا تتناسب مع مستوى المتعلمين، ولأن محتواها لا يلبي رغبات المتعلم وميوله.

وفي مستوى الوسائل التعليمية: نجد غياب الوسائل التعليمية الحديثة التي تساعد المتعلم على إتقان اللغة.

وفي مستوى المدرسين: نجد جُلَّ الذين يدرسون اللغة العربية لم يتلقوا تكوينا في طرائق تدريس اللغة العربية قبل البدء في التدريس، وأن معظمهم ليسوا أكفاء في تعليم اللغة العربية بسبب ضعف مستواهم اللغوي.

وفي مستوى المؤسسين: نجد مؤسسين غير متعلمين، أسسوا مدارسهم لغرض تجاري، فلا تهمهم جودة العملية التعليمية بقدر ما يهمهم العائد المادي، لذا نجدهم لا يتحرون في اختيار من هو أهل لإدارة المدرسة أو للتدريس.

وفي مستوى الطلاب: نلمس عدم اهتمام الطلاب بتعلم اللغة العربية كما ينبغي، وذلك لشعورهم بأن تعلم اللغة العربية لا يضمن لهم مستقبلا مشرقا؛ لأنه لا يمكِّنهم من الاندماج الوظيفي والاجتماعي في بيئتهم.

وإن لتعليم اللغة العربية في بوركينافاسو مستقبلا زاهرًا إذا تمكَّنَّا من إزالة التحديات التي تحدثنا عنها آنفا، وذلك بأن نعمل على تكييف المناهج الدراسية في المدارس مع بيئة المتعلم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا؛ فإن اللغة العربية لغة علم وثقافة، وإذا ما جرى تدريسها إلى جانب اللغة الفرنسية التي هي لغة الوظيفة في البلد فإنها ستحظى بإقبال الكثيرين لتعلمها؛ لأن إتقانها يعزز هوية الأكثرية في المجتمع البوركيني، وهي الهوية الدينية الإسلامية، والمسلمون في حاجة إلى تعلم اللغة العربية لفهم دينهم وأداء شعائره؛ لذا نلاحظ انتشار المدارس العربية الإسلامية، وتنظيم حلقاتٍ لتعليم اللغة العربية وافتتاح مراكز لهذا الغرض.

وإحساسا من الحكومة البوركينية بهذه الحاجة الماسة لدى شريحة كبيرة من

السكان، سعت إلى دعم التعليم العربي ببناء فصول دراسية، وإعداد مناهج دراسية، وقد انتهت من إعداد مناهج المرحلة الابتدائية، وإعداد كتب مدرسية محلية، كما انتهت من إعداد كتب القراءة للصفوف الستة الابتدائية، وتكوين المدرسين والمديرين، كما بادرت إلى إنشاء مدارس عربية فرنسية حكومية في المناطق التي يرفض فيها السكان إرسال أبنائهم إلى المدرسية الفرنسية البحتة.

وفي سبيل تطوير تعليم اللغة العربية في بوركينافاسو أقترح ما يلي:

١- تطوير مناهج تعليم اللغة العربية في بوركينافاسو؛ لتتناسب مع الواقع البيئي، بأن تحتوي على ثقافة بيئة المتعلم، وأن تلبي ميوله وحاجاته الاجتماعية والاقتصادية.

٢- توفير وسائل تعليمية مناسبة لتعليم اللغة العربية.

٣- تكوين مدرسي اللغة العربية في طرائق تدريس اللغة العربية.

٤- تعيين مدرسين أكفاء لتدريس اللغة العربية.

٥- تحسين الوضع المادي لمدرس اللغة العربية.

٦- إنشاء معاهد تقنية ومهنية: إن لوجود هذا النوع من المعاهد أهمية قصوى في جعل تعلم اللغة العربية في بوكينا فاسو يحتل المكانة اللائقة التي يجب أن يحتلها، وذلك بتخريج طلاب تقنيين ومهنيين، يستطيعون المشاركة في التنمية الاجتماعية في البلاد، والاندماج اندماجا تاما في المجتمع، والاعتماد على أنفسهم في حياتهم العملية كلما استطاع دارس اللغة العربية توفير الدخل المناسب له في معيشته نال احترام المجتمع وتقديره له، ومن ثم سيعطى المجتمعُ القيمة للعلم الذي تلقاه هذا الدارس.

٧- تعليم اللغة الفرنسية إلى جانب العربية، مما يمكن التلاميذ من معرفة الفرنسية التي تعتبر القناة الأساسية للتواصل في الدولة، والأداة الرسمية للوظيفية الحكومة، والقنطرة للتنمية الاجتماعية.

٨- يعتبر التمويل عنصرا مهمًّا تقوم عليه الإدارة العامة، وهو يتصل بالأعمال المرتبطة بتزويد المؤسسة بالمال لتحقيق أغراضها؛ لذا كان الارتباط قويا بين التخطيط

والتمويل، على أساس أن أحد المبادئ التي يقوم عليها التخطيط هو مبدأ الواقعية، وليس هناك واقعية إذا أغفلنا الإمكانيات المالية؛ ولذلك كان تمويل التعليم مدخلا بالغ الأهمية من مدخلات أي تعليم، يقف التعليم عاجزا إذا ما عانى بشدة من نقص المال.

ولهذا يتحتم على المسؤولين عن التعليم العربي في بوركينا فاسو السعيُ إلى توفير ميزانية للمدارس تفي بمتطلباتها، وهذه المسئولية تقع على عاتق كل من يهمهم شأن هذا التعليم، حكومة وشعبا، داخليًّا وخارجيًّا، ويأتي على رأس هؤلاء المسؤولين أصحابُ المدارس الذين يجب عليهم أن يشعروا بعظم المسئولية التي تقلدوها، ألا وهي مستقبل الأطفال الذين يلتحقون بمدارسهم، فيجب عليهم أن يقوموا بجميع الاحتياطات لأجل توفير الضروريات للتعليم والتعلم، وكي يتأتى لهم ذلك لا بد لهم من إخلاص في العمل، والإفادة المثلى من الميزانية المدرسية، وأن يقوم أصحاب المدارس الذين لديهم إمكانية أو يتلقون دعما من الخارج، من المنظمات الإسلامية التي تمول التعليم العربي في بوركينافاسو، بإنشاء مشروعات استثمارية تمكنها من تمويل هذا التعليم، وأن يجعلوا هذا التعليم يؤدي دوره الحيوي في المجتمع، مما يحفز أصحاب الطول والنوال من المسلمين على الإقدام على الإنفاق في سبيل تعليم اللغة العربية.

٩- إنشاء مراكز لتعليم اللغة العربية في المدن، وتزويدها بالأجهزة الحديثة المتطورة.

وختاما، إن نجاح تعليم اللغة العربية في بوركينافاسو مرهون بالتعاون الجاد بين القائمين على هذا التعليم والمهتمين به، سواءٌ أكان ذلك بينهم في داخل البلاد، أم بينهم وبين المتعاونين معهم في الخارج من أبناء اللغة العربية.



حياتي مع اللغة العربية

أ.د. محمد بشير - الهند

رئيس جامعة كاليكوت، كيرالا، الهند

- عميد كلية سلم السلام للعلوم والآداب سابقاً.
- عمل وكيلا لجامعة كيرلا.
- عضو المجلس الأعلى لجامعة كاليكوت.
- المنسق لوفادة الحج للجنة الحج المركزية لعموم الهند.

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام علي أفصح العرب، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أشكر الله عز وجل أولا على نعمته العظيمة التي أسبغها علي بإتاحة هذه الفرصة الميمونة، لأحدثكم خلال هذه الصفحات ، كما أود تعبير شكري الجزيل بعد ذلك نحو القائمين على مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية الذي يخدم اللغة العربية بمختلف أنشطته القيمة وخطواته البناءة. قبل الدخول إلى الموضوع، يسرني الإشادة بمساعي المركز الملحوظة وبرامجه المتنوعة في إثراء مسار نشر اللغة العربية الغالية على المستوى الرفيع وتطوير آفاقه إلى نطاق أوسع باستهداف إيصال رسالة لغة الضاد إلى مختلف أقطار العالم عبر القارات.

وبعون الله تعالى وبتوفيقه، أقوم حالياً بمسؤولية رئيس جامعة كاليكوت، كيرالا، الهند، منذ سنتين، حيث إن هذه الجامعة تعتبر أكبر الجامعات في كيرالا، حيث تنتسب إليها خمسمائة كلية من كليات الآداب والعلوم وكليات الطب وكليات الهندسة وكليات الحقوق وكليات الدراسات الإدارية وكليات الصيدلة بالإضافة إلى الكليات العربية والكليات من شتى العلوم واللغات. وقبل الخوض في موضوع تعلم اللغة العربية وتعليمها تجدر الإشارة إلى سياق اللغة العربية على المستوى الهند وخلفياتها المعنية بهذا الصدد بوجه عام، وأجواء كيرالا المختصة بنشأة العربية وتطورها ومراحل مدارجها بوجه خاص.

وأما واقع اللغة العربية في بلاد الهند فمن المعروف أن القارة الهندية قد خدمت اللغة العربية منذ زمن بعيد، وقد دخل الإسلام إلى ديار الهند في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، حيث إن المسلمين وصلوا إلى الهند تجاراً، فانتشرت ديانتهم وحضارتهم ولغتهم في مناطق الهند المتعددة واعتنق كثير من أهاليها الإسلام عبر العصور، فازداد عدد المسلمين يوماً بعد يوم حتى بلغ عددهم فوق مائتي مليون نسمة. وحسب

الإحصائيات المعتمدة، فإن الهند تتزين مكانة بأنها أكبر دول العالم في نسمة المسلمين بعد إندونيسيا، ويرجع فضل هذا العدد الهائل إلى توفيق الله تعالى وجهود العرب المسلمين في نشر رسالة الدين الحنيف عبر دعوتهم وحياتهم المثالية على أسس تعاليم الإسلام الفاضلة، ويجدر بالذكر أن اللغة العربية اتسعت رقعتها باتساع دائرة حضور المسلمين في الهند بقدوم العرب إلى تلك الديار تجاراً، حاملين رسالة الإسلام وثقافته ولغته المتينة.

وعند نقاش أوضاع اللغة العربية الراهنة على مستوى الهند، تلاحظ هنا عدة ميزات معينة على نشرها بصفة رسمية وغير رسمية، حيث تقوم الجامعات المركزية الكبرى في عاصمة الهند بنيودلهي مثل جامعة جوهرلال نهرو والجامعة الملية الإسلامية وجامعة دلهي بالإضافة إلى جامعة علي كره الإسلامية وجامعة بنارس الهندوسية وجامعة كشمير، وسائر الجامعات الشهيرة المنتشرة في مختلف أقطار الهند، بدور بارز في إثراء اللغة العربية بصفة ملموسة بإجراء دورات البكالوريوس والماجستير، والماجستير في فلسفة اللغة العربية ودكتوراه ودبلومات متنوعة .

علاوة على الجامعات الحكومية العديدة، فإن هناك جامعات إسلامية ومعاهد دينية كثيرة تساهم في خدمة اللغة العربية وانتشارها في أوساط المجتمع الهندي بصفة منشودة، ومن طليعة هذه المؤسسات الدينية المرموقة ندوة العلماء لكنهو والجامعة السلفية ببنارس وجامعة ديوبند الإسلامية وجامعة دار السلام بعمراباد وما إليها من المراكز التعليمية الهامة، ونجحت هذه الجامعات والمؤسسات التربوية في سعيها نجاحا باهرا حتى أنها خرجت ولا تزال تخرج في كل عام آلافا من الخريجين المتزودين باللغة العربية الفصحى والمتضلعين في تناولها وتصرفاتها، مدرسين ومحاضرين وباحثين وأكاديميين بارزين.

وأما ولاية كيرالا فهي غنية عن التعريف في صعيد العالم العربي بتراثها العريق

في ساحة اللغة العربية وثقافتها منذ زمن بعيد، وتسجيلاتها الملحوظة في مجال نشر اللغة العربية بخطوات بناءة وإسهامات جلية. وصلت العربية إلى ربوعها الخضرة في القرن الأول الهجري عن طريق تجار العرب والدعاة الذين حملوا رسالة الإسلام ولغته وحضارته، حتى اجتذب كثير من أهلها إلى ثقافة الإسلام متأثرين بأخلاقهم وسلوكهم، كما أخذوا منهم جذوة اللغة العربية وثماره.

وقد لعبت المدارس الدينية في كيرالا دوراً فعالاً في نشر اللغة العربية وثقافتها، حيث توجد مدارس صباحية ومسائية، وتدرس فيها تلاوة القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية من كتابتها وقراءتها وتعاليم الدين الأصولية من جهة العقيدة والأخلاق والفقه، حتى كان الطلاب تتاح لهم فرصاً ثمينة لدراسة اللغة والدين بصورة ابتدائية، وتغرس في قلوبهم الرغبة والتحمس في الحصول على مزيد من المعلومات في ناحتي اللغة والدين.

ومن مميزات تعليم اللغة العربية في كيرالا، أن هناك أربعة آلاف من المدارس العصرية الحكومية التي تدرس فيها اللغة العربية في مراحلها الأربعة: الابتدائية والمتوسطة والثانوية والثانوية العليا، حيث يعمل فيها قرابة ثمانية آلاف من المدرسين العربين، وهم يخدمون اللغة بتعليم النشء الجديد وتربية الأجيال المتقدمة كما يكتسبون لقمة عيشهم بواسطة الرواتب الشهرية التي يستلمونها من قبل الحكومة.

كما أن هناك مئات من الكليات العصرية، من ضمنها كليات العلوم والآداب والفنون حيث تدرس فيها اللغة العربية كلغة ثانية فضلاً عما تجري فيها الدورات الخاصة للعربية في مرحلة البكالوريوس والماجستير، وتوجد هنا كثير من الفرص المفتوحة للطلاب لنيل شهادة الدبلوم في مجال الترجمة والتعريب. وتجري في الجامعات الحكومية دورة الماجستير في فلسفة اللغة العربية وآدابها واجهة لدخول الطلبة والباحثين في حقل البحوث الأدبية، وناهيك عما يتمتع الطلاب بإجراء البحوث في

مجال اللغة العربية وآدابها وتقديم الأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، بالتركيز على موضوعات ذات قيمة بليغة في ساحة الدراسات الدقيقة والبحوث العميقة.

ومن أهم ميزات تعليم اللغة العربية في كيرالا، أن هناك العديد من الكليات العربية التي أسست لتعليم العربية والعلوم الإسلامية تحت إشراف الجمعيات الإسلامية المختلفة، ويلاحظ من بين تلك الكليات العربية ثلاثة أنواع: الأول: الكليات العربية المؤيدة بالحكومة والمنتسبة إلى الجامعات الحكومية، بحيث تمنح الرواتب لأساتذتها من قبل الحكومة، والثاني: الكليات المنتسبة إلى الجامعات بدون منح الرواتب من الحكومة، والثالث: الكليات العربية التي ليس لها انتساب إلى الجامعة ولا اعتراف من الحكومة، وتغطي بنفقتها بجمع التبرعات من المحسنين وفاعلي الخير.

وتنقسم الدورات الدراسية في الكليات العربية إلى ثلاثة أقسام، الأول: المرحلة الابتدائية أو ما قبل البكالوريوس حيث يلتحق بها الطلاب بعد إتمام الثانوية، الثاني: مرحلة البكالوريوس التي تستغرق لمدة ثلاث سنوات، وتعرف هذه الدورة بشهادة أفضل العلماء التي تحتوي مناهجها التعليمية على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والفقه وأصوله والتاريخ الإسلامي والأدب العربي، وما إليها من المواد المتعلقة بالدين واللغة. والثالث: مرحلة الماجستير لمدة أربعة فصول التي تضم الكتب الدراسية المستهدفة للتخصيص في مجال اللغة والآداب. وتجدر هنا الإشارة إلى أن هناك كلية عربية تسهل الفرص لنيل شهادة الدكتوراه بإجراء البحوث في العربية وآدابها وهي كلية مدينة العلوم العربية.

ومما يثلج صدورنا أن هناك آلافاً من الخرجين من هذه الكليات العربية والعصرية كلهم يخدمون للدين واللغة العربية بالتدريس والكتابة والخطابة، كما أن كثيراً منهم يجدون فرص العمل خارج الهند خصوصاً في دول الخليج العربي، حيث يشتغلون في

المكاتب والشركات في مجال الترجمة والتعريب وسائر الوظائف المتنوعة.

وقبل أن أتولى منصب رئيس جامعة كاليكوت، وكان على كاهلي مسؤولية وكيل جامعة كيرالا الواقعة في مدينة ترفاندرم، عاصمة ولاية كيرالا، واشتغلت فيها مدة ثلاث سنوات، وقبل ذلك كنت عميداً لكلية سلم السلام للعلوم والآداب لثماني سنوات بعد أن خدمت فيها محاضراً في قسم اللغة العربية وآدابها لعشر سنوات، وكانت وظيفتي الأولى بعد إتمام الدراسة الجامعية هي التدريس في مدرسة حكومية في قرية قريبة من بيتي.

وكانت البيئات والظروف التي رافقتني منذ طفولتي معينة على نشأة الرغبة في اللغة العربية والتحمس فيها، كما كان الجو البيتي محركاً للاشتياق إليها، وكان والدي خريجاً في كلية مدينة العلوم العربية قبل ٥٥ سنة تقريبا، ثم اشتغل مدرساً للغة العربية في مدرسة حكومية، كما كان مولعاً بأنشطة اتحاد معلمي اللغة العربية بالتركيز على نشرها في تلك المنطقة.

بدأ تعلمي اللغة العربية منذ السن الخامس، حينما التحقت بالمدرسة الدينية الصباحية في قريتي، حيث كانت الدراسة تبتدئ فيها من الساعة السابعة وتمتد إلى الساعة التاسعة صباحاً، ويُدرس فيها القرآن الكريم وكتابة اللغة العربية وقراءتها وتعاليم الدين الأصولية من العقيدة والأخلاق والفقه، حتى ساعدت لنمو الحرص على اللغة العربية ودروسها العظيمة، وفي الوقت نفسه، تم التحاقي دارساً بالمدرسة الحكومية التي يبتدئ دوامها من الساعة العاشرة وتستمر إلى الساعة الرابعة، ودرست هناك اللغة المحلية المليالمية واللغة الإنجليزية والهندية إضافة إلى اللغة العربية، كما تعلمت دروس العلوم والرياضيات وغيرها من المواد الأصلية.

والتحقت بعد تلك المرحلة المدرسية بكلية الآداب والعلوم بمدينة ترورانغادي لدورة ما قبل البكالوريوس لمدة سنتين، حيث درست هناك مواد العلوم والرياضيات

مع دراسة اللغة الإنجليزية وتعلمت العربية هنا كلغة ثانية، وبعد دراسة العلوم والرياضيات في هذه الدورة، فضلت اللغة العربية مادة رئيسة لدورة البكالوريوس على المواد الأخرى، فالتحقت بكلية الفاروق، وأتممتها بدرجة ممتازة. وسنحت الفرصة لي أن أدرس في رحاب جامعة كاليكوت التي أتولى رئاستها حالياً، لدراسة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، وأكملتها بصورة مميزة، ومن دواعي الغبطة والسرور، أن أتذكر ميولي إلى اللغة العربية أثناء جميع مراحلي الدراسية، حيث اغتنمت بالفرص المتاحة لاستيعاب محاسن العربية والاستفادة منها.

وبعد إتمام الماجستير من جامعة كاليكوت، واصلت دراستي هناك بالالتحاق بدورة الماجستير في فلسفة اللغة العربية وآدابها، واستلهمت في تكريس الجهود في ميدان البحث والتنقية حتى حصلت الفرصة على إجراء البحث لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة كاليكوت حول موضوع (ترجمات وتفاسير القرآن الكريم في اللغة المليالمية : دراسة نقدية).

وأما تجربتي في مسار تدريس اللغة العربية فإني أتذكر سنواتي الماضية الحلوة التي كنت محاضراً للغة العربية بكلية سلم السلام للعلوم والآداب، حيث استفدت خلال تدريسي هناك دروساً مؤثرة في حياتي، كما لاحظت في تلك المرحلة تحمس الطلبة على العربية وآدابها، كما تبرز في ذلك الميدان آثار الدراسات العربية وحضارتها منعكسة في حياتهم.

واستخدمت أثناء تدريسي العربية عدة وسائل علمية علاوة على الطرق التقليدية المبنية على قراءة النص وترجمته إلى اللغة المحلية، مثل الاعتماد على الوسائل الاعلامية الحديثة من ضمنها القنوات العربية والإنجليزية والشبكات العالمية والمواقع العربية، بالإضافة إلى البرامج الصوتية والمرئية. ورغم استخدام جميع الوسائل المتاحة، فقد يواجه المدرس في تلك البلاد الناطقة بغير العربية بعض الصعوبات والمشكلات،

خلافاً عن بيئات البلاد العربية التي تتوفر فيها ظروف مناسبة لتدريس اللغة وتدريبها بين الطلبة.

ومما لا يخفى على أحد أن اللغة العربية تتزين مكانة مرموقة بين اللغات الأخرى لما كانت لها الدرجة الأولى نظراً لكون نزول القرآن الكريم في تلك اللغة الغالية، وأهميتها كلغة المصادر الإسلامية، وضرورة التجاء الناس إليها في ساحة الأشغال والوظائف في البلاد العربية، حيث ينظر المجتمع إليها نظرة احترام وحفاوة.

وأود أن أسجل في هذا الصدد، تأثير هذه اللغة في حياتي وفي تشكيل شخصيتي، حيث اقتدرت بها على تحسين مسار حياتي حسب إرشادات القيم الإلهية المتواجدة في الكتب الدينية على قدر طاقتي الممكنة، كما أتذكر في هذا المقطع تلذذي الحلو بممارسة هذه اللغة، أكثر من فوائد سائر اللغات التي تناولتها مثل الإنجليزية والهندية.

وأتذكر هنا حدثاً ملحوظاً خلال اشتغالي وكيلاً بجامعة كيرالا، حيث زار الجامعة أحد الشخصيات البارزة من الولايات المتحدة، وإبان محادثتنا باللغة الإنجليزية حول الموضوعات الأكاديمية، سألني عن تخصصي في الماجستير وما بعده من المرحلة الدراسية، فأجبت أنني حصلت الماجستير وسائر التخصصات في اللغة العربية، فسرعان ما حول كلامه من اللغة الإنجليزية إلى العربية، فاندهش جميع من حضر ذلك المجلس، ولما لاحظ الزائر دهشة الحضور في تحدثه اللغة العربية شرح سياقه المؤيد لنبوغه في العربية وذلك خبرته في دولة مصر لمدة سنوات.

بالنسبة إلي، أنا متفائل دوماً في مستقبل اللغة العربية الزاهر، كما لا ينقص أملي في واقعها الحالي، حيث إنها لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية ولغة أهل الجنة، فالناس يتقدمون إزاء هذه اللغة بنظرة إيجابية وخطوات فعالة ويقومون بإسهاماتهم المتنوعة في تحريك مسارها إلى الأمام، وأذكر هنا مساهمات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي الملموسة لخدمة اللغة العربية بوجه خاص.

وختاما، أرجو من الجميع الاهتمام بهذه اللغة وإثرائها باستخدام وسائل متوفرة ومقدورات فطرية كواجب ديني ألزمه الله على عاتقنا، كما أتمنى انتباهكم في تطوير أوضاعها في الديار الناطقة بغيرها بمد يد العون بشكل مادي ومعنوي.



كيف تعلمت اللغة العربية؟

د. محمد هداية نور واحد - إندونيسيا

نائب رئيس مجلس الشورى الشعبي

- حصل على شهادة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- رئيس مجلس الشورى الشعبي للجمهورية الإندونيسية (٢٠٠٤-٢٠٠٩م).
- رئيس هيئة التعاون بين البرلمانات في مجلس النواب الإندونيسي (٢٠٠٩-٢٠١٢م).
- نائب رئيس مجلس الشورى الشعبي للجمهورية الإندونيسية (٢٠١٤-٢٠١٩م).
- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة (٢٠١٢م).
- عضو اللجنة الاستشارية في مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود للحوار بين الأديان والحضارات بويننا (من ٢٠١٥م).

بدأت دراستي لتعلم اللغة العربية وأنا طفل صغير، في سياق دراسة الحروف الهجائية، وهي حروف اللغة العربية المستخدمة في مهارة قراءة القرآن؛ لأن القرآن أنزل باللغة العربية، وذلك في أوائل أيام دراستي في المدرسة الابتدائية.

والطريقة البغدادية المشهورة في إندونيسيا، والمستخدمة كثيرا هناك في تعلم الحروف الهجائية هي أفضل طريقة لي ولغيري من العجم في تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وحبنا للقرآن هو سبب حبنا للغة العربية.

هذه هي أول صفحة في حياتي في التعرف على الحروف العربية وتعلم اللغة العربية، ومع بساطة الطريقة البغدادية، فإنها مهمة، وهي خطوة جيدة في التعرف على حروف القرآن الكريم، ومهارة قراءة القرآن التي تتركز عليها، وكلها باللغة العربية.

وانطلاقا من محبة القرآن الكريم، وبناء على إرادة التعمق في فهم معاني القرآن ومضامينها، فقد دفعني هذا إلى أن أتعلم اللغة العربية بصورة أكثر تركيزا وفعالية، وقد حصلت عليها عندما اخترت مواصلة دراستي في أحد المعاهد الإسلامية في جاوه الشرقية، وهو معهد دار السلام، قونتور، بونوروقو، جاوه الشرقية، الذي اشتهر بنجاحه في تدريس اللغة العربية وتعليمها والتطبيق عليها.

تعلمت اللغة العربية بصورتها الكاملة كتابة ونطقا وسماعا وتحدثا، وإنشاءً للمقالات، وحفظًا للكلمات الجديدة، ولي في كل يوم كلمات جديدة لا بد أن أحفظها، وأستعملها في المحادثة اليومية، وهذا المعهد ساعدني كثيرا على تعلم اللغة العربية بصورتها المتكاملة؛ لجدية المعهد مع طلبته للحياة باللغة العربية، حتى إن المعهد أجبر الطلبة على التحدث باللغة العربية، أو باللغة الإنجليزية، وهناك عقوبة للطلبة الذين لا يتحدثون باللغة العربية، حيث إن المخالف سوف يدعى إلى محكمة اللغة علنا أمام الملأ في مسجد المعهد، تلك العقوبة جعلت من لا يتحدثون باللغة العربية يشعرون بالخجل، ولا يريدون أن يخالفوا النظام اللغوي مرة أخرى، وألا يتكلموا بغير اللغة

العربية؛ لذا لا بد من المهارة باللغة العربية في صورة المهارة بالكلام باللغة العربية، ووجود محكمة اللغة من بين خصائص هذا المعهد من أجل ضمان الفاعلية لنظام المعهد في فرض التحدث باللغة العربية على طلبته، فهو نظام فريد من نوعه لا يوجد له مثيل في المعاهد والمؤسسات التعليمية الأخرى.

في بداية تعلمي للغة العربية لم أكن تعلمت قواعد النحو والصرف، ووفقا للقواعد المطبقة في معهدي فإن الأولوية هي الشجاعة الذاتية، كيف أتحدث وأتعامل مع اللغة العربية بدون أن أخاف من الوقوع في الخطأ بسبب التقيد بالقوانين الموجودة في قواعد النحو والصرف؟

وفي السنة الثانية بدأت أتعلم قواعد النحو وقواعد الصرف، وفي الوقت نفسه ما زلت أحفظ الكلمات الجديدة؛ لكي أستخدمها في درس الخطابة باللغة العربية، حيث أمارس وأتابع نشاطات الخطابة باللغة العربية مرة في الأسبوع، وفي الوقت نفسه أزيد حفظي من الكلمات العربية مرتين في اليوم بعد صلاة المغرب، وبعد صلاة الصبح، بعد أن أنتهي من قراءة القرآن.

ومما ساعدني على تعلم اللغة العربية أن الكتب والمراجع التي أستعملها في مواد دراستي مكتوبة باللغة العربية، وهذا الذي ساعدني على تطوير مستوى قدرتي في اللغة العربية، وإذا قابلتني كلمة لا أدرك معناها فإنها ستكون هي الكلمة الجديدة التي أحفظها، وأبحث عن معناها بالرجوع إلى القواميس المقررة في المعهد، مثل: قاموس المنجد، وبالتالي ستزيد قدرتي في التعامل والحياة مع اللغة العربية.

وبعض أساتذتي في اللغة العربية منهم من تخرجوا من المعاهد الإسلامية في إندونيسيا، وهم الذين ألفوا الكتب المدرسية المقررة لتعليم اللغة العربية، سواءٌ أكانت في المادة المخصصة لدراسة اللغة العربية، أو المواد الأخرى المدروسة في المعهد، وعن طريق هؤلاء الأساتذة الذين درسوا اللغة العبية في إندونيسيا نتعلم ونتعامل مع

اللغة العربية، كأندونيسي يتحدث باللغة الإندونيسية، أو باللغات المحلية الأخرى.

ومنهم من تخرجوا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومن جامعة الأزهر الشريف بمصر، فهم ساعدوني في تطوير قدرتي في اللغة العربية، يعلمونني اللغة العربية، وأتعلم منهم طريقة النطق الصحيح باللغة العربية، وكيفية وضع الكلمة المناسبة في الجملة الواحدة، كما يفعل العرب الناطقون بلغتهم الأصلية.

وإلى جانب تعلمي اللغة العربية باللسان، وبالعقل، وبالحفظ، فإنني كنت أتعلم بالاستماع، حيث أستمع إلى أساتذتي الذين تخرجوا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والأزهر الشريف، وأنصت إلى محادثاتهم، وكذلك الاستماع إلى الإعلانات الرسمية في المعهد، التي تعلن عبر مكبر الصوت في مسجد المعهد، حيث إن الإعلانات اليومية تلقى باللغة العربية؛ لذا تعلمت اللغة العربية بشكل متكامل؛ عن طريق البصر، والسمع، والحفظ، وتطبيق المحادثة، حتى أستطيع أن أطور قدرتي في اللغة العربية باستمرار؛ لأن المعهد الذي أدرس فيه اللغة العربية أنشأ بيئة حيوية للحياة باللغة العربية، تلك البيئة تشجعني وتحميني بمحكمة اللغة التي ستفرض العقوبة الأدبية للطلبة الذين لا يتحدثون باللغة المفروضة، وهي اللغة العربية.

وبفضل الله وكرمه وفقت للقبول في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بالمملكة العربية السعودية؛ لمواصلة دراستي الجامعية، وعندما قبلت في تلك الجامعة تأخرت في المجيء إلى المدينة المنورة جدًّا، وفي أول يوم دخلت إلى الجامعة في كلية الدعوة وأصول الدين بقي لي يوم واحد فقط للدراسة، وبعده تبدأ الإجازة للاختبار في الفصل الدراسي الأول، وإدارة الجامعة سهلت عليَّ الأمر وأخبرتني بأنني يمكنني أن أدخل الاختبار التعويضي؛ لأنني لم أحضر في المحاضرات في ذلك الفصل الدراسي إلا يوما واحدا، ولكني اخترت أن أشارك في الاختبار بغرض التعرف إلى أي مدى وصل مستواي في تعلم العلوم الدينية التي تعلمتها في إندونيسيا، واللغة العربية التي

تعلمتها في المعهد، وهل هي مفهومة ومعتبرة، وأداة صحيحة لفهم الكتب المقررة والمراجع المعتبرة في العالم العربي وفي جامعاته؟ ، وبحمد الله ثبت لي أن اللغة العربية التي حملتها من إندونيسيا فاعلة، وساعدتني كثيرا لتمكنني لأن أتعلم وأفهم وأجيب على كل الأسئلة في الاختبار جيدا، ونجحت في كل المواد المقررة بنتيجة جيدة، ولم أرسب في الاختبار في أي مادة.

إن الإقامة في المدينة المنورة، والدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من أعظم نعم الله، ومن أكبر الفرص لدراسة اللغة العربية، وتعميق القدرة على التعامل باللغة العربية في كل جوانبها: مهارة الاستماع، ومهارة القراءة، ومهارة الحفظ، ومهارة الفهم، ومهارة الكلام، ومهارة الإنشاء والكتابة، فضلا عن تواجدي في مدينة النبي محمد-صلى الله عليه وسلم-الذي كان أفقه وأفصح الناس في اللغة العربية، فكل الأشياء في المدينة المنورة تساعد على تعلم اللغة العربية، وعلى ترقية الملكة اللغوية بشرط وجود الوعي والإرادة، وبذل الجهد لترقيتها إلى أقصى حد ممكن.

إن أحوال المدينة المنورة غير أحوال معهدي في إندونيسيا عندما كنت فيه، فهناك محكمة اللغة التي تفرض العقوبة على الطالب الذي لا يتكلم باللغة العربية، ولا يوجد مثل ذلك في المدينة المنورة، فمن ليس لديه الوعي لترقية قدرته، ولا ينتهز فرصة وجوده في المدينة المنورة لترقية ملكته اللغوية، فإنه لن يستطيع أن ينمي قدرته في اللغة العربية، فلذلك وجدنا كثيرا من الطلبة يعودون إلى إندونيسيا بعد انتهائهم من الدراسة الجامعية، وليست لديهم تلك المقدرة اللغوية المتوقعة بعد دراستهم تلك.

وقد انتهزت فرصة وجودي في المدينة في الالتقاء بالمتحدثين الأصليين باللغة العربية، وهم أصدقائي الطلبة، وأساتذتي ومشايخي الذين جاءوا من البلدان العربية، منهم من يأتي من السعودية، ومن اليمن، ومن العراق، ومن لبنان، ومن السودان، ومن مصر، ومن الأردن، ومن سورية، ومن المغرب، ومن الجزائر، ومن تونس، ومن

مالي، وغيرها من البلدان العربية أخرى، وأتعمد اللقاء بهم كثيرا حتى تتطور قدرتي في اللغة العربية، خصوصا لفهم النصوص في الكتب والمراجع، سواء أكانت تراثية أم حديثة، وكذلك في المحادثة، وفي فهم كلام الناس.

وبجانب محاولتي تطوير قدرتي اللغوية عن طريق قراءة الكتب المقررة والمراجع التي تستخدم اللغة العربية الفصحى، كنت كذلك أزاول نشاط قراءة الجرائد والمجلات الدعوية والعلمية المكتوبة باللغة العربية، فبهذه الطريقة أرقي قدرتي في اللغة العربية، وأطورها حتى تمكن من مزيد من الفهم للكتب والمراجع التراثية والحديثة، واستيعاب المحاضرات التي تلقى في الجامعة، ومن أجل تطوير قدرتي على اللغة العربية.

ومن أجل أن أخطو خطوات عملية واقعية في تعلم اللغة العربية، وفهم معانيها أستمع -أيضا- إلى الإذاعة أو الإذاعة التي تبث باللغة العربية، مثل: إذاعة القرآن الكريم من الرياض، بالمملكة العربية السعودية، و«بي بي سي» من لندن، التي تستخدم اللغة العربية الفصحى، فهذا النشاط جعلني أكثر حيوية وتفاعلية في التعلم وترقية اللغة العربية.

وإن كنت قد درست في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فإنني تعلمتُ -أيضا- النحو والصرف والأدب، فضلا عن المواد المتعلقة بكليتِـي كلية الدعوة وأصول الدين، وكل المحاضرات والاختبارات، والأسئلة والأجوبة كلها باللغة العربية الفصيحة، وفهم المواد الدراسية التي تعلمتها باللغة العربية وإتقانها كان من الدوافع المهمة لترقية قدرتي اللغوية.

هناك شيء مهم نسيه طلاب العلم من الدول غير العربية كثيرا، وهو التنسيق والانسجام بين القدرة على إتقان المواد الدراسية والعلمية المكتوبة باللغة العربية، وبين القدرة على التخاطب والمحادثة باللغة العربية، فلذلك وجدنا كثيرا من الذين

درسوا اللغة العربية في الجامعات العربية عندهم علم ومعرفة وإلمام باللغة العربية، وقدرة على فهم النصوص في الكتب والمراجع، ولكنهم ليسوا على المستوى نفسه في المحادثة والمخاطبة باللغة العربية، ولكنني بفضل الله انتهزت فرصة دراستي في مرحلة البكالوريوس (الليسانس) والماجستير والدكتوراه، حيث فرض علي أن أكتب البحث والرسالة العلمية في موضوعات مختلفة ومتعددة، وكذلك من أجل ترقية قدرتي على المحادثة والمخاطبة باللغة العربية، بالاستفادة من مواد اللغة العربية الكثيرة التي استخدمتها في إعداد بحوثي ورسائلي الجامعية، في مراحل: الليسانس والماجستير والدكتوراه، فقد اتخذت هذا الأمر فرصة لتطوير قدرتي ومهارتي في الكتابة باللغة العربية، وإلى جانب ذلك فإن الإشراف والإرشاد من الأساتذة والمشايخ لهما دور مهم في التصويب والتصحيح والترقية في طريق تعلم اللغة العربية.

ومن أجل ترسيخ قدرتي في اللغة العربية-أيضًا-كوَّنْتُ فريقا صغيرا من زملائي الطلبة الإندونيسيين؛ لنلتقي في وقت مقرر يوميا للمحادثة والحوار والمناظرة باللغة العربية، بذلك تعلمت اللغة العربية، واستخدمتها في الحياة اليومية، وما زلت أستخدمها إلى الآن؛ لأن الدافع الأول لتعلم اللغة العربية منذ البداية هو القدرة على قراءة القرآن، والمحبة للقرآن، وفهم تعاليم الإسلام، ثم حب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وحب تعاليمه وحب مدينته المنورة، وحب اللغة العربية، وهذه كلها دوافع مهمة فاعلة تشجعني وتحمسني لتعلم اللغة العربية والمحافظة عليها إلى الوقت الحاضر، وإلى أن ألقى الله-عز وجل-، الذي أنزل القرآن الكريم باللغة العربية.

إن تعليم اللغة العربية في إندونيسيا له علاقة تاريخية بدخول الإسلام في هذه البلاد، حيث كان تجار العرب ودعاة الإسلام قد جاءوا إلى إندونيسيا في جزيرة سومطرة، وأخذوا مركزا هناك للتجارة ونشر دين الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري، بل في أواخر القرن الأول للهجرة، وكما تروي بعض كتب التاريخ فإن بعض التجار

الإندونيسيِّين قد وصلوا إلى بغداد أيَّام الخليفة العباسي هارون الرشيد، وعندما قَفَلوا راجعين كانوا يحملون بين جوانحهم عقيدة الإسلام، وعندما وَصَلُوا إلى بلادهم دعوا الإندونيسيين إلي الإسلام، ونظراً للحاجة إلى نشر مفاهيم الإسلام، والقدرة على قراءة القرآن الكريم، ولفهم معانيه وتعاليمه، وفهم أحاديث النبي-صلى الله عليه وسلم-، وكلها باللغة العربية، بدأ هؤلاء العرب يعلمون الإندونيسيين اللغة العربية، وبعد دخول الإسلام إلى إندونيسيا، واعتناق الكثير من السكان الإندونيسيين له، انتشرت ظاهرة الكتاتيب، وكثر قرّاء القرآن الكريم، ومُعلِّمو اللغة العربية.

إن تكامُلَ تجارب الإندونيسيين ونجاحهم في تعليم اللغة العربية، سواء أكانت على الطريقة القديمة، أم على الطريقة الحديثة، أم على الطريقة الانتقائية، أم على طريقة الجمع، أوصلهم إلى مرحلة النضوج في تعليم اللغة العربية، وإلى مرحلة الإنتاج الفكري العلمي.

وتعليم اللغة العربية على الطريقة القديمة هو بطريقة ترجمة الكتب الدينية العربية شفهيا من المعلم؛ بهدف تلقين العلوم الدينية من الكتب العربية المعتبرة عندهم، وفي هذا القسم ثلاثة أنواع، منها: التلقين العام (weton)، ومنها: عرض القراءة على المعلم (sorogan)، ومنها: تدريب المناقشات من الكتب المدروسة في برنامج بحث المسائل، وتجري المناقشة في الغالب باللغة المحلية، وكذلك بتعليم الكتب اللغوية، كالنحو والصرف والبلاغة والنصوص الأدبية بالطريقة نفسها في تعليم الكتب الدينية العربية، أي: بطريقة النحو والترجمة.

وتعليم اللغة العربية على الطريقة الحديثة أخذها الإندونيسيون من طريقة التدريس في مدارس المستعمرين الهولنديين، حيث تتميز بالفصول الدراسية المنظمة، وبالمناهج المتدرجة السهلة التي ظهرت فعاليتها، وخصوصا في تعليم اللغة الهولندية واللغة الانجليزية وغيرهما من اللغات الأوروبية؛ إذْ يتمكن التلاميذ في هذه المناهج

من اكتساب اللغة الهولندية في أقصر وقت مقارنة بتعليم اللغة العربية في المعاهد التقليدية.

ومن المعاهد التي نجحت في مجال تعليم وتدريس اللغة العربية: معهد دار السلام كونتور الحديث، بونوروكو، جاوه الوسطى، أو يشتهر بالمعهد العصري كونتور، وأنا أحد خريجي هذا المعهد، ولقد اجتهد المعهد في تعليم اللغة العربية المبنية على الطريقة الحديثة، بحيث أتقن وداوم وواصل ممارسة تنفيذ الطريقة الحديثة في تعليم اللغة العربية منذ العشرينات من القرن العشرين حتى الآ.

ومن امتيازات معهد كونتور العصري: الجمع بين المذهبين الأساسيين في نظام التربية، أولهما: مذهب نظام المعهد التقليدي، وثانيهما: مذهب نظام المدرسة المنظمة الذي يتميز في ترتيب المناهج المتدرجة السهلة، وفي ترتيب المستوى أو الفصل حسب مراحل تطور الإنسان، ونجح هذا النظام في غرس المعلومات في أذهان التلاميذ، وتمكينهم من اللغة الأجنبية في أسرع وقت ممكن، مثل: اللغة العربية والإنجليزية المستخدمة يوميا هناك، وبهذه الطريقة انتشرت طريقة تعليم اللغة العربية على الطريقة الحديثة في إندونيسيا في المدارس والمعاهد والجامعات، وفي المؤسسات التربوية الأخرى، لا سيما مع إنشاء معهد العلوم الإسلامية والعربية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود بجاكرتا، فلهذا المعهد فضل كبير في ترقية الاهتمام باللغة العربية، والقدرة على التحدث بها، والتعامل مع المراجع والمصادر باللغة العربية، عن طريق المعهد وأساتذته ومشايخه، وعن طريق خريجيه الذين نشروا اللغة العربية وعلومها، حيث نشروها في جميع أرخبيل إندونيسيا.

غير أن هناك مشكلات وتحديات عدة تواجه تعليم اللغة العربية في إندونيسيا قديما وحديثا، ومن هذه التحديات والمشكلات:

- الإيهام بصعوبة العربية: انتشر في أذهان الناس أن اللغة العربية لغة صعبة،

عصيّة على التعلم، وأنها لغة قديمة، وقواعدها بائدة، لا علاقة لها بالحداثة، ولا يمكن لها التعبير عن علوم العصر، والمتعلم بها متهم بالتخلف، ولا يجاري مع تطور العصر وسوق العمل، والماهر بها من الصعب أن يحصل على العمل والمنصب وغير ذلك، وشهد الواقع بذلك، والحق أن هذه الأمور لا علاقة لها باللغة العربية؛ لأن اللغة العربية الآن من اللغات المستخدمة والمعتبرة في الأمم المتحدة، والماهر باللغة العربية من السهل أن يجد العمل في مجال التدريس والتعليم والترجمة في الأحداث العالمية، بل هناك مجال للعمل في وزارة الخارجية، أو الوزارة الدينية، والمجالات الأخرى، وأنا شخصيا أعمل في المجال السياسي، وبمهارتي في اللغة العربية أستطيع أن أكون نائبا لرئيس مجلس الشورى الشعبي لجمهورية إندونيسيا، بل كنت رئيسا له، ونجحت في رئاستي، ونجحت كذلك في تكوين جماعات الضغط مع أعضاء البرلمانات في منظمة التعاون الإسلامي من أجل انتخاب إندونيسيا رئيسا لهذه المجموعة، وهذه الجماعات كلها باللغة العربية.

– البيئة اللغوية: إن تعليم اللغة العربية يكاد يكون مقتصرا على بيئات محددة، ويتقيد بالمناهج التقليدية، بخلاف اللغات الأجنبية الأخرى التي تُدرس على نطاق واسع، وبأحدث ما وصل إليه التطور في مجال التعليم لهذه اللغات، فلا بد من توسيع البيئات المعنية بترقية مهارات اللغة العربية في كل جوانبها: كالقراءة، والكتابة، والمحادثة والاستماع.

– أن بعض المعاهد تستند في دراستها للغة العربية على بعض الكتب الدينية واللغوية التي لم يكن إعدادها لأهداف تعليمية للمبتدئ في تعلم اللغة العربية؛ فلذلك يجب على المعاهد أن تستعين في تعليم اللغة العربية بالكتب المتخصصة في تعليم المبتدئين اللغة العربية، مثل: كتاب سلسلة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أو كتاب العربية بين يديك، وغيرهما.

- قلة المتخصصين في مجال تعليم اللغة العربية، وقلة إقامة الدورات التدريبية للمعلمين؛ لترقية وتحسين أدائهم في تعليم اللغة العربية، فهؤلاء المعلمون في حاجة ماسة إلى إقامة مثل هذه الدورات والورش التعليمية العملية، لأجل تحسين أدائهم، وتأهيلهم لغويا، والإكثار من حملة شهادات اللغة العربية في الجامعات والمعاهد والمدارس والمجتمع.

مهما يكن من أمر فإن مستقبل اللغة العربية في إندونيسيا منفتح ومشرق، وقد حدثت الآن تطورات مبشرة، منها: وجود برامجَ مكثفة لتعليم اللغة العربية في المدارس والمعاهد والجامعات، وإنشاء معاهد دولية لتعليم اللغة العربية، ووجود تخصص تعليم اللغة العربية على مستوى الماجستير والدكتوراه، وتعليم اللغة العربية من خلال الوسائل الإعلامية الحديثة وشبكة الإنترنت.

وعودة الخريجين من الجامعات في الدول العربية، حيث عادوا إلى إندونيسيا بقدرتهم العالية على التعليم، والتعامل مع اللغة العربية، فأنشأوا المعاهد والجامعات التي تُعنَى باللغة العربية، ومع العود إلى الإسلام الصحيح في إندونيسيا فإن هذا يؤدي إلى اهتمام المسلمين باللغة العربية التي هي لغة القرآن والحديث النبوي، واللغة الدولية المتداولة في تعاملاتهم مع الشعوب الإسلامية والشعوب الأخرى المتعاملة مع الدول العربية المستخدمة للغة العربية.



تعلم اللغة العربية - صعوبة محبوبة

د. مصطفى حجي

المفتي العام في الجمهورية بلغاريا

- درس البكالوريوس في الشريعة الإسلامية في جامعة اليرموك بالأردن.
- حصل على الماجستير في تاريخ الأديان من جامعة صوفيا الجديدة.
- حصل على الدكتوراه من جامعة مرمره في إسطنبول.
- في عام ٢٠٠٠م انتخب رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى لمدة ثلاث سنوات.
- في عام ٢٠٠٤م عين مديراً للمعهد الإسلامي في صوفيا.
- في عام ٢٠٠٥م انتخب مفتياً عاماً للمسلمين في بلغاريا.

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن اللغة العربية لغة القرآن، من تعلمها وأتقنها فهم القرآن، ومن فهم القرآن وجد حلاوة الإيمان وسعادة الحياة، ولا غرابة إذا رأينا بعض علماء النفس أو علماء الطب أو العلماء من التخصصات الأخرى من غير المسلمين، عندما يجدون الآية القرآنية تذكر شيئا يتعلق بتخصصاتهم يبحثون عن معاني القرآن الكريم، ثم بعد ذلك يتعلمون اللغة العربية لفهم معاني كتاب الله، ويكون هذا سبب هدايتهم، بل إننا نجد بعض المستشرقين يتعلمون العربية لتكذيب القرآن والإسلام، ولكنهم بعد تعلمهم العربية، وقراءتهم لكتاب الله يجدون أن القرآن كلام الله، وأن الإسلام دين حق.

فاللغة العربية وإن كانت لغة أمة العرب، فإنها ليست حقًّا للعرب فقط، اللغة العربية حق لكل مسلم على وجه الأرض، ويجب على كل مسلم تعلمها وتعلم ثقافتها والدفاع عنها.

في هذه المقالة سأحاول أن أسرد الطريقة التي سلكتها في تعلم اللغة العربية، والتحديات والمشاكل التي واجهتني في ذلك، فبالنسبة لي لم تكن اللغة العربية لغتي الأم، بل تعلمتها بعد ما أحببتها، وما زلت أتعلمها، وسأبقى أتعلمها حتى نهاية عمري إن شاء الله، هذا وبالله التوفيق.

وأما التعرف على اللغة العربية فقد كنت أزور المسجد في قريتي مع جدي وأنا صغير، عمري ثمان سنوات، وكنت أنظر إلى اللوحات المكتوب عليها: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، و-بسم الله الرحمن الرحيم-، وكنت أستغرب كيف يستطيع جدي أن يقرأ هذه اللوحات؟ أنا كنت أقرأ باللغة البلغارية، وبالحروف الكيريلية، ولكن هذه اللوحات كانت مختلفة، والمصلون يعتبرونها مقدسة، ولكنها غير مفهومة لي، كنت أخجل أن أسأل جدي: كيف تقرأ هذه اللوحات؟، إضافة إلى أنه في ذلك

الوقت كان ممنوعا تعلم القران والدين، وأنا كنت أحفظ بعض السور القصيرة التي أقرؤوها في الصلاة، وكل هذا كان يحدث بطريقة سرية.

وعلى هذا استمر الحال، أذهب إلى المسجد، وأنظر إلى الكتابة المقدسة، مع رغبة عظيمة في أن أتعلم قراءة اللغة العربية والقرآن الكريم، لم يكن هناك أي تشجيع لتعلم القرآن والدين، بل بالعكس أي استفسار عن الدين كان يعتبر تخلفا وشيئا غير لازم؛ فالأفكار الشيوعية كانت تسود المجتمع، وحتى الفئة القليلة التى ترفض النظام الشيوعي كانوا يهتمون بحياتهم المادية، أما الدين والقران أو اللغة العربية فكانت تعتبر أشياء تخص كبار السن دون الشباب، لكنني كنت أحب القرآن الكريم، وكنت أبحث عن الطريق لتعلم قراءته بالحروف العربية، وفي نفس الوقت كنت أدرس في المدرسة البلغارية، وأسمع كل يوم الأفكار الملحدة كل درس في التاريخ والفيزياء وغيرهما.

أثناء زيارتي لبيت جدي كنت أحب أن أسمع كيف يقرأ كتاب الله بحروف أصلية؟، وأتمنى أن أقرأ مثله، وفي يوم من الأيام ذهبت إلى بيت جدي، ووجدته يقرأ القران الكريم، وجلست عنده كما كانت العادة، عندها أخرج جدي كتيبا صغيرا من تحت الطاولة الصغيرة التي كان يضع عليها المصحف القديم، وعندما سألته: ما هذا الكتاب؟أ أجابني جدي: «هذا كتاب ألف باء»، هذا الكتاب لتعلم الحروف الأصلية لقراءة القرآن الكريم، رأيت هذا الكتيب، فبدأت أتعلم الحروف العربية، وكان جدي أول أستاذ لي، مع أنه كان يقرأ القران ولا يفهم معانيه، ومع هذا لم يكن يتقن قراءة غير العربية، لم يكن جدي معلما، ولكنه بدأ يعلمني بطريقة قديمة وصعبة كما كان يتعلم هو في صغره، وهكذا تعلمت قراءة العربية، وكنت فرحا جدا لهذا النجاح.

وأما بداية تعلم اللغة فقد كانت صعبة حيث كنت طالباً في الصف السابع في المدرسة، وتحدثت مع بعض الزملاء أنني تعلمت قراءة العربية، ولكني لم أكن أفهم

معاني القرآن الذي أقرؤوه، وبالتالي بدأت أشعر بالنقص في هذه المعلومات، عندما كنت أسال جدي عن معاني القرآن، فكان يجيبني أن فهم معاني القرآن شبه مستحيل؛ لأننا لسنا عربًا، ويكفينا قراءة القرآن، وأما المسائل الدينية فنتعلمها من كتب باللغة التركية القديمة؛ لذلك بدأت أتعلم اللغة التركية بالحروف العربية، وعن طريق هذه اللغة تعلمت كلمات عربية كثيرة؛ لأن اللغة العثمانية (اللغة التركية القديمة) كان ثلاثون أو أربعون بالمائة من مفرداتها كلمات عربية، بدأت أطلب من المشايخ في قريتي أن أتعلم منهم أكثر عن الإسلام عن طريق الكتب القديمة، ولكن لم يكن لديهم معلومات كافية، وكانوا يخافون من الحكومة؛ إذ كان تدريس الدين والقرآن ممنوعا في هذا الوقت.

بعدما أنهيت دراستي في الصف الثامن في المدرسة التحقت بالمدرسة الثانوية لعلوم الغابات في مدينة فلنغراد، وهي مدينة قريبة من قريتي، وفي يوم من الأيام رأيت في المسجد ثلاثة شبان عرب، كانوا يدرسون في الجامعة في صوفيا، هؤلاء صلوا معنا، وبعد الصلاة تحدثوا فيما بينهم باللغة العربية، أنا فهمت بعض الكلمات، ولكن لم أفهم كلامهم، من هذا الوقت عزمت على أن أتعلم اللغة العربية مهما كانت الصعوبات.

بعد سنة تقريبا تعرفت على شاب بلغاري مسلم كان يدرس اللغة العربية في جامعة صوفيا، ولكن لم يكن ملتزما بالدين، في البداية استغربت من حال هذا الشاب، كيف يدرس اللغة العربية، ويفهم معاني القرآن الكريم، ولا يصلي؟ طبعا الحكومة البلغارية كانت تدرس اللغة العربية للمستشرقين لمحاربة الديانة الإسلامية، ولكن لم أكن أفهم سياسة الدولة.

هذا الشاب أهدى لي قاموسًا عربيًّا روسيًّا، كنا نكره اللغة الروسية كل الكراهية، ولكن كنا نفهمها؛ لأننا درسناها مادةً إجباريةً في المدارس، وهي قريبة من اللغة

البلغارية، ففرحت جدا لهذه الهدية؛ لأنني وجدت فرصة في أن أتقدم في دراسة اللغة العربية، وبدأت أتعلم بعض الكلمات، ولكن لم أستطع إنشاء الجمل، ولذلك لم ينفعني هذا القاموس كثيرا.

ذهبت إلى الشيخ حليم الذي كان يسكن في مدينة فلنغراد، ودرست عنده بعض الكتب الدينية باللغة العثمانية، وهو كان يفهم اللغة العربية، وطلبت منه أن يعلمني اللغة العربية، ولكنه قال لي: إن هذا أمر صعب، ويحتاج إلى زمن طويل، وعندما أخبرته بأمر الشاب الذي يدرس اللغة العربية في جامعة صوفيا، قال: إن اللغة العربية تدرس في الجامعة بطريقة خاطئة، والقصد من هذه الدراسة إفساد الإسلام، وتضليل المسلمين، ومع هذا كان يشجعني على دراسة اللغة العربية.

كنا نكره كل شيء يأتي من البلغار، وخاصة من الحكومة الشيوعية، وقد وجدت بعض الكتب لدراسة قواعد اللغة العربية، ولكنها كانت قديمة، ولم أجد المدرس الذي يستطيع تدريس هذه الكتب وهذا المنهج، وعلى الرغم من كل شيء بدأت دراسة اللغة العربية، محاولًا أن أقرأ، وأحيانا أسأل الشيخ حليم.

تعرفت على الشيخ إبراهيم الذي كان يسكن في قرية تبعد عن قريتي بسبعين كيلو مترا، وكان الشيخ أيضا كبير السن، وكان يقرأ كتب الفقه والتفسير والأحاديث باللغة العربية، ولكنه لم يكن مدرسا، وفي الوقت نفسه تعرفت على ابن الشيخ إبراهيم الذي كان يدرس اللغة العربية، وأحيانا كان يحفظ العبارات دون فهمها، وأهم من كل هذا فإن تدريس اللغة العربية كان ممنوعا، وكان هذا هو السبب الأساسي في صعوبة تعلم اللغة العربية .

وبعد سنة تقريبا تعرفت على بعض الشباب العرب كانوا يدرسون في الجامعات البلغارية، هؤلاء الشباب زودوني بالكتب الحديثة لدراسة اللغة العربية، قراءة هذه الكتب كانت خطوة جيدة لتعلمي اللغة العربية، طبعا كان هدفي من تعلم اللغة

هو فهم القرآن والكتب الإسلامية، وهكذا بدأت بمحاولة قراءة الكتب الأساسية الدينية، وأحيانا كنت أجد صعوبات في فهم العبارات، ولكن بعون الله أصبحت أفهم الكتب بشكل عام، و بدأت أترجم بعضها إلى اللغة البلغارية .

بقيت على هذا الحال حتى سنة ١٩٨٩م عندما سقط النظام الشيوعي في بلغاريا، ووجدت الفرصة لتعلم الدين وتعليمه، وطبعا كانت اللغة العربية الوسيلة الأساسية لتعلم الإسلام، وخاصة لفهم القرآن الكريم.

بعد سقوط النظام الشيوعي انفتحت بلغاريا على العالم الإسلامي والعربي، وكثير من الشباب البلغاري التحقوا بالدراسة في كليات الشريعة في الجامعات في الدول العربية، وخاصة في المملكة العربية السعودية.

وفي بداية سنة ١٩٩٣ ذهبنا إلى المملكة الأردنية الهاشمية لدراسة الشريعة، وطبعا دراسة اللغة العربية كانت ضرورية، كنا مجموعة من أحد عشر شخصا، وبعض الشباب كانوا مبتدئين في دراسة اللغة، وبعضهم كانوا متقدمين، ولكننا جميعا بدأنا في نفس المستوى، ولهذا السبب بدأ المدرس التدريس من الحروف العربية، وبالتالي لم نستفد كثيرا من هذه الدراسة بسبب بساطة المستوى، ولذلك حاولتُ تطبيق اللغة العربية مع العرب، وهذا كانت فائدته أكثر من الدراسة في مركز اللغات، مع دراستي في مركز اللغة بدأت قراءة الكتب في النحو والصرف، في البداية قرأت كتاب النحو الواضح، ثم بعد ذلك قطر الندى وكتبًا أخرى.

وعلى الرغم من كل الصعوبات فإننا-ولله الحمد-استفدنا من الدراسة في مركز اللغات، وفي الوقت نفسه بدأت دروس اللغة العربية في المسجد، إمام المسجد كان يدرس شرح الآجرومية، كانت هذه الحلقة مفيدة ومباركة، حتى إذا انتقلنا الى مدينة إربد في شمال الأردن للدراسة في جامعة اليرموك-أيضا-كنا نحضر دروس اللغة العربية في حلقات المساجد.

في السنة التالية قدمنا الأوراق لدخول الجامعة، ولكن بعدما قبلنا في الجامعة- أيضا-درسنا اللغة العربية فصلا دراسيا في نفس الجامعة، هذه الدورة كانت مفيدة جدا، وبعد نهايتها شعرنا بالجاهزية للدراسة في الجامعة.

بناء على ذلك لا أستطيع أن أقول: إنني التزمت بمنهج معين؛ لأني جربت طرقًا مختلفة في دراسة اللغة العربية حتى وصلت إلى الجامعة، و مع كل ذلك فهمت الطريقة القديمة، والطريقة الحديثة في دراسة اللغة.

في المنهج الدراسي الجامعي كان هناك مادة «اللغة العربية»، حيث درسنا من كتاب شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وأيضا كان هناك مادة في الأدب العربي، هذه الدراسات فتحت أمامنا آفاقًا جديدة، وساعدتنا على أن نستشعر العمق والغنى في اللغة العربية.

بالنسبة لي لم يصعب عليَّ قراءة الكتب وفهمها، ولكن كنا نجد الصعوبة في الكتابة، وبالتالي من بداية وجودي في الأردن كنت أتدرب على الكتابة حتى كتابة اللوحات التي أراها في الطرق.

ومهما كان الجهل بالدين في بلغاريا، فالمسلمون البلغار يحبون اللغة العربية، ويحترمون المتحدثين بها، وبالطبع هذا له علاقه بالإيمان بأن اللغة العربية لغة الجنة، إضافة إلى أن اللغة العربية لغة القران، واللغة التي تحدث بها رسول الله-صلى الله عليه و سلم-؛ ولذلك فإن كل من يحب القرآن الكريم ورسول الله-صلى الله عليه وسلم-يحب اللغة التي تعينه على فهم معاني القرآن الكريم وكلام النبي-صلى الله عليه و سلم-.

لا يستطيع كل واحد أن يتقن اللغة العربية، ويتحدث بها، ولكنه تعلَّمَ قراءة القرآن الكريم، حتى كتابته أمنية كل مسلم، وإذا كان هناك شخص لم يستطيع تعلم القراءة فالمطلوب منه على الأقل حفظ السور القصيرة حتى يستطيع إقامة الصلاة.

أما الذين تعلموا اللغة، وفهموا معاني النصوص فهم أئمة المسلمين ومشايخهم، ولهم مكانة خاصة لدى المسلمين؛ لأنهم ينتسبون إلى الديانة الإسلامية، ويعتبرون أنفسهم جزءا من الأمة الإسلامية التي لغتها الأصلية اللغة العربية، والمتعلمون لِلَّغَةِ العربية لهم-أيضا-مكانة خاصة عند غير المسلمين؛ لأن إتقان اللغة الإنجليزية أو أي لغة أوروبية شيء معتاد لدى البلغار، ولكن إتقان اللغة العربية شيء آخر.

كان تعلم اللغة العربية سببا للتغيرات الإيجابية في حياتي، ومن أهم هذه الإيجابيات:

أ - اقترابي أكثر من القرآن الكريم وفهمه.

ب- تذوق حلاوة العبادة، وخاصة الصلاة.

ج- سهولة تعرفي على المسلمين في أنحاء العالم، وخاصة العرب.

د- فهم أوضاع المسلمين، والارتباط بهم، والاهتمام بأحوالهم.

هـ- فهم الشريعة الإسلامية من مصادرها الأصيلة.

و- شعرت بأن وجودي في هذه الدنيا له معنى وأهمية؛ لأنني رغم الصعوبات التي واجهتني في تعلم اللغة العربية فإنني لم أستسلم، فصرت بعد ذلك لا أستسلم لأي مشكلة في حياتي بفضل الله.

ز- إمكانية تقديم الخدمة للإسلام والمسلمين، وهذا عن طريق تدريس الطلاب، وتبادل الآراء العلمية مع الزملاء.

ح- بعد انتخابي مفتيا عاما كانت اللغة العربية من أهم المكتسبات السابقة التي تساعدني على أداء هذا العمل، والتعامل مع الآخرين في داخل بلغاريا وخارجها.

ط- أما من الناحية الوظيفية فأنا مفتي بلغاريا، وأدرِّسُ الفقه الإسلامي في كلية العلوم الإسلامية، وبالتالي فإن استفادتي من اللغة العربية في هذا الصدد غنية عن التعريف والخوض فيها.

ى- هذه النقاط القليلة، وغيرها كثير تشير إلى ما أوصلتني إليه اللغة العربية، ومدى استفادتي منها.

ولو أردت أن أقارن بين تجربتي في تعلم اللغة العربية وتعلم اللغة التركية والروسية واللغات الأخرى فأقول:

أولا: اللغة الروسية: اللغة الروسية قريبة من اللغة البلغارية التي هي لغتي الأم، ففي أيام الشيوعية كانت اللغة الروسية مادة إجبارية في المدرسة، من الصف الأول حتى الصف العاشر من الثانوية، وكانت تعقد فيها الامتحانات كل سنة، بل كل فصل دراسي، ولكننا كنا نكره هذه اللغة؛ لأنها كانت لغة المستعمر بالنسبة لنا، إضافة الى ذلك كانت هذه اللغة سببا لإبعاد الناس عن الإسلام؛ لأنه كما هو معروف لدى الجميع بدأت النظرية الشيوعية وأفكارها من روسيا.

ولذلك كان تعلمي اللغة الروسية إجباريًّا، وكنت أحفظ قواعدها للامتحانات فقط، ولم تكن لدي أي رغبة لإتقانها أو استخدامها، وبالتالي فإنني حتى اليوم أفهم وأتكلم اللغة الروسية إلى حد ما، ولا أستعملها، لا في حياتي اليومية، ولا في وظيفتي، أو التعامل مع المؤسسات داخل البلغاريا أو خارجها.

ثانيا: اللغة التركية: هي تعدُّ لغة المسلمين في بلغاريا، فلذلك كل من أراد أن يدرس الديانة الإسلامية فلا بد أن يتقن اللغة التركية، طبعا هذه الأفكار أصبحت من التاريخ، فنحن اليوم ندرس وندرِّس اللغة العربية دون أن نحتاج الى دراسة اللغة التركية، ولكن في السابق عندما كنت طالبا كنت أتعلم اللغة التركية، أو بعبارة أصح: كنا نتعلم اللغة العثمانية، وكنا نكتبها بالحروف العربية، وقد كان أربعون في المائة تقريبا من كلماتها كلماتٍ عربيةً؛ إذن تعلم اللغة التركية بالنسبة لي كان الخطوة الأولى لتعلم اللغة العربية، وخاصة تعلم القراءة بالحروف العربية بلا حركات، ونشير هنا إلى أن تعلم اللغة التركية كان ممنوعاً في زمن الشيوعية، كما كانت اللغة العربية ممنوعةً.

ومع كل ذلك كان تعلم اللغة العربية خطوة ثانية وأعلى في دراسة الشريعة الإسلامية؛ فلذلك كل من كان في استطاعته تعلم اللغة العربية لم يكتف بتعلم اللغة التركية، ومتعلمو اللغة العربية هم المشايخ والأساتذة، أما متعلمو اللغة التركية فهم الطلاب، هكذا كان المسلمون ينظرون إلى طلاب العلم.

ثالثا: اللغات المقدونية والصربية والبوسنية: هذه اللغات قريبة من اللغة البلغارية، وكل بلغاري يفهمها ويتكلم بها عند الحاجة لها، ولكن عندما نتكلم مع المقدونيين أو البوسنيين فإننا نتكلم باللغة العربية إذا كانوا يتقنون اللغة العربية، أو باللغة التركية إذا كانوا لا يتقنون العربية.

رابعا: اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية: اللغة الفرنسية كنا ندرسها في المدرسة، وكانت المادة إجبارية، ولم نتعلم منها إلا عدة الكلمات، وكذلك اللغة الإنجليزية، طبعا إتقان اللغة يفيد الإنسان، ولا يضره، وليتنا تعلمنا كل هذه اللغات، ولكننا لم نكن نفكر في الماضي كما نفكر الآن.

أما اللغة العربية فكنا نعتبر تعلمها عبادة، وبالتالي كنا نحرص كل الحرص على أن نكون قريبين منها، ومن أهلها، لعل هذا كان يسهِّل لنا تعلمها واستعمالها في حياتنا اليومية، واللغة العربية مع أنها لغة غنية جدا وواسعة وصعبة في الوقت نفسه إلا أننا كنا وما زلنا نعتبرها قريبة منا، وبالتالي إذا قارنَّا تعلم اللغة العربية بتعلم اللغات الأخرى فيمكننا أن نقول: إن اللغة العربية ممتعة، وهي لغة صعبة وسهلة في الوقت نفسه، فوصيَّتي بتعلم اللغة العربية، والتعمق في علوم الشريعة الإسلامية، والعمل بها لكل من يريد أن يكون سعيدا في هذه الدنيا، ولا ينبغي أن نخاف من صعوبتها، فالله يوفق كل من يخلص نيته لوجهه الكريم.

وأما دراسة وتدريس اللغة العربية في بلغاريا في هذه الأيام:

أولا: حلقات القرآن الكريم في المساجد: حلقات القرآن منتشرة في مساجد

بلغاريا، ولله الحمد، وأما الدراسة فيها فتنحصر في تعلم الحروف العربية، وقراءة القرآن، وحفظ السور القصيرة، وفي بعض تُدَرَّسُ في المساجد العلوم الإسلامية واللغة العربية، ولكن هذه الحالات استثنائية.

ثانيا: دراسة اللغة العربية في مدارس الأئمة و الخطباء: دراسة اللغة العربية في هذه المدارس (وعددها ثلاث في بلغاريا) ضعيفة، ولكنها تعدُّ خطوة أولى لدراسة اللغة العربية ونشرها، وأيضا اعتبرت وزارة التربية والتعليم في بلغاريا اللغة العربية مادة أساسية في الخطة الدراسية لهذه المدارس.

ثالثا: دراسة وتدريس اللغة العربية في كلية العلوم الإسلامية: في هذه المرحلة يدرس الطلاب اللغة العربية مادةً دراسيةً، وأيضا يدرسون بعض المواد باللغة العربية في الصف الآخر، مثل: دراسة النصوص من كتب الفقه، وفي أثناء الدراسة في الكلية تقام الدورات لدراسة اللغة العربية، وهي مفيدة جدا؛ لأن الطلاب يشاركون في هذه الدورات بناء على رغباتهم الشخصية، وحرصهم على دراسة اللغة العربية.

رابعا: بعض الشباب البلغار يسافرون إلى الدول العربية لدراسة اللغة العربية والشريعة الإسلامية، وهذا بالطبع أفضل الطرق للدراسة.

خامسا: دراسة اللغة العربية في كلية الشرقيات في جامعة صوفيا: هذه دراسة جامعية، وهناك أساتذة خبراء، ولكن القصد من التدريس في هذه الكلية هو إيجاد الكوادر لخدمة مخابرات الدولة البلغارية، ولذلك فإن شباب المسلمين في زمن الشيوعية لم يدرسوا العربية في الجامعة، أما بعد سقوط النظام الشيوعي فقليل من المسلمين يدرسون فيها؛ لأن الدراسة هناك تُعَدُّ دراسة الاستشراق، وكأن الهدف الأساسي ما زال قائما.

أما بخصوص الوسائل والمناهج ففي كلية العلوم الإسلامية تستخدم الكتب لدراسة اللغة العربية، وهي كتب مقررة في مراكز اللغات في الدول العربية، مثل:

دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها، وغيرها من الكتب.

والوسائل الحديثة كالكمبيوتر والمسجلات وما أشبه ذلك، وأما في السنوات الأخيرة فأكثر ما يستخدم لدراسة اللغة العربية هو الإنترنت.

وأما أهم الصعوبات التي تواجه الطلاب عند دراستهم اللغة العربية فهي ممارسة اللغة، فكثير من الشباب يفهمون الكتب باللغة العربية، ولكنهم يجدون صعوبة في التكلم بالعربية؛ لعدم اختلاطهم مع العرب، فمهما نشجعهم على أن يتكلموا بالعربية فيما بينهم فإن محادثاتهم تكون دائما بلغاتهم، وبالتالي لا يستفيدون كثيرا من ناحية ممارسة اللغة.

ولكنْ في السنوات الأخيرة التحق بعض الطلاب من كلية العلوم الإسلامية بدروس اللغة العربية في تركيا، حيث غالبا ما يكون مدرس هذه الدروس من العرب السوريين، ولاحظنا عليهم نتائج جيدة في التقدم في اللغة.

وأما مستقبل اللغة العربية عند المسلمين في بلغاريا ففي نظري هناك كثير من الشباب الذين يدرسون الشريعة الإسلامية يتعلمون العربية بجد، وحتى الطلاب في الجامعات من التخصصات الأخرى يشاركون في دورات للغة العربية، وهم لا يريدون الشهادات أو التخرج، إنما القصد الوحيد من الدراسة التعلم ومحاولة فهم القرآن، وحتى تكون هذه الدورات منتشرة ومفيدة أكثر أقترح ما يأتي:

١- إقامة الدورات في المناطق المختلفة من البلاد، وليس في صوفيا فقط.

٢- استخدام الوسائل الحديثة في التدريس.

٣- إعطاء منح دراسية للطلاب لدراسة اللغة العربية خارج بلغاريا وداخلها.

٤- إرسال الطلاب من كلية العلوم الإسلامية إلى الدول العربية، حتى يتمكنوا من ممارسة اللغة العربية.

٥- تزويد كلية العلوم الإسلامية بالكتب المختلفة باللغة العربية.



تجربتي في تعلم اللغة العربية

د.ناصر حمد بكار - تنزانيا

المستشار في دار الإفتاء بزنجبار، وعميد شؤون الطلاب
بجامعة عبد الرحمن السميط - تنزانيا.

-حصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في الشريعة من جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم.

-رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة عبد الرحمن السميط - تنزانيا.

الحمد لله الذي خلق الإنسان من علق، ثم علمه بالقلم، حتى علم ما لم يكن يعلم، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه تجربتي في تعلم العربية أود أن أنقلها إليكم تحت عنوان: « كيف تعلمت العربية...؟.

بالنسبة لي هناك عدة أسباب دفعتني إلى تعلم اللغة العربية، منها:

١. أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي؛ لأن كل مصادر الإسلام مكتوبة باللغة العربية.

٢. أن اللغة العربية في زنجبار مادة في المناهج الدراسية النظامية، حيث يبدأ الطالب دراستها من الصف الأول الابتدائي، وهي من ضمن المواد الأساسية.

٣. بالنسبة لنا نحن المسلمين في زنجبار اللغة العربية هي لغتنا الثانية بعد اللغة السواحيلية، حيث نبدأ النطق بها في سن مبكرة من العمر، حين نبدأ تعلم تلاوة القرآن العظيم في المدارس القرآنية، ومن ثم يصبح الاستمرار بها في حياتنا اليومية أمرا مرغوبا لدى معظم الزنجباريين.

٤. أن اللغة العربية هي لغة العبادات والصلاة من أولها إلى آخرها.

وأما المدة التي قضيتها في تعلم العربية من البدء إلى إتقانها، فإن رحلتي في ذلك طويلة، وكما قلت: إنها لغتنا الثانية، لكن يصعب علينا إتقانها بسهولة؛ لأنها لم تعد لغة الشارع والتعامل عندنا كما كانت سابقا.

لقد بدأت تعلم اللغة العربية لما دخلت الصف الأول الابتدائي سنة ١٩٧٨م، والدراسة في هذه المرحلة عبارة عن الكلمات والمفردات وبعض الجمل القصيرة والحوارات القصيرة، وفي هذا الطور-أيضا-انضممت إلى حلقة العلم، وبدأت أتعلم النحو عاكفا على كتاب «متن الآجرومية» الخاص بفن النحو العربي، وبعده

انتقلت لشرحه المعروف بـ «دحلان».

وفي عام ١٩٨٤م دخلت امتحانات نهاية المرحلة الابتدائية، وتجاوزت المرحلة بنجاح فائق، وكنت ضمن الطلاب الذين وقع اختيارهم للالتحاق بالمعهد الإسلامي بزنجبار، ودخلت ذلك المعهد في بداية السنة الدراسية ١٩٨٥م، وكانت الدراسة في المعهد الإسلامي حينئذ تتركز على اللغة العربية، حيث تُدَرَّس اللغة بفروعها: مهارات التحدث والقراءة والكتابة والإملاء والإنشاء والخط العربي والنحو والصرف، وكانت العربية في الوقت نفسه لغة تدريس المواد المتفرعة من مادة التربية الإسلامية كالتفسير والحديث والفقه والتوحيد والسيرة والتجويد.

وفي المعهد الإسلامي بدأت أركز أكثر على اللغة العربية مع زيادة الرغبة فيها، وراسلت إذاعة القاهرة قسم العربية بالراديو في عام ١٩٨٥م لطلب العضوية فيها، حيث كان عندها برنامج مذاع فيها، وكنا نستمع إليها؛ لأننا كنا في المنطقة المستهدفة به، وهم بدورهم قبلوا طلبي، ووافقوا على أن أكون عضوا طالبا في برنامجهم ومدوني كتب البرنامج، واستمررت مع البرنامج في المستوى الأول والثاني، ومع ذلك كله حال بيني وبين تحدث العربية بطلاقة كوني أعيش في بيئة تقل فيها فرص ممارسة مهارات اللغة العربية على النحو المطلوب، وقديما قالوا: أجرأ الناس على الأسد أكثرهم رؤية له...، فمن ضعفت ممارسته للغة ضعفت تبعا لذلك إجادته وإتقانه لها.

وفي نهاية عام ١٩٨٦م حصلت على المنحة الدراسية إلى دولة قطر، والتحقت بالمعهد الديني الثانوي، وعشت في البيئة العربية، وبدأ لساني يستقيم وينطلق في اللغة العربية انطلاقا، وفعلا أتقنت الكلام باللغة العربية، ودرست بسهولة من الأول الإعدادي إلى الثالث الثانوي دون مشكلة تذكر.

ولما أتممت دراستي ورجعت إلى بلدي في عام ١٩٩٣م وظفت في لجنة مسلمي إفريقيا، وكانت بيئة العمل - أيضا -بيئة اللغة العربية، وعملت مع اللجنة لمدة

سنتين، ثم في نهاية عام ١٩٩٤م التحقت بالدراسة الجامعية في جامعة إفريقيا العالمية في جمهورية السودان، وأخذت أنتقل فيها من مرحلة إلى أخرى حتى نلت درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، وذلك في عام ٢٠١١م، ولله الحمد والمنة.

أما عن الطريقة التي اتبعتها في تعلم اللغة العربية فأراني لا أخطئ إذا بينت في هذا المقال أن إجادتي للعربية لم تكن نتيجة لطريقة ولا منهج واحد، وإنما هي حصيلة طرائق ومناهج متباينة، فقد بدأت تعلم العربية - كما أسلفت الذكر - في الحلقات العلمية على يد المشايخ، حيث تعلمت منهم الدروس الأولية في النحو والصرف والبلاغة، ومعلوم أن الطريقة المتبعة في هذه الحلقات هي الطريقة التقليدية القائمة على التلقين والترجمة، ثم تعلمتها ثانيا عن طريق الفصول الدراسية المنتظمة في المدارس، وهذه الطريقة-وإن اختلفت عن الأولى-لها بجانب المميزات العديدة قصور عما ينبغي أن تكون عليه مناهج وطرائق تعليم العربية للناطقين بغيرها، ثم تعلمتها ثالثا عن طريق برنامج العربية بالراديو عبر إذاعة القاهرة في جمهورية مصر العربية، والتعلم ههنا ذاتي في أكثر جوانبه.

ولعل اختلاف الطرق في هذه المراحل والأطوار التي مررت بها عند تعلم العربية هو العلة في تأخر إجادتي للعربية؛ إذْ إن تلك الطرق متفاوتة فيما تتيح للدارس من فرص الممارسة، وفيما تستخدم من الأساليب لبلوغ الغاية المرجوة.

تعلمت اللغة العربية من خلال المناهج الدراسية لدول مختلفة:

١. المناهج الدراسية في زنجبار.

٢. المناهج الدراسية لدولة قطر.

٣. المناهج الدراسية لجمهورية السودان.

٤. برنامج العربية بالراديو عبر إذاعة القاهرة في جمهورية مصر العربية.

وأما طرائق التدريس والوسائل التعليمية المستخدمة في التدريس فهناك الطرائق

التقليدية المستخدمة في تدريس اللغة العربية، والتي عن طريقها بدأت تلقي بعض الفنون العربية قبل استخدام الطرق الحديثة؛ فتلقيت علم النحو والصرف عن الشيخ عن طريق التلقين من الشيخ، وحفظ أمثلة الموضوع، ومن خلالها تعلمت كيفية الإعراب، غير أنني ما كنت أستطيع التحدث باللغة العربية كما هو الحال لدى معظم متعلمي اللغة العربية في زنجبار؛ إذ إنهم يجيدون الإعراب، ولكنهم لا يستطيعون حتى تكوين الجملة المفيدة أحيانا، ولكن إذا كوَّنْتَ جملة، ثم طلبت منهم إعراب هذه الجملة، فإنه سيعربها لك دون أن يخطئ، كما أنه بإمكانه أن يصوبك في كلامك عندما تتكلم، وترتكب أخطاء نحوية.

ثم انتقلت إلى التعلم بالطرائق الحديثة، حيث تعلمتها في المدارس النظامية التي تعلم عن طريق الكتابة، وقيام الطالب بالتدريبات والحوارات وما إلى ذلك.

ولكن كانت هناك مشكلة كبيرة تواجه هذه الطرائق، ألا وهي عدم وجود الكتب المدرسية-لا كتاب للمعلم، ولا كتاب للطالب-، وما زالت تلك المشكلة قائمة إلى يومنا هذا، بل ازدادت سوءا تجاه اللغة العربية في المدارس الحكومية وغير الحكومية، بالإضافة إلى قلة حصص اللغة العربية، مقارنة مع اللغات الأخرى: السواحيلية والإنجليزية، وهي مشكلة أخرى تواجه دارسي اللغة العربية.

أما بالنسبة للوسائل التعليمية المستخدمة في تدريس اللغة العربية فكانت وسائل فقيرة، حيث لم يكن هناك كتاب للمعلم، ولا كتاب للطالب، فكان الاعتماد الكلي على سبورة الفصل والطباشير عند المعلم، ويعتمد الطالب على الدفتر والقلم؛ لكتابة ما يكتبه المعلم، أو يمليه عليه.

ولقد مرت فترة من الفترات قلّت تلك المشكلة، ولكن تلك الحال لم تستمر طويلا، حيث رجع الوضع كما كان سابقا، والآن توجد بعض المؤسسات التعليمية التي تدرس اللغة العربية، وتستخدم برنامج «العربية بين يديك»، أو «العربية

للجميع»، وقد تجد في المؤسسة نسخة واحدة غير متكاملة تصور للأساتذة والطلبة كما هو الحال في جامعة عبد الرحمن السميط بزنجبار، فهي بحاجة إلي الدعم في هذا الجانب، وتزويدها بالوسائل الحديثة الأخرى، كالمعمل المتكامل المزود بالوسائل المسموعة والمرئية؛ لأنها تقوم بجهد جهيد في نشر اللغة العربية في منطقة شرق إفريقيا برمتها.

وأما تفاعل الطلاب مع دروس العربية فإن اللغة العربية هي اللغة الثانية في لشعب زنجبار؛ لذا تجد أن معظم الطلاب متفاعلون بشدة أثناء دروس اللغة العربية، لعلمهم بأنهم يدرسون لغة دينهم ولغة القرآن، التي تيسر لهم فيما بعد دراسة العلوم الشرعية التي لا مفر منها في حياتهم اليومية، بل قد تجد من يتحسر لفقد هذه الفرصة عندما يقبلون على طلب العلم فيما بعد، يتحسرون لأنهم ضيعوا الفرصة الثمينة في مقتبل حياتهم لما كانوا في المدرسة، فلم يستفيدوا من الفرصة كما ينبغي.

ويصل ذلك التفاعل إلى ذروة سنامه عندما يرى الطلاب أن نجاحهم متعلق باللغة العربية، لقد لاحظت ذلك في عام ٢٠١٣م، عندما استقبلنا في الكلية فوجا كبيرا من الطلاب الجدد الذين سجلوا للدراسة في قسمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وكانوا بحاجة ماسّة إلى دورة تأهيلية مركزة في اللغة العربية؛ لكي يستطيعوا مواكبة الدراسة، فأقمنا لهم تلك الدورة لمدة ستة أسابيع، فوجدنا نتائج مرضية، وكان عدد الطلاب أكثر من أربعمائة طالب، رأيت فيهم من الحماسة والتفاعل مع اللغة العربية شيئا منقطع النظير.

إن الشعب الزنجباري يعدُّ اللغة العربية لغتهم الثانية، ولغة دينهم، كما أن الحكومة تعتبر اللغة العربية من ضمن اللغات الحية في زنجبار، لأنه قد مرت فترة طويلة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة في جميع مجالات الحياة والمكاتبات الرسمية، وفي التدريس، ولذلك

نجد أن الحكومة لا تستطيع إلغاءها في مناهجها الدراسية مهما تكن الظروف؛ لأن أي محاولة إلى ذلك ستجعل الشعب يحتجُّ ضدها، كما أن المتحدثين باللغة العربية لهم مكانة ولهم احترام لدى المجتمع.

لقد سبق في أثناء حديثي أن قلت: إن أهل زنجبار يرون أن اللغة العربية هي معرفة النحو، فلذلك أول ما يبدأ به الطالب عندما يريد أن يتعلم اللغة العربية هو علم النحو رغم صعوبته على حد وصفهم له، وهذا من أبرز الصعوبات التي واجهتها، ولذلك لم ينطلق لساني بالتحدث باللغة العربية حتي دخلت في البيئة العربية، ومنها: عدم توافر كتب اللغة العربية في المدارس، وتدني كفاءة مدرسي اللغة العربية في البلد؛ نتيجة سوء اختيارهم، وعدم إعدادهم وتأهيلهم تأهيلا يجعلهم متمكنين في الكفاية العلمية قبل الكفاية المهنية، وقديما قالوا: فاقد الشيء لا يعطيه.

وأما أبرز المواقف الطريفة التي مرت عليَّ أثناء رحلة تعلمي العربية فأتذكر موقفا واحدا؛ حيث إنني لما وجدت منحة إلى دولة قطر للدراسة ذهبت متأخرا، حتى وصلت هناك والطلاب قد بقيت لهم ثلاثة أيام تقريبا على بداية اختبارات نصف الفصل الدراسي الأول، وكان في شهر ديسمبر ١٩٨٦م، وبدأت الدراسة في الصف الأول الإعدادي، وبعد ثلاثة أيام دخلت الاختبار مع زملائي، فجيء بأوراق الأسئلة، وكان الاختبار في مادة الجغرافيا، فتسلمت ورقة الأسئلة، فقرأتها، فلم أفهم منها شيئا، فنقلت الأسئلة كلها على ورقة الإجابة، وسلّمتها إلى الأستاذ وخرجت، فلما وزعت الأوراق بعد التصحيح حصلت على صفر، لأنني لم أفعل شيئا إلا أنني نقلت الأسئلة كما هي، لم أكن أفهم مصطلحات المادة مثل التضاريس والسهول- وإن كانت المادة جغرافيا-إلا أنها تدرس باللغة العربية، ولم أدرسها بالعربية قط، بل تعوّدت دراستها باللغة الإنجليزية.

إن لإتقان اللغة العربية أثرًا كبيرًا على حياتي الشخصية؛ لأن معرفتي باللغة

العربية كوَّنت لي شخصية خاصة، ومكانة في المجتمع؛ حيث ينظر المجتمع إلى من يتحدث باللغة العربية بعين الاحترام، ويعد أن حصيلته في العلوم الشرعية كبيرة؛ لأن اللغة العربية تسهل عليه تعلم القرآن الكريم والعلوم الشرعية؛ إذ إن مصادر ديننا كلها مدونة باللغة العربية.

أما في حياتي الوظيفية معرفتي فللغة العربية أثر كبير جدا؛ لأن كل الوظائف التي توظفت فيها جاءت على أساس أنني أجيد اللغة العربية؛ عملت مع لجنة مسلمي إفريقيا في مكتب زنجبار لمدة عامين (١٩٩٣ - ١٩٩٤م) مشرفًا للأيتام، مع إعداد تقارير الأيتام باللغة العربية شهريا، ثم التحقت بالدراسة الجامعية في جمهورية السودان، ولما تخرجت وُظِّفْتُ في الحكومة، وكان مكان العمل هو إدارة الإفتاء بزنجبار، على أساس أنني تخصصت في الشريعة الإسلامية، وفي نفس الوقت أجيد اللغة العربية، وفي الوقت نفسه انتدبت للتدريس في كلية التربية الجامعية بزنجبار في قسم الدراسات الإسلامية التي لغة التدريس فيها هي اللغة العربية في جميع المواد الإسلامية، ثم لما أخذت الإجازة الدراسية من العمل الرسمي في الحكومة لإعداد رسالة الدكتوراه وقعت عقدا للعمل مع كلية التربية الجامعية لمدة عامين (٢٠١٠ - ٢٠١٢م)، وبعدما انتهيت من دراستي، ونلت درجة الدكتوراه طلبت من الحكومة إجازة بدون راتب لمدة أربع سنوات من فترتين متفرقتين؛ لأتفرغ للتدريس في الجامعة، ووُفِّقْتُ في ذلك، وفي الفترة الأخيرة اخترت رئيسا لقسم الدراسات الإسلامية، وهو المنصب الذي أشغله حتى الآن، فاللغة العربية لها فضل كبير في حياتي الشخصية والوظيفية معا، ولله الحمد والمنة.

وأما مشاعري بعد إتقان اللغة العربية فلقد شعرت بالسعادة لما وصلت إلى درجة إتقان اللغة العربية، واعتمادي على الذات في الدراسة والتعامل مع الآخرين منذ ذلك الحين، وأصبحت لا أخاف من استخدام اللغة العربية، سواء أكان في الدراسة أو

المقابلة مع الناس، حيث أتحدث باللغة العربية دون أي خجل، وفي الدراسة لا أعتمد على حفظ كل شيء، بل أستطيع أن أعبر من تلقاء نفسي عن كل ما لا يحتاج إلى حفظ.

أستطيع أن أقول: إن هناك مقارنةً واضحةً بين تجربتي في تعلم اللغة العربية وتجربتي في تعلم اللغة الإنجليزية، كلتا اللغتين تدرسان مادتين أساسيتين في المناهج الدراسية عندنا مع وجود مفاضلة واضحة للغة الإنجليزية على اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة، كلتا اللغتين يبدأ تدريسهما من الصف الأول الابتدائي، ولكن اللغة الإنجليزية لها ثماني حصص من الصف الأول الابتدائي إلى الصف السادس الابتدائي، بينما نجد أن اللغة العربية لها ثلاث حصص فقط من الصف الأول الابتدائي إلى الرابع الابتدائي، وتنقص إلى حصتين فقط في الصفين: الخامس والسادس الابتدائيين، والحال كذلك في الصف الأول والثاني الإعداديين، ثم تعود لها ثلاث حصص في الصفين: الثالث والرابع الإعداديين، وعلى الرغم من هذه المفاضلة الواضحة للغة الإنجليزية على اللغة العربية من الجهات الرسمية التي تقوم على ذلك التوزيع الغاشم إلا أنني ملت إلى اللغة العربية حتى أتقنتها، ولا أجد أي صعوبة فيها، بينما لا أزال أتعب مع اللغة الإنجليزية، ولا أكاد أجيدها إلا قليلا، أفهم قليلا عندما أقرأ ما كتب بها وعندما أسمع الحديث بها، غير أنني لا أستطيع الحديث بها ولا التعبير بها.

تمر اللغة العربية في بلدي لدى الأوساط الرسمية بمرحلة حرجة، ولولا رغبة الشعب فيها لكانت قد محيت آثارها ومعالمها تماما، ولكنها تتعمق محبتها في قلوب الشعب، ولا تستطيع تلك الجهات إلغاءها مهما تكن كراهيتها لها، وهذا القول يثبته ما جاء في الفقرة السابقة من حيث المفارقة والمفاضلة الواضحة بين اللغتين في الحصص التدريسية.

وعلاوة على ذلك هناك نقص حادٌّ في الكتب المدرسية بالنسبة للغة العربية، فلا يوجد كتاب للمعلم، ولا كتاب للطالب، وذلك في جميع المستويات الدراسية.

أما عند الأوساط الأهلية فأستطيع أن أقول: إن اللغة العربية تمر بمرحلة جيدة جدا نظراً لاهتمام الأهالي، وهذا هو ما يثبت قولي: إن اللغة العربية في زنجبار هي اللغة الثانية بعد اللغة السواحيلية، التي هي اللغة الأم، فكل المدارس القرآنية والمدارس الأهلية الإسلامية والمعاهد الإسلامية تدرِّس اللغة العربية، على الرغم من الصعوبات التي تمر بها تلك المدارس والمعاهد.

وهناك عدة تحديات تواجه تعليم اللغة العربية في هذا البلد، منها:

١. الحرب الشرسة ضد اللغة العربية من قبل الجهات الرسمية التي لها مسؤولية التربية والتعليم في هذا البلد، فهم لا يميزون بين الدين الإسلامي واللغة العربية، ويرون أن اللغة العربية جزء أساسي من الدين الإسلامي، فيوجهون إليها كل الأسلحة التي يستعملونها في محاربة الدين الإسلامي، فهما سواء عندهم.

٢. قلة الكتب المدرسية للغة العربية، فلا يوجد كتاب للمعلم، ولا كتاب للطالب، وذلك في جميع المستويات الدراسية.

٣. عدم وجود معامل لِلُّغَةِ العربية في المدارس والمعاهد، حتى في تلك الجامعات التي من ضمن تخصصاتها اللغة العربية، مثل: جامعة عبد الرحمن السميط في زنجبار، فليس لديها معامل لغوية.

٤. النظرة السيئة للغة العربية من قبل الجهات الرسمية أدت إلى تراجع اهتمام بعض الطلاب باللغة العربية في المدارس الحكومية.

٥. منع الحكومة صندوق القروض العلمية من دعم الطلاب الذين يتخصصون في اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

٦. قلة الوظائف للذين يتخصصون في اللغة العربية والدراسات الإسلامية بعد تخرجهم في الجامعات والمعاهد العلمية.

٧. قصور مناهج تعليم العربية، ولاسيما في المدارس الحكومية، وعدم مواكبتها

لضوابط تعليم العربية للناطقين بغيرها.

٨. ضعف إعداد وتأهيل مدرسي اللغة العربية في مراحل ما قبل الجامعة، الأمر الذي يؤدي إلى قلة الكوادر المؤهلة تأهيلا يمكنهم من تدريس العربية بجدارة، وترغيب الناشئين فيها، والسمو بها إلى الدرجات العلى.

على الرغم من كل ما ذكرت من التحديات والصعوبات وتفضيل اللغة الإنجليزية على اللغة العربية من الجهات الرسمية إلا أنني أرى أن المستقبل للغة العربية في هذا البلد الإسلامي؛ لأن حركة إحياء اللغة العربية منتشرة في المدارس القرآنية، والمدارس الأهلية الإسلامية، والمعاهد الإسلامية، وتقود تلك الحركة جامعة عبد الرحمن السميط في زنجبار، التي تخرج مئات المدرسين في كل سنة دراسية، وهؤلاء المتخرجون يعملون على قدم وساق في رفع مستوى اللغة العربية في هذا البلد الإسلامي.

وفي هذا الصدد أقترح الآتي:

١. على القائمين على هذا المركز المبارك مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية أن يلقوا نظرهم واهتمامهم إلى هذا البلد في تطوير اللغة العربية حتى يعود مجدها فيه.

٢. كما أقترح عليهم أن يقوموا بتعزيز وجود اللغة العربية في هذا البلد، وذلك برفع مستويات المعلمين القائمين بتدريس اللغة العربية، بإقامة الدورات التدريبية الهادفة المتكررة لهم، ومدهم بالطرائق والوسائل الحديثة كلما تطلب الأمر ذلك.

٣. إقامة مراكز اللغة العربية لغرض تطوير تعلم وتعليم اللغة العربية في أنحاء البلد وتمويلها.

٤. مد جامعة عبد الرحمن السميط في زنجبار والمعاهد الإسلامية التي تقوم بتعليم اللغة العربية بكتب اللغة العربية، وعلى وجه الخصوص كتاب « العربية بين يديك»

أو «العربية للجميع»، وفتح المعامل اللغوية لدى تلك المؤسسات حتى تستطيع أن تواكب الحضارة الحديثة في تعليم اللغة العربية.

والله أسأل أن يعيد للعربية مجدها في زنجبار.



تجربتي في تعلّم العربية

الشيخ هريلمانا عبد الكريم – رواندا

عضو المجلس الاستشاري للحكماء في رئاسة جمهورية
رواندا، ووزير العمل والشؤون الداخلية والأمن الداخلي سابقاً

- حصل على الماجستير في الأدب العربي ونقده من كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- عمل محاضرا في كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية بالجامعة الإسلامية في أوغندا.
- عيّن وزيرا للعمل، ثم وزيرا للشؤون الداخلية، ثم وزيرا للأمن الداخلي.
- عمل مستشارا لرئيس الجمهورية.
- عمل نائباً في مجلس الشورى.

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله الذي أنزل كتابه المبين باللغة العربية الفصحى؛ لحكمة هو يعلمها في علمه الأزلي، والصلاة والسلام على سيد الرسل والأنبياء، وخير من نطق بالضاد، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وعلى أتباع سنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد سكن العرب العمانيون واليمنيون في رواندا سنوات كثيرة، واختلطوا بالمواطنين الرونديين بالتزاوج، ودخول الروانديين في الإسلام، ومع ذلك لم يؤثروا في الروانديين بلغتهم العربية. ويرجع السبب إلى أن هؤلاء الإخوة أتوا من دول مجاورة كتنجانيقا والكونغو، حيث عاشوا قرونا، وقد تعلموا اللغة السواحلية بدلا أن يعلموا العربية، فقد جاءوا إلى رواندا وقد نسوا أكثر ما في اللغة العربية من جمال، خاصة في الفصحى لغة القرآن الكريم، لم يبق منهم من يتكلم باللغة العربية الصحيحة إلا قليل ممن انتمى إلى العلم، أما الذين اشتغلوا بالتجارة فقد سهلت عليهم السواحلية، وفُقِدَتْ لديهم العربية إلا الاسم.

استمرت الحالة على ذلك إلى الستينات الميلادية، لا يوجد رواندي يتكلم اللغة العربية، حتى المعلمون منهم، وللعجب فإن هؤلاء المعلمين وتلاميذهم كانوا يترجمون بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكتب الفقه الشافعي إلى اللغة المحلية.

جاء وفد دار الإفتاء من المملكة العربية السعودية إلى رواندا في عام ١٩٦٨م، وسبب وفودهم إلى رواندا البحث عن الشباب الذين يدرسون الدين الإسلامي، إنهم لم يجدوا أحدا يتكلم اللغة العربية، بما فيهم المسؤولون في جمعية مسلمي رواندا آنذاك.

لكي يتفاهم الوفد مع الأهالي استعانوا بمترجم يجيد الإنجليزية، فهم يتكلمون بالإنجليزية، والمترجم يوصل شعورهم إلى مسئول الجمعية باللغة المحلية، وبالعكس.

كان المفروض أن يلتحق المختارون من الشباب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مباشرة، ولكن لعدم معرفتهم اللغة العربية اقتُرِحَ أن يلتحقوا بمعهد بلال الإسلامي بأوغندا؛ لتعلم اللغة العربية والمواد الدينية، ثم يلتحقون بعد ذلك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبفضل الله وتوفيقه كنت ضمن الذين اختيروا للذهاب إلى كمبالا لدراسة اللغة العربية والعلوم الدينية.

ولكن قبل الذهاب وقبل الموافقة الأخيرة من الوفد السعودي كان لا بد من مقابلة شخصية، يا لها من مقابلة!!

إلا أنها في الحقيقة كانت مقابلة بسيطة يسيرة، كان الوفد يطلب من كل واحد منا أن يقرأ بعض آيات القرآن الكريم التي يحفظها، ولما جاء دوري قرأت سورة الفاتحة، فسمعت الوفد صائحا قائلا كلهم: طير .. طير .. طير ..، نعم! كانوا معجبين بقراءتي للفاتحة، لكن بعد وصولي إلى معهد بلال الإسلامي اكتشفت أن كلمة العجب من الوفد السعودي لم تكن طير بل هي: طيب.. طيب.. طيب..

كان أبي مكونغورو خميس من الذين يعرفون الكلمات العربية، وكان- رحمه الله تعالى- يحبذ أن أعرف بعضها، وفعلا كان يعلمني كلمات مثل: جاء، جئت، ويترجمها لي إلى اللغة المحلية، وأنا صغير، وفي الكُتَّاب كنت معجبا بمعلمي دوس بن رمضان الذي كان يترجم لنا بعض آيات القرآن والأحاديث النبوية وكتب الفقه الشافعي، وكنت أدعو الله أن أكون مثله يوما، «أعرف العربية» لأنني كنت أعتقد أنه كان يعرفها.

فالتحاقي بمعهد بلال كان بمثابة تحقيق حلم كان يساورني منذ نعومة أظفاري.

في المعهد وجدنا مدرسين أكفاء في العلوم الدينية واللغة العربية، منهم محليون كصاحب المعهد ومديره الشيخ عبد الرزاق أحمد متوفو خريج إحدى الكليات في باكستان، والشيخ موسى سعد خريج الأزهر الشريف، ومنهم خريجو الأزهر

الشريف من المصريين، وآخرون تخرجوا في كليات في ليبيا، وأكثرهم كانوا من خريجي كليات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أمثال الشيخ سراج الرحمن الندوي، والشيخ عبد الخالق طارق، والشيخ عبد الرحمن حكواتي، وغيرهم. هؤلاء المشايخ الأفاضل وغيرهم كثير حببوا إلـيَّ اللغة العربية، وجعلوها سهلة لي، غفر الله لهم، وأبقى أسماءهم نيرة في الدنيا، ورزقهم حسن الخاتمة.

نعم! جعلوني أحب النحو والصرف، والبلاغة، والنصوص الأدبية والمادة التي كانت تسمى المطالعة العربية، فيها درسنا القراءة الصحيحة، وعرفنا المفردات العربية الجديدة.

إن بعض النصوص الأدبية التي حفظتها آنذاك لا تزال في ذاكرتي، بل وصورة المدرس أمامي وهو يشرح لنا ما خفي من معان بلاغية دقيقة في الخطب والشعر لا تزال قائمة في ذهبي.

فديني وحب معرفته معرفةً صحيحةً من أسباب حبي اللغة العربية، شجعني على ذلك أبي-رحمه الله تعالى-، ومعلمي في الكتاب، وأساتذتي في معهد بلال الإسلامي في أوغندا، وقطعا زملائي في المعهد الذين كانوا يتفاخرون بفصاحتهم في اللغة العربية، ويسخرون ممن يخطئ في النحو، كنا نسمي ذلك قتل الجاموس.

إذ أنني دخلت معهد بلال وهو مقسم إلى مدرسة ابتدائية، والقسم الإعدادي ثم الثانوي، وكلها كان بها طلاب جادُّون في طلب العلم، وقد أتوا من مدارس أخرى في قرى مختلفة من أوغندا، ومعهم خلفيات عديدة في تعلمهم اللغة العربية، حقا بعضهم كانوا يحبون هذه اللغة حبا جما، حتى إنهم في أكثر لأحيان لا يتكلمون بغيرها، هذا حفزني كثيرا على تعلم لغة الضاد في أسرع وقت ممكن؛ لأن أرضية تطبيق ما نتلقاه من أساتذتنا كانت متوافرة، وساعد على ذلك أنني كنت في القسم الداخلي حيث

الانقطاع التام للحديث بالعربية، وبدون مبالغة كنت أستطيع التعبير عن نفسي، وكتابة ما أريد بالعربية بعد سنتين من الدراسة، كيف لا وقد كان أكثر أساتذتنا من المبتعثين الذين لا يعرفون اللغات المحلية؟ فكلامنا معهم شئنا أم أبينا-من حسن الحظ أننا شئنا-لا بد أن يكون بالعربية الفصحى.

لا أدعى أنني في هذه المرحلة كنت متقنا للغة العربية، فقد واصلت دراستي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأكملت الدراسة الثانوية، ثم التحقت بكلية اللغة العربية والآداب آنذاك، وأنا -ولا فخر- من طلاب الفوج الأول الذي به افتتحت الكلية الحبيبة.

هنا ما شاء الله-تعالى-كان لنا أساتذة لا أظن أن هناك من هو أفضل منهم في تعليم اللغة العربية والأدب العربي، فمن يمكن أن يكون مثل الدكتور عبد العظيم الشناوي في تدريس النحو العربي؟، من مثل الدكتور خليفة في تدريس الأدب العربي؟، من مثل الدكتور محمد أحمد نائل في شرح النصوص الأدبية؟، من مثل الدكتور صادق الخطاب في تدريس البلاغة؟، ومن أساتذتنا الأفاضل أولئك المشايخ الذين كانوا يلقوننا الدروس الدينية باللغة العربية الفصحى، أمثال الشيخ حماد الأنصاري وغيره-رحمهم الله-.

تدريس العربية حينذاك:

ما علمت طريقة مبتكرة لتعليم العربية إلا عند وصولي إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فقد كان فيها شعبة اللغة العربية للطلاب الموفدين الذين لم يحظوا بدراسة العربية قبل التحاقهم بالجامعة، علمت أن هناك طريقة جديدة تسمى تعليم العربية لغير الناطقين بها.

أما أنا فقد درستها بطريقة تقليدية في كتب اللغة العربية للمبتدئين، كنا نبدأ

بالضمائر: المتكلم، المخاطب والغائب، ثم ندرس الحروف القمرية والشمسية، ولكن يساعدنا على سرعة معرفة اللغة العربية دراستنا للعلوم الدينية المدونة باللغة العربية، فما لم نجده من المفردات الجديدة في كتب المطالعة كنا نجده في القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب السيرة والتاريخ وكتب الفقه وأصوله.

هذه الوسائل الجديدة التي تستعمل في الكليات التي تدرس اللغات مثل المعامل اللغوية لم تكن متوافرة في عصرنا، فقط صور تعلق، ودروس تكتب على السبورة السوداء، وكتب توزع على التلاميذ لأستاذ يعد تمارين أسبوعية، ثم بعد ذلك يكون امتحان الفترتين: الأولى والثانية، وتنتهي السنة الدراسية بامتحان الفترة الثالثة، أو بجمع الدرجات عن كل الفترات، بحكم أن الطالب يسمح له بالارتقاء إلى فصل أعلى، أو بإعادة السنة.

اللغة العربية غريبة في منطقة شرق إفريقيا، غريبة لأنها ليست من أصل هذا الجزء من العالم، فهي أصلا لغة ولدت وعاشت في الجزيرة العربية، ثم انتشرت ووصلت إلى شمال إفريقيا، مع أن العرب عاشوا في هذه المنطقة قرونا، إلا أنهم اهتموا بالتجارة والحكم أكثر من اهتمامهم بتعليم العربية، استطاعوا فقط أن يعلموا الأهالي الكتابة بالحروف العربية، وذلك قبل مجيء الاستعمار الأوربي للمنطقة، فكان الناس يكتبون السواحلية والغاندا وغيرها بالحروف العربية، لذلك كان المجتمع في نظرته إلى اللغة العربية والمتكلمين بها ينقسم قسمين:

١- غير المسلمين، وهؤلاء لا يعرفون قيمة اللغة العربية عموما، ولا يولون أي اهتمام لمن يتكلم بها، وربما قليل منهم ممن انشغل بالسياسة، أو حظي بالسفر، وعمل في التجارة، مثل هؤلاء علموا أهمية هذه اللغة، وتمنوا أن يدرسوها من أجل تلك المصالح السياسية أو التجارية.

٢- المسلمون، أكثرهم يتمنون أن يعرفوا اللغة العربية؛ لكي يفهموا القرآن

الكريم وسنة نبيهم-صلى الله عليه وسلم-، فإذا رأوا من يتكلم بها-أقصد آنذاك- كانوا يفرحون به، ويعظمونه، ويعترفون له بالفضل، حيث إنه يدرك معاني الكتاب المبين، بينما هم يحتاجون إلى المترجم.

عند عودتنا من أوغندا إلى رواندا أثناء العطلة كان المسلمون أحيانا يجتمعون حولنا لكي يسمعوا كيف نتحدث باللغة العربية؟، ويتعجبون منا، فنحن أبناؤهم، بالأمس كنا مثلهم، واليوم نتحدث بلغة يتوقون إلى معرفتها، ولكنها بعيدة عنهم، كانوا يسألوننا-وكأنهم يمتحنون معرفتنا بالعربية-: كيف تسمى هذه بالعربية؟، وكيف تسمى تلك بالعربية؟، وهكذا.

وبما أن جمهورية رواندا إلى أواسط السبعينات الميلادية لم تكن لها علاقات مع أي من الدول العربية، وبما أن أكثر سكانها غير مسلمين ولهم صورة سلبية عن المسلمين وعن العرب، فلم يكن لهم رد فعل يذكر عن اللغة العربية أو من يتكلم بها.

أولا لأن أغلبيتهم لم يعرفوا أن من المسلمين من ذهب إلى خارج رواندا ليدرس اللغة العربية، أو العلوم الإسلامية، ومن عرف ذلك منهم كبعض المسؤولين في الحكومة-خاصة في الجوازات، وربما بعض مسئولي منطقة كيجالي عاصمة رواندا- كانوا يستهزئون بمن يدرس اللغة العربية والعلوم الدينية، ويقولون: ماذا ستفعل إذا انهيت دراستك للغة العربية؟، أتظن أن لك مكانا في هذا البلد؟، وغير ذلك من الكلام الساخر المثبط للهمم، ولكننا واصلنا المسير؛ لأن الهدف لم يكن بالذي اعتادوا عليه.

دراسة اللغة العربية في ذاتها لم تكن مشكلة عويضة؛ لأنني شخصيا كنت محبا لها، مقبلا عليها، فهي لغة القرآن الكريم، وهي لغة رسولي-صلى لله عليه وسلم-، هي اللغة التي توصلني إلى فهم أمهات الكتب في العلوم الدينية وغيرها دون تعب.

لكن الصعوبة كانت في الاغتراب عن بلادي وعن والدي في سن مبكرة، فقد

كنت ابن ثلاث عشرة سنة، أعبر الحدود الرسمية من بلدي إلى بلد آخر، وأقطع مسافة لا تقل عن خمسمائة كيلومتر، والطرق في رواندا آنذاك غير معبدة، يبدأ السفر في الخامسة صباحا، ولا يكون الوصول إلا بعد السابعة مساء، هذا إذا كان السفر بالسيارة الصغيرة أو الخاصة، أما إذا كان بالشاحنة–وقد حدث ذلك مرارا–فقد يستغرق السفر يومين إلى ثلاثة، إذا لم يكن في الأمطار التي قد تسبب انزلاق الطرق، ابن ثلاث عشرة سنة في بلد آخر، بعيدا عن أبويه حيث الاتصالات لا تزال متأخرة كل التأخر، فالهاتف كان ترفًا لا يتوافر بأيدي أكثر الناس.

ابن ثلاث عشرة سنة ما عاش قبل هذا بعيدا عن أبويه، كانت الصعوبة في الفترة الأولى من السنة الدراسية، أما في الفترة الثانية وما وليها من السنوات فكانت سهلة، ولله الحمد والمنة.

وزاد تسهيل الحياة المدرسية مجيء أبي–رحمه الله تعالى–لزيارتي في المدرسة مرةً على الأقل في كل فترة، وكان يعطيني بعض النقود التي تساعدني على تغيير حمية المدرسة التي لم تكن دائما لائقة لنفسي.

ثم اغتربت مرة أخرى بذهابي إلى المملكة العربية السعودية؛ للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهذا في مستهل شبابي، لم يكن هذا وحده صعبا، فعمري وأترابي يسمح لنا بأن أعيش نوعا ما بعيدا عن الوالدين، لكن أي بلد هذا الذي ذهبت لأعيش فيه؟، نعم المدينة المنورة التي هي خير بقاع الأرض بعد مكة المكرمة، وأنا فخور بالعيش إلى جوار حبيبي صاحب الجبين الأزهر سيد الأولين والآخرين، الذي به تم الوحي الرباني إلى الأرض–صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليما كثيرا–.

لكن هذا البلد يختلف عن بلدي تماما، من حيث الجو، فرواندا تقع قليلا جنوب خط الاستواء في مدارا السرطان في شرق وسط إفريقيا، مناخها مداري، درجة الحرارة

فيها ما بين ٢٦ و ٢٧ درجة مئوية على مدار السنة، كثيرة الأمطار، لها فقط فصلان في السنة فصل الأمطار، وفصل الجفاف، أما المملكة العربية السعودية عموما، والمدينة المنورة خصوصاً، فهي بلاد ذات فصول أربعة، تلك الفصول التي كنا ندرس عنها في المطالعة، ولا نكاد نفهمها؛ لعدم وجودها عندنا.

فالصعوبة الأولى في تعلم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لم تكن هي اللغة أبدا، ولم تكن قلة الكتب، ولا الفقر في الأساتذة أو الأفكار، بل كانت في البيئة! فالشتاء كان باردا برودة لم أعايشها قبل ذلك في حياتي، والصيف كان حارا إلى درجة ما يسمى السَّموم، ولم أر مثله في حياتي، إلهي صل على المختار وآله وصحبه الذين عاشوا هنا، وجالوا في الأرض ينشرون الإسلام حتى وصل إلينا في رواندا، عاشوا وجالوا هنا بلا مكيفات ولا مراوح جهادا في سبيلك ربي.

كانت الصعوبة في الجو، والمكيفات حينئذ من النوع المتأخر الذي يتعطل أحيانا من شدة الحر، والصعوبة الأخرى كانت في الغذاء، فالغداء هنا يختلف عن الذي تعودنا عليه في بلادنا، لأول مرة نرى ونسمع أن الخبز يعد طعاما، وإلا كانت المملكة السعودية مضيافة لم يعوزنا شيء إلا الذي لم تمتد له.

رحم الله القائمين على إدارة الجامعة الإسلامية في ذلك العهد، وعلى وجه الخصوص الشيخ الوالد الشيخ ابن باز الذي اعتبر الطلاب الأجانب أبناء له، يوصيهم بالخير، ويدعو لهم، ويقضي لهم حوائجهم المختلفة، فبطريقته في التربية للأجيال والجاليات استطاع أكثر الطلاب الصبر، وتحمل مشاق البيئة والجو وغيرها من الصعوبات التي كانت تواجه طلاب العلم عموما، وطلاب اللغة العربية خاصة.

كيف لا والقصد هو معرفة لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة! ولكن هناك مواقف لن أنساها ما دمت حيا، لن أنسى يوم سمعت خطأً أن وفد دار الإفتاء إلى رواندا عندما استحسنوا قراءتي لسورة الفاتحة قالوا: طير .. طير ..، ولا زالت

حتى اليوم أضحك على نفسي كلما تذكرت ذلك، أو حدَّثتُ بذلك بعض الأخوة: طير بدلا من طيب.

لن أنسى شيخنا الفاضل سراج الرحمن الندوي عندما أتى إلى المدينة المنورة معتمرا، فجاء يبحث عن طلاب يريد أن يتعرف على حالهم وعلى حياتهم العلمية الجديد في موطنهم الجديد.

درَّسنا، وحبب إلينا النحو والصرف الشيخ إبراهيم سرسيق ونحن في أوغندا، فإذا به يجتمع بنا مدرسا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو شيخ مصري من خريجي الأزهر الشريف، مَنْ كان يتصور أن مدرسه في المعهد يقابله مرة أخرى ليدرسه في الجامعة؟!.

أساتذتنا الأفاضل في أوغندا ما سمعناهم قط يتكلمون اللغة العربية الدارجة، وإنني لم أسمع أحدا يتكلم بها قط، وأقصى علمي أن كل العرب عامتهم وخاصتهم يتكلمون باللغة العربية التي أتكلم بها، صدمت عندما نزلت في جدة، وبعدها المدينة المنورة فإذا الناس يتكلمون لغة أكاد لا أفهمها، حتى اتهمت نفسي بأنني لم أدرس من العربية شيئا، فسألت أحد الإخوة الذين سبقوني هناك، فقال: إنها العامية، وكل بلد أو وطن عربي، بل تقريبا كل قبيلة عربية لها عاميتها التي تختلف عن غيرها، ومع ذلك نصحني مشايخي ألا أتكلم إلا بالفصحى، وإن كان لا بأس من فهم اللهجات الدارجة، وتمسكنا بالفصحى جعلنا عرضة للسخرية أحيانا من أهل البلاد التي استضافتنا إذا قلت كلاما أحيانا أعادوه، وربما قالوا لك: إنك تقرأ القرآن الكريم!، وقد يوقع أحدهم على كلامك بـ -صدق الله العظيم-. من الطريف أيضا أنني استطعت أن أقرأ كتبا كثيرة، خاصة وأنا أُعِدُّ رسالة الماجستير في الأدب العربي ونقده، وبما أن موضوع رسالتي كان عن الحكمة في شعر العصر العباسي، قرأت كتبا في الفلسفة قديما، مرورا بالعصور المختلفة إلى العصر العباسي، وهذا ساعدني على

توسيع معرفتي بأمور كثيرة في حياتنا اليومية.

وأخيرا لست أدري لماذا كنت معجبا بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية؟، فلطالما افتخرت على زملائنا في الكليات الأخرى بتسمية كليتنا بأسماء ظننت أنها فاخرة، مثل: كلية الرجال، كلية الناس، وكلية الخاصة، وغيرها من الأسماء، وفي إثبات قولي كنت أستدل بآية من الكتاب: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾.

بعد نجاحي في قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وحصولي على درجة العالِمية (الماجستير)، وتسلمي شهادتي التي وقعها رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، رجعت إلى بلدي رواندا في عام ١٩٨٣م، ووجدت المسؤولين في جمعية مسلمي رواندا قد عينوني إماما لمحافظة كيجالي عاصمة رواندا، ويعني ذلك أكبر منصب في المحافظة، وفي نفس الوقت عينوني مديرا للمدرسة الإسلامية في نياميرامبو، التي تحولت فيما بعد إلى معهد الهداية الإسلامي، ولما أنشئت المدرسة الإسلامية للآداب-التي تحولت فيما بعد إلى مركز التعليم الإسلامي بكيجالي-عُيِّنْتُ مديرا لها-أيضا-.

ويجدر بالذكر هنا أنه في عام ١٩٨٤م جاء قائد ثورة الفاتح بليبيا معمر القذافي إلى رواندا في زيارة رسمية، فجاءتنا الحكومة تطلب اشتراك معهدنا فيمن يستقبلون القذافي في مطار كيجالي، والمركز الثقافي الإسلامي الذي أنشأته ليبيا بالاشتراك مع دولة الإمارات العربية المتحدة، ويوم توديعه في مطار كيجالي عرفت الحكومة أهمية اللغة العربية، فطلبوا منا إنشاء شعارات عربية تشيد بمعمر القذافي، وكذا أناشيد عربية للغرض نفسه، وفعلا أثر ذلك في القائد، حيث تعجب من وجود اللغة العربية في أدغال إفريقيا، ومن هنا أنشئ قسم في ملحق الجامعة الرواندية لتعليم العربية لمن أرادا من الطلاب أو غيرهم، لكنه لم يستمر!.

وبعد سقوط النظام الذي قام بالإبادة الجماعية ضد قبيلة التوتسي في رواندا،

وعينت وزيرا في عدة وزارات قمت بزيارات مختلفة مع أكبر الشخصيات في الدولة، وكنت أقوم بالترجمة من العربية وإليها، وعقدت مؤتمرات صحفية ومقابلات باللغة العربية، سواء في الإذاعات المسموعة أو المرئية.

فإتقان اللغة العربية-إن صح التعبير-من الأمور التي أثلجت قلبي في حياتي الشخصية والوظيفة، وكان له أثر كبير في حياتي اليومية ولا يزال.

بدأت أدرس اللغة الأم في المدرسة الابتدائية، ومعها اللغة الفرنسية، ثم بدأت أدرس الإنجليزية بجوار العربية وأنا في معهد بلال الإسلامي في أوغندا، وأما السواحلية فكان والدي والمسلمون في رواندا يتكلمون بها، فتلقيناها منهم. في الحقيقة وجدت أن العربية مقارنة مع هذه اللغات الأخرى أصعب في التعليم، فنحوها يختلف عن غيره من نحو اللغات التي ذكرتها آنفا.

الفتحة أو الكسرة أو الضمة قد تغير المعنى كليا، لذلك مهما درست العربية إذا لم تتمكن في النحو قد تسبب مشاكل كبرى لمن يسمعك، ثم قضية المذكر والمؤنث حتى في الجماد، وقضية المثنى في الصرف، والفرنسية تلي العربية في صعوبة التعليم؛ لأنها تشبهها في بعض القواعد النحوية، كالتأنيث في الجماد، ولكن مع هذه الفرق تأتي اللغة العربية على ذروة أغنى لغات العالم وأعلاها بلاغة وأدبا، ولا عجب فهي اللغة التي اختارها المولى الحكيم لرسالته إلى البشرية جمعاء.

أول من قام بتدريس اللغة العربية في رواندا وفي مدرسة هو المعلم يحيى بن إبراهيم-رحمة الله تعالى عليه-، وكان ذلك سنة ١٩٧٠م - ١٩٧١م، وكانت مدرسته في أيامها الأولى في المسجد، ثم تحولت إلى المدرسة الإسلامية بيناميرامبو، ثم إلى معهد الهداية الإسلامي، عندما ارتقى فصل المسجد إلى المدرسة الإسلامية بيناميرامبو انضم إليه مدرسون من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم من خريجي كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، وأوفد بعض هؤلاء الطلاب إلى جامعات إسلامية

في المملكة العربية السعودية، ومصر، وليبيا وغيرها، وعاد بعضهم وقد تخرجوا في كليات مختلفة من تلك الجامعات، أصبح أكثرهم مدرسين للعلوم الدينية والعربية، ليس فقط في العاصمة كيجالي، بل حتى في مناطق أخرى من البلاد.

وما زال الإيفاد إلى الدول العربية مستمرا إلى يومنا هذا، بل اتسعت رقعته، فأصبحوا يلتحقون بالجامعات في السودان، والكويت، وفروع كليات الدعوة الإسلامية بطرابلس في تشاد وبنين، وجامعات في المملكة العربية السعودية غير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، فهناك مئات من خريجي الجامعات حملة الإجازات العالمية، وهناك مئات الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية مع العلوم الدينية، ومئات آخرون انتهوا من دراساتهم الإعدادية أو الثانوية، ولم يحظوا بالفرصة لمواصلة دراساتهم في الجامعات.

ومع ذلك زادت أهمية اللغة العربية وآثارها في الحكومة القائمة، حيث إن الحكومة احتاجت إلى المترجمين من العربية وإليها في السودان وجنوب السودان؛ لوجود الجيش والشرطة الرواندية هناك؛ للمحافظة على الأمن في البلدين.

هذا وإن الشهادات من الجامعات: الإسلامية بالمدينة المنورة، وكلية الدعوة الإسلامية بطرابلس، وجامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم، لمعترف بها لدى الحكومة الرواندية، فقد وظفت الحكومة بعض حملة هذه الشهادات في مناصب مختلفة؛ استنادا إلى هذه الشهادات.

إن ما وصلت إليه المدارس الإسلامية في رواندا–وخاصة معهد الهداية الإسلامي–لداعٍ للغبطة والسرور، ولكن هناك تحديات تظهر نفسها كلما مر الزمان، منها: ظاهرة الضعف في اللغة العربية كتابةً وتحدثًا، ليس من الطلاب وحدهم، بل حتى من مدرسيهم.

ومنها: عدم توافر مدرسي اللغة العربية الذين يدرسونها في الكليات، فهم الآن

قلة؛ لأن أكثر الطلاب يفضلون الكليات الأخرى على كلية اللغة لأسباب معروفة لديهم فقط.

ومنها: عدم توافر كتاب للمدرس وكتاب للتلميذ في المدارس الإسلامية، فالاعتماد على السبورة لا يزال له مكانة مهمة في عصرنا هذا، قد يتكلم الطلاب بالعربية وهم في مدارسهم التي ليس بها أقسام داخلية، ولكن إذا عادوا إلى المجتمع خارج المدرسة لا يجدون من يتكلمون معه بهذه اللغة.

ومنها: طريقة التعليم لا تزال هي التقليدية، ليتنا وجدنا المدرسين الذين يعلمون العربية للناطقين بغيرها، أو الذين درسوا العربية بالطرق المبتكرة، لا تزال الفكرة السلبية أن من درس العربية لا محل له من الإعراب في بلد مثل رواندا.

إذا عرفنا التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية فقد بدأنا ندخل إلى عالم التفاؤل، فلا ينبغي أن نترك هذه اللغة التي وصلت إلى ما وصلت إليه بتعب أن تموت بسهولة فقط؛ لأننا لم نولها اهتماما لائقا، لذا ينبغي أن نفكر في التالي:

١- دراسة واعية لحال تعليم اللغة العربية في رواندا.

٢- إعادة النظر في المناهج المتبعة الآن.

٣- إعداد معلمين للغة العربية.

٤- تحفيز الطلاب على حب اللغة العربية من الصغر.

٥- توفير المكتبة الإسلامية عموما، والعربية على وجه الخصوص.

٦- تعليم العربية بطرق مبتكرة.

٧- إعداد رحلات للتقوية في اللغة العربية في البلاد العربية.

٨- تغيير مسار معاهدنا التعليمية، فبجانب العلم الديني واللغة العربية، يجب أن نعلم المناهج الحكومية (مثل: معهد بلال الإسلامي بكمبالا).

٩- إيفاد البنات إلى الجامعات خارج رواندا للمزيد من تعلم العربية.

هذا ونرجو أن يزيد اهتمامنا باللغة العربية، فهي لغة كتابنا المنزل من رب العالمين، وإنها لخسارة بمكان إذا رجعت القهقرى في رواندا، وأخشى أن نسأل عنها يوم الحساب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات



هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

المشاركون:

- د. أبانغ حازمين (بروناي)
- د. بهاء الدين الندوي (الهند)
- أ. جاويد حفيظ (باكستان)
- د. حسين محمد بوا (أوغندا)
- د. حقار محمد أحمد (تشاد)
- أ.د. دينغ لونغ (يوسف) (الصين)
- أ.د. رجب شانتورك (تركيا)
- أ.د. رحمة بنت أحمد الحاج عثمان (ماليزيا)
- د. سعيد برهان عبدالله (جزر القمر)
- د. سعيد محمد بابا سيلا (مالي)
- د. عبدالرحيم شئت ثاني (بنين)
- أ.د. عبد الرزاق ديريمي أبوبكر (نيجيريا)
- د. عبد الكريم ديوباتي (غينيا كوناكري)
- أ.د. عبد الله محمد زين (ماليزيا)
- أ. عمر دكوري (بوركينافاسو)
- أ. د. محمد بشير (الهند)
- د. محمد هداية نور واحد (إندونيسيا)
- د. مصطفى حاجي (بلغاريا)
- د. ناصر حمد بكار (تنزانيا)
- أ. هريلمانا عبد الكريم (راوندا)







ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa